

الجزء الخامس

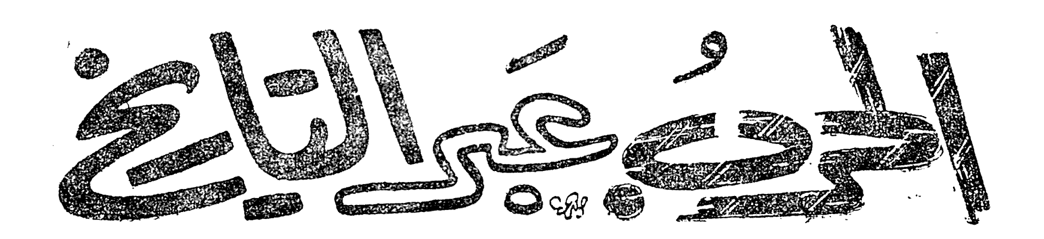
تأليف الفيلد مارشال

مونتجمرى

تعريب وتعليق العميد

فتحى عبد الله النمر





AHISTORY OF WARFARE

الجزء الخامس

تأليف

الفيلد مارشال فيكونت مونتجمرى

تعريب وتعليق العميد

فتحى عبد الله النمر

رئيس مادة التاريخ العسكرى بالكليات العسكرية
وحاصل على جائزة الموضوعات العسكرية
فى عيد العلم العاشر والحادى عشر

التصديق بالنشر

خطاب رقم ن / م ث / ١٦ / ٢٠٢١

الفهرس

تابع الفهرس

الفصل الرابع عشر

الحروب الأوروبية فى القرن الثامن عشر

حرب جنكينز اير

يتضمن هذا الفصل ثلاث موضوعات رئيسية عريضة عن الحرب فى القرن الثامن عشر . ونبدأ بالتنافس على الإمبراطورية بين بريطانيا وفرنسا والذى كان أساساً مسألة إستراتيجية بحرية وحربا اقتصادية وعلى المستوى العالمى لأول مرة . وكانت الشخصيات الرئيسية هى « جورج أنسون » والذى كان بحارا ممتازاً وخبيراً فى التنظيم البحرى ، و « ويليام بيت » والذى كان من كبار قادة الحرب السياسية ، و « جيمس وولف » الرجل العسكرى . ثم يأتى الموضوع الثانى وهو بروسيا ، وسوف نتتبع تطور الدولة العسكرية البروسية وتأثير ذلك على المجتمع ، كما سنحلل صفات وأفكار فريدريك الأكبر (١٧٤٠ — ١٧٨٦) مستندين فى ذلك وبشكل خاص إلى إنتصاره فى « لوثن » فى سيلزيا عام ١٧٥٧ . وأخيرا سوف نفحص عملية الإنتقال من الحروب ذات العلاقة بالسلالات الحاكمة ، إلى الحرب القومية ، كما حدث عام ١٧٩٢ فى حروب الثورة الفرنسية عند « فالمى » حيث حارب الجيش الشعبى الفرنسى ضد البروسيين والنمساويين كأمة مستعدة للقتال دفاعا عن ديموقراطيتها . وأنهت معاهدة أوتريخت عام ١٧١٣ محاولة فرنسا للسيطرة على أوروبا ، ولكنها تركت المصدر الآخر للاحتكاك مفتوحا على مصراعيه ، ألا وهى مسألة التجارة والمستعمرات . وكان التنافس وبشكل رئيسى بين بريطانيا وفرنسا ، بينما تورطت أسبانيا فترة من الوقت كحليفة لفرنسا ، أما هولندا ففضلت فى ذلك الوقت الابتعاد عن الصراع .

وكانت الأعوام بين ١٧١٣ — ١٧٣٩ أعوام من التوسع العام فى السفن والتجارة والقواعد ، ومن الناحية النظرية كانت فترة سادها السلام . ولكن التوتر أخذ يزداد فى مناطق حيوية ومعينة وهى : — جبل طارق ومينورقه وغرب أفريقيا وشمال أمريكا والهند .

وبعد سلسلة من الاشتباكات الصغيرة أندلعت الحرب « حـــرب جنـكينزاير » (١٧٣٩ ـــ ١٧٤٤) فى البحر الـكاريبى والتى أندمجت مع الحرب الأوسع نطاقا وهى حرب « التتابع النمسوى » (١٧٤٠ — ١٧٤٨) . وبعد وقفة قصيرة لتجميع القوى أندلع الصراع مرة أخرى فى حرب « السبع سنوات » (١٧٥٦ — ١٧٦٣) ، ثم استمر ثانية فى حرب « الاستقلال الأمريـكية »(١) (١٧٧٥ — ١٧٨٣) .

وكانت لـكل هذه الحروب مظاهر سياسية أخرى كما تشير أسماؤها ، ولـكن كانت الظاهرة الرئيسية منها جميعا هى التنافس الإستعمارى الانجليزى الفرنسى . وذلك ما أدركه « ويليام بيت » ، كما أدرك أيضاً حلول عصر الحرب العالمية وذلك عندما تحدث عن « كسب كندا على ضفاف الألب » وقام بتنفيذ ذلك عمليا باستخدام حليفته بروسيا لتجذب إليها فرنسا بأعداد كبيرة حتى أصبحت فرنسا ضعيفة فى أمريـكا . وقد ورد سؤال فى الفصل الأول من الـكتاب وهو « لماذا تنشب الحرب ؟ » وقد درسنا العديد من أسبابها ، وألقينا الضوء على صفات معينة فى الطبيعة البشرية وظروفها التى تجعل الرجال يلجأون إلى الحرب ، ولـكننا لم نتعرض لتلك الحرب التى أندلعت بسبب « أذن رجل » ومهما كان من أمر ، فذلك هو ماحدث فى حرب جنـكينزاير(٢) ، وربما تـكون القصة غير معروفة لبعض القراء . ففى عام ١٧٣١ بينما كانت إحدى السفن الشراعية الانجليزية « ريبـيكا » عائدة إلى إنجلترا من الهند الغربية ، هاجمتها سفينة حراسة أسبانية ، حيث قام قائد السفينة بنهب مخازن السفينة وقطع أذن الربان الإنجليزى « روبرت جنـكينز » . وفور وصوله إلى إنجلترا ، قدم جنكينز بشكواه إلى الملك الذى لم يهتم كثيرا بهذا الأمر . ولـكن بعد سبع سنوات أعاد جنـكينز قصته أمام لجنة من مجلس العموم ، وهنا تسببت روايته فى حدوث هياج سياسى كبير ، وزادت الصحافة من اشتعاله إلى الحد الذى جعل هذا الحادث سببا مساعدا للحرب بين بريطانيا وأسبانيا عام ١٧٣٩ ، والتى تحولت فى النهاية إلى حرب « التتابع النمسوى »

---

(١) انتهت هذه الحرب عملياً باستسلام كورنواليزفى يوركتاون عام ١٧٨١ .

(٢) أى أذن جنـكينز .

« المعرب »

شراء الرتب العسكرية

وفى القرن ١٨ كان تعداد الشعب الفرنسى حوالى ٢٠ مليون نسمة ، بينما كانت إنجلترا خمسة ملايين فقط ، إلا أن ميزة الموقع الجغرافى لبريطانيا فاقت قيمة الميزة العددية فى الصراع على البحار . وكان على فرنسا أن تعطى إهتمامها السياسى والعسكرى الأول إلى أوروبا ، بينما كانت إنجلترا فى الجانب الآخر يمكنها أن تكتفى فى هذا المسرح بأن تقدم العون لحلفائها (النمسا وبروسيا) لتناوش فرنسا . وأدى هذا إلى إنقاص جيش مارلبورو وهبوط قوته ، ولم يعد يرسل إلى أوروبا إلا قوات صغيرة فقط مما أدى أن هذه القوات لم تعد تلعب إلا أدوارا تافهة . وكان الأسطول هو القوة الرئيسية لبريطانيا فى القرن ١٨ ، وقد أعطاها موقعها كجزيرة فى المحيط الغربى ميزة إستراتيجية كبيرة منذ البداية . وكما كان يحدث دائما فى سنوات السلم ، فقد ترك الأسطول البريطانى يهبط مستواه إلى حالة سيئة قبل عام ١٧٣٩ ، بالرغم من أنها كانت تملك من الناحية النظرية ١٢٤ سفينة حربية إلا أنه فى الحقيقة كانت هناك ٨٠ فقط صالحة للخدمة،ومن هذه الـ٨٠لم يكن هناك سوى٣٥ سفينة فى الخدمة بشكل فعلى ، بينما كانت السفن الفرنسية متفوقة فنيا على السفن البريطانية ولديهم ٥١ سفينة حربية مشيدة حديثا . وفى عام ١٧٤٤ كتب أحد الخبراء الانجليز فى المدفعية قائلا : « لقد ظهر بشكل واضح أن سفننا ذات ٧٠ مدفعا كانت متفوقة قليلا عن سفنهم ذات ٥٢ مدفعا . » ولم يحدث فى القرن ١٨ سوى تقدم طفيف فى تصميم السفن فيما عدا إختفاء السلوقية[(١)] المرتفعة ، بالإضافة إلى إدخال تغاليف قاع السفن بالنحاس عام١٧٦١ لزيادة سرعتها واحتمالها . وحتى منتصف القرن ١٩ تقريبا ، كان الفرنسيون فى الحقيقة أفضل بناة السفن فى العالم . وكان هناك تنافس كبير بين ضباط البحرية الانجليزية على قيادة السفن الفرنسية المأسورة مثل السفينة « تريبل[(٢)] » . وفى تلك الحقبة أستخدمت الفرقاطة كطراد سريع . وقد بنيت الاستراتيجية الفرنسية لتتمشى مع قلة سفنهم ، فكانوا يتجنبون المعارك أثناء حماية تجارتهم مع التوسع فى ممتلكاتهم الاستعمارية البرية . بينما كانت الاستراتيجية البريطانية على النقيض من ذلك لأنها هجومية ، هدفها قطع مواصلات العدو وتدمير أسطوله فى البحر . أما الأسلوب التكتيكى

---

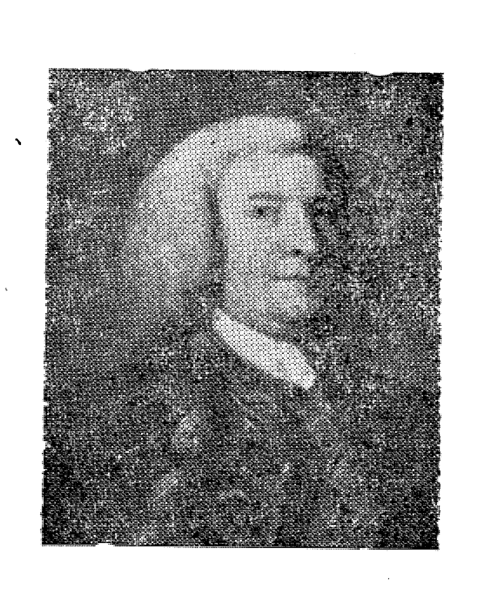
(١) السلوقية هى أعلى مقدم السفينة .

(٢) حمولتها ١٥٩٠ طن ولها سطحين وثلاثة صوارى و ٧٤ مدفعاً .

فقد اتبع الجانبان تشكيل الخط المتقدم . كما أن تعليمات القتال المستديمة للأدميرالية البريطانية نصت على عدم خروج أى سفينة من ذلك التشكيل للإشتباك مع العدو فى جميع الظروف والأحوال . ففى المعركة ، كان البريطانيون دائما أكثر ميلا للمبادأة بالهجوم ، وعلى أى حال فكان جمود تكتيكات الخط دائما تعوق تحقيق النصر الحاسم . أما الانتصارات البحرية البريطانية فى الفترة مابين ١٦٩٢ — ١٧٨٢ فقد تحققت بواسطة الرجال الذين تجاسروا على تجاهل التعليمات المستديمة للقتال وكسروا الخط لإصطياد وتدمير العدو . وفى عام ١٧٣٩ ظهر أن كلا من أفراد البحرية الفرنسية والبريطانية كانوا متساويين تقريبا فى نوعيتهم الرديئة ، وقد دب الفساد فى القيادة العليا لبحرية كل منهما نتيجة لنظام شراء براءات الرتب العسكرية وكذلك التعيين فى الوظائف تبعا للمركز الاجتماعى . أما أطقم السفن فقد جند معظمها بالإكراه ، وكان أفضل رجال البحرية هم الذين يجلبون من البحرية التجارية ، وأسوأهم المجرمين والعاطلين . وقد اعتبر الدكتور جونسون أن الرجل الذى يتطوع فى البحرية ، قد تطوع ليذهب إلى الجحيم . وعلى العموم ، أثناء القتال فقد أثبت البحارة البريطانيين أنهم أفضل نوعية من الفرنسيين والأسبانيين . وفى عام ١٧٣٩ استولى الأدميرال إدوارد فيرنون على قلعة وميناء « بورت بللو » فى برزخ « بناما » بعملية برمائية رائعة . وفيما بين عامى ١٧٤٠ و ١٧٤٤ قام الكومودور جورج أنسون برحلته البحرية الشهيرة .

التجارة هى الخندق الأخير

وكان أنسون قد أرسل عام ١٧٤٠ كقائد سرب من ست سفن للإغارة على الأسبان فى أمريكا والبحار الجنوبية . وكانت هذه الرحلة تشبه كثيرا لرحلة سير دريك وتغلب أنسون بقوة شخصيته فى القيادة على عقبات ضعف نوعية رجاله ومعداته . وأستطاع أن يلحق دماراجسيما بالأسبان ، بما فى ذلك إستيلاءه على الغليون « مانيلا » المحمل بالكنوز . وفى النهاية وبعد مخاطرة عظيمة عاد إلى إنجلترا عن طريق « الكاب » بسفينة واحدة ، بعد أن طاف حول الكرة الأرضية جالبا معه أثمن شحنة غنمها أحد فى

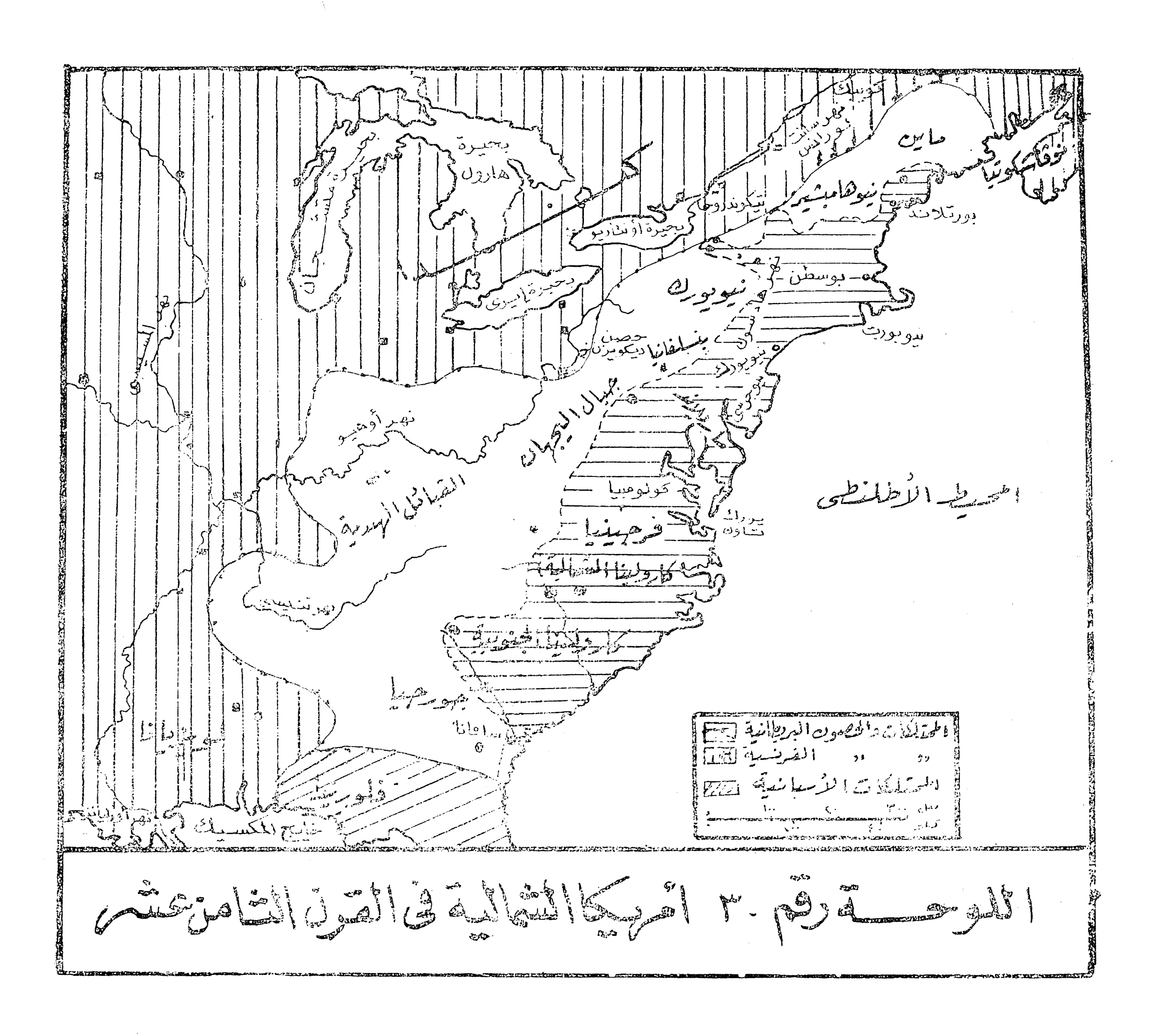


جورج أنسون

التاريخ . وقد كانت هذه الرحلة ميدانا لتدريب العديد من مشاهير رجال البحر فى المستقبل ، والذين منهم : — « كيبيل » و« هايد باركر » و« ساوندرز » . وفى عام ١٧٤٧ تولى أنسون القيادة فى أول معركة أمام مياه « كاب فاينستر » حيث حقق النصر بكسر خطه فى اللحظة المناسبة . وكان تفكيره الاستراتيجى الجديد يتضمن تدمير العدو فى البحر مع فرض الحصار على موانيه الرئيسية . ومن عام ١٧٤٥ حتى وفاته عام ١٧٦٢ ظل لورد أنسون فى الأدميرالية، حيث أدخل إصلاحات هامة ، كما انتشلت البحرية البريطانية تحت رعايته من حالتها الفاسدة. وقد أعيد تنظيم الترسانات البحرية ، كما تحسنت حالة السفن التى ارتفع عددها إلى ١٠٠ سفينة أى ضعف مالدى فرنسا وتكاد تساوى قوة الأسطولين المشتركين لفرنسا وأسبانيا . وقد دعم نظام تجنيد البحارة بتقديم المنح المالية لهم ، كما أصبح هناك ضبط وربط جيد ومحكم ، وقضى إلى حد بعيد على الفساد الناتج عن ملكية وتوارث المصالح والسلطات ، وأعطيت الفرصة لعدد كبير من الشباب النابه للوصول إلى أعلى رتب ومراكز الخدمة . فى ذلك الوقت أيضاً كان الفرنسيون لايزالون يشيدون السفن ، ولكن لم تحدث الإصلاحات الأخرى الضرورية فى أسطولهم .

ولذلك عندما بدأت حرب « السنوات السبع » عام ١٧٥٦ كان وضع إنجلترا أقوى من فرنسا فى البحر ، وبالرغم من ذلك كانت الأحداث الأولى للحرب نتيجة لعدم إتقان الإجراءات كارثة لبريطانيا ، وقد فقدت جزيرة « مينورقة » بسبب الأسطول البريطانى الضعيف ، وقدم الأدميرال « بينج » ككبش الفداء حيث حوكم أمام مجلس عسكرى ليعدم رميا بالرصاص . وكان تعليق فولتيرا « هذا لتشجيع الآخرين » ولم يذهب موت بينج هباءاً لأن ذلك شجع أخوانه الأدميرالات على إهمال تعليمات الأدميرالية عندما تستدعى الحاجة . وفى الحقيقة قد أهملت أنا شخصيا تعليمات وزارة الحرب ، ومع ذلك فقد بقيت على قيد الحياة ، لأن النصر فى كل مرة تحقق فى المعركة ، وقد يكون هذا هو الفارق . وعلى أى حال ، فالتشجيع الحقيقى لبريطانيا جاء عندما تسلم « ويليام بيت » السلطة عام ١٧٥٦ . وقد كان « بيت » زعيما حربيا عظيما ورجل دولة من الطراز الأول ، ومثل تشرشل جاء « بيت » إلى الحكم فى ساعة حالكة من تاريخ بريطانيا ، وكتشرشل أيضاً قام بتوحيد القوى وقيادة

الشعب البريطانى بخطبه الرائعة . وكما قال بغرور ولـكن فى صـــدق : — « أعرف إنى أستطيع إنقاذ هذا البلد ، وأنه لايوجد أحد آخر يستطيع ذلك » وقد يقول البعض أنه كان أفضل من تشرشل كرجل إستراتيجى لحرب عالمية ، ولـكنى أشك فى هذا . وقد رأى « بيت » أن المصلحة الحقيقية لبريطانيا تـكمن فى السيطرة التجارية ، وأن التجارة يجب أن تـكون « الخندق الأخير » ،وأن الحرب فى أوروبا سوف تفيد إنجلترا كثيرا بأنها ستحول إنتباه وموارد فرنسا عن الحرب فى باقى أنحاء العالم ، ولهذا الغرض قدم « بيت » مساعدات مالية لبروسيا ، ولـكنه لم يعطى إلا قدرا قليلا من التدخل العسكرى المباشر ، وبذلك إستطاع المحافظة على قوة بريطانيا سليمة ؛ وأمـكنه فى ذلك الوقت أن يلقى بجهدها الأكبر



اللوحة رقم ٣٠ أمريكا الشمالية فى القرن الثامن عشر

فى الهند ، وأكثر من ذلك فى أمريكا الشمالية . وسوف يكون هناك فصلا كاملا من الكتاب عن الحرب فى الهند ، ويكفى أن نذكر الآن أن بريطانيا نجحت نجاحا عظيما فى الهند تحت قيادة « روبرت كليف » . والآن سنركز الانتباه على أمريكا الشمالية .

أبرع العمليات البرمائية فى التاريخ (أنظر اللوحة رقم ٣٠)

يجب أن نفهم الموقف الإستراتيجى فى أمريكا الشمالية فى ذلك الوقت ، فالمستعمرات الإنجليزية كانت محصورة فى شريط ضيق يمتد من الشمال إلى الجنوب بين جبال اليجهان والمحيط الأطلنطى ، وكان لدى الفرنسيين كندا فى الشمال ولويزيانا فى الجنوب . وكان هدف الفرنسيين إحتلال وادي نهرى الأوهيو والمسيسبى لكى يوصلوا بين مستعمراتهم ومنع التوسع الإنجليزى غرباً . وسعى الإنجليز لإفساد هذه الإستراتيجية بقطع مواصلات الفرنسيين فى الأطلنطى وشق طريقهم بالقوة نحو الغرب . ولكن لم يقدر لهم النجاح حتى ذلك الوقت .

وفى عام ١٧٥٤ خرجت حملة من «فرجينيا» إلى « أوهيو » تحت قيادة جورج واشنطون ولكن هذه الحملة هزمت .

وفى السنة التالية لاقت قوة أكبر نفس المصير ، وأصبح واضحاً «لبيت» فى عام ١٧٥٧ أنه يجب بذل مجهوداً كبيراً فى أمريكا لأنه قرر غزو كندا . وقد تم إبعاد الأسطول الفرنسى من الحرب وذلك بحصار « برست » و «طولون» وبالغارات الإنجليزية على طول إمتداد الساحل الفرنسى على الأطلنطى . ووضع « بيت » خطة هجوم ذو ثلاث شعب على الفرنسيين فى أمريكا وساعده فى وضعها قادته المساعدين وهم : — لورد أنسون (القائد العام للبحرية) ولورد ليجونير (القائد العام للجيش) . وكانت العملية الرئيسية من هذه العمليات عبارة عن هجوم برمائى على كندا الفرنسية من الشمال حتى نهر سانت لورانس ، وكان طريق الإقتراب المؤدى إليها تسيطر عليه مدينة لويسبرج المحصنة على طريقة فوبان وبها ٤٠٠ مدفع . وقد قاد حملة ١٧٥٨ ضباط من الشباب نسبياً وعلى جانب عظيم من المقدرة ، فقد قاد « أمهرست » و « وولف » ١١٫٠٠٠ رجل بينما قاد « بوسكاون » ٢٢ سفينة .

وسقطت لويسبرج أمام أول عملية مشتركة من الدرجة الأولى . أما الشعبة الثانية للهجوم

التي تمت في نفس الوقت في ذلك الصيف كانت حملة من القوات النظامية ومن الميليشيا بقيادة « جون فوريس » للاستيلاء على قلعة « ديكويزن » وفتح الطريق إلى أعالي وادي أوهيو . وبعد أعمال بطولية فذة نجحت هذه الحملة وأعيد تسمية قلعة « ديكويزن » بقلعة « بيت » ثم بعد ذلك « بيتزبرج » . أما الشعبة الثالثة من الهجوم ، فكانت حملة « أبركروبى » من الجنوب في إتجاه « نيكوند روجا » و « كويبك » والتى فشلت . وفي عام ١٧٥٨ تم إنجاز ما فيه الكفاية للمضى نحو فتح كندا . وفي عام ١٧٥٩ ركزت بريطانيا كل جهودها للزحف إلى أعلى نهر سانت لورانس في أتجاه كويبك ، وتولى القيادة الميجر جنرال جيمس وولف البالغ من العمر ٣٢ عاماً . وإذا أستعرضنا تاريخ حياته فنجد أنه بدأها في ١٤ عاماً في مشاة البحرية ، ثم نقل وهو ملازم إلى البحرية وعين في فوج سفولك وعمره ١٥ عاماً ، وعندما بلغ ١٦ عاماً حضر القتال في معركة « ديتنجن » .

وعمره ١٨ عاماً حضر معركة « كلودين » ، وعمره ٢٣ عاماً قاد فرقة رماة اللانكشير . وكان جندياً محترفاً وطالباً مجداً في دراسة فن الحروب ، كما كانت لديه خبرة كبيرة في الفن العسكرى من عمر مبكر ، وكان أيضاً مثقفاً وبارعاً في ميادين أخرى ، فكان كاتب نثر جيد . وبالرغم من إخلاصه لرؤسائه ووطنيته العميقة ، فقد كان ميالا للصراحة الجريئة والنقد . وكان وولف من حسن حظه أنه دائماً كان على صواب ، كما كان محظوظاً بنفس القدر لأن « بيت » كان يشجعه ولا يقف في طريقه بسبب امتعاض وحقد الضباط الأعلى منه .

ويعتبر الإستيلاء على كويبك عام ١٧٥٩ من أبرع العمليات البرمائية في التاريخ ، وكان الجزء الخاص بعملية المرور الأولى للأسطول الذى يقوده « شارلس ساوندرز » خلال التيارات والمياه الضحلة لنهر سانت لورانس هو أبرع هذه العمليات ، ففي نهاية يونيه نزل وولف ومعه ٩٠٠٠ جندى على الجانب الجنوبى من النهر ، وكانت كويبك في مواجهتهم فوق مرتفعات « أبراهام » ويدافع عنها حوالى ١٦٠٠٠ رجل تحت قيادة قائد قدير هو « مونتكالم » وتعاونهم مدفعية قوية . وكان مصدر قوة وولف هو تحكمه في النهر ، مما مكنه من تحقيق المفاجأة . وقد استقر الفرنسيون في الحصن ثابتون وقد يكون ذلك أحكم . في ذلك الوقت ظل وولف يبحث لعدة أسابيع عن طريقة للاستيلاء على كويبك بحيث لا تكون عملية

إنتحارية ، وعند نهاية يوليه بدأ ييأس ،وكانت صحته سيئة للغاية. وفى أغسطس وصله تدعيم من ١٢٠٠ رجل وفى أوائل سبتمبر قرر المخاطرة بهجوم عبر ممر صغير متعرج يصعد الجرف نحو أعلى النهر على مسافة ميل ونصف من كويبك . وكان هذا المريبدو من المتعذر تسلقه بدرجةجعلت الفرنسيون يدافعون عنه بقوة صغيرة فقط. وفى ليلة ١٣/١٢ سبتمبر عبر الجيش النهر وقام بعملية إنزال مفاجئة ، وعند الفجر بدأ يظهر الجيش فوق المرتفعات . وباختصار قررت هذه المعركة نهاية كندا نتيجة قصفة نيران واحدة أطلقت فى توقيت ملائم تماماً ، أماوولف فقد قتل .

أكبر قوة امبريالية فى العالم .

لقد كان وولف جندياً عظيما ولسوف أجد من الصعوبة وضعه ضمن « القادة العظام » لأن شهرته بنيت على منجزات سنة واحدة ، وكما كتب عنه ليدل هارت « لقد لمع عبر سماء التاريخ مثل الشهاب » .

وعلى العموم ، فالدارس للحرب وللطبيعة البشرية سوف يجد قيمة كبيرة فى سنين كفاح وولف الأولى عندما كان يعد نفسه ليكون مستعداً للفرصة عندما تسنح ، وعندما جاءت الفرصة كان مستعداً .

وفى « وسترهام » حيث ولدعام ١٧٢٧ أقيم له تمثال فى المروج بالقرب من الكنيسة ، وكنت دائماً أقف أتطلع إليه عند زيارتى لشارتويل حيث منزل السيرونستون تشرشل . ولم يكن وولف قوى الجسم بل كان فى الواقع مثل نيلسون ضئيل الجسم ولكنه لا يعرف الخوف فى القتال. وأثبت أن الروح العظيمة يمكن أن تتواجد فى الجسد الضئيل. وكنت عادة أناقش ويفل فى موضوع القيادةوكنت أؤكد أنه لا يمكن كسب المعارك إذا كان القائدفى حالةصحية سيئة ، وكان ويفل يرد على ذلك بقوله بأن نابليون كان دائماً يشعر بالمرض ولا يمكن مقارنة وولف بالقادة العظام مثل مارلبورو أو ويلينجتون لأنه لم يخض معركة على مستوى معاركهما الكبيرة ، أما المعركة التى أدت إلى الإستيلاء على كويبك فقد نشبت بين قوات توازى فى مجموعها فرقة واحدة من فرق منتصف القرن ٢٠ . والمعركة الفعلية لم تتعد سوى ربع ساعة تقريباً ، ولم يكن هناك أدنى شك فى نتيجتها بعدأن أطلق الإنجليز قصفتهم الأولى المروعة ،

أما الخسائر فكانت طفيفة حوالى ٦٥٠ من الإنجليز وحوالى ١٥٠٠ من الفرنسيين . وبالرغم من نطاقها الصغير ومدتها القصيرة ، فقد غيرت من تحالف كندا الذى انتقل من فرنسا إلى إنجلترا وبالتالى فقد كانت من أعظم المعارك فى العالم .

ومن المثير بشكل خاص دراسة الثلاثة أو الأربعة أشهر للحملة والتى أدت إلى هذه المعركة ، وكذا صفات قادة الجانبين ، والذى كان وولف أهمهم ، ولكن كان هناك أيضاً « بواجينفيل » والذى كان أركان حرب « مونتكالم » ، و « جيمس كوك » الملاح الذى طاف البحار بعد ذلك . ولم يكن الإستيلاء على كويبك سوى أحد مظاهر نجاح الجيوش البريطانية عام ١٧٥٩ . وفى هذا العام أثمرت إستراتيجية بيت ليس فقط بفتح كندا ، ولكن بسلسلة من الإنتصارات فى جميع أنحاء العالم . ففى « ميندن » بأوروبا ساهمت المشاة البريطانية فى نصر للحلفاء . وفى لاجوس هزم « بوسكاون » أسطول طولون الفرنسى ، كما حطم هوك أسطول « برست » فى خليج « كويبرون » ، ونتيجة لذلك بقى الفرنسيون بدون قوة بحرية حتى نهاية الحرب .

واستولى الإنجليز على « جوادلوب » فى الهند الغربية و « جورى » فى غرب أفريقيا . وفى مستهل عام ١٧٦٠ كانت معركة « داندواش » بمثابة ضربة قاضية للفرنسيين فى الهند . ومن وجهة النظر الإنجليزية فقد إستمرت الحرب حتى عام ١٧٦٣ .

وفى عام ١٧٦٣ تم التصديق فى معاهدة « سلام باريس » على جميع مكاسب إنجلترا من الحرب تقريباً عدا مكاسبها فى الهند الغربية . وبالرغم من إقصاء بيت من منصبه عام ١٧٦١ على يد ملك جديد وحقد خصوم سياسيين ، خرجت إنجلترا من الحرب فى شكل أكبر قوة إمبريالية فى العالم .

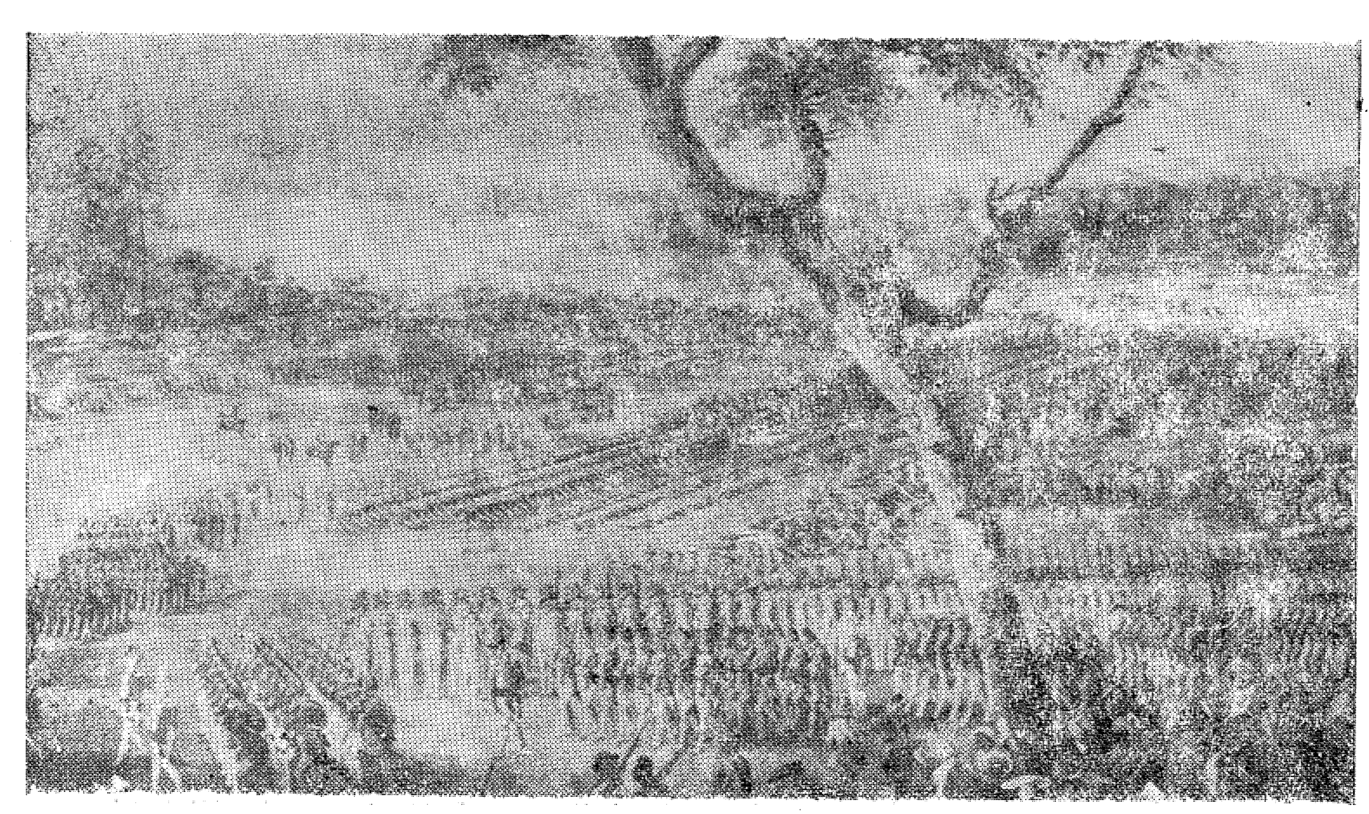
عصر العقل والرضا الذاتى

وكالعادة ، بعد أن انتصرت إنجلترا فى هذه الحرب العظمى أهملت قوتها العسكرية والبحرية . وقد كان هناك تناقضاً واضحاً بين إدارتها لحرب « الإستقلال الأمريكية » (١٧٧٥ — ١٧٨٣) وبين ماسجل عن حرب « السبع سنوات » ، فقد ظهرت المشاكل الإدارية للقتال على مثل هذه المسافة الضخمة ، ولكنها لم تكن أسوأ مما كانت عليه فى

الحرب ضد الفرنسيين. وأهم من كل هذا، مشكلة النقص الكامل للقيادة العسكرية والسياسية الجيدة، مما أدى أن إنجلترا لم تستطع أن تسحق بسرعة ذلك التمرد الذى بدأ فى أول الأمر كمجرد ثورة بسيطة وتلقى تأييداً ضعيفاً.

وقد كانت هناك نقطة طريفة فى هذه الحرب، أيهما كان أسوأ فى المعدات وأسوأ فى القيادة؟ القوات الأمريكية أو القوات الإنجليزية ..؟ وعلى أى حال فقد نضج جورج واشنطون كقائد بالرغم من أنه لم يكن سوى جندى متوسط الكفاءة، كما أن الأمريكيين أنفسهم لم يتعودوا إلا هذا النوع من القتال والتى يتمشى مع طبيعة أرضهم.

بينما كان الإنجليز يقاتلون وهم مرتدين الأردية الحمراء وفى تشكيلات منضمة عقيمة، كان الأمريكيون هم أيضاً يموهون أنفسهم باللون الأخضر ويقاتلون كجنود غير نظاميين. وكان العامل الحاسم فى الحرب هو تدخل فرنسا ثم أسبانيا والولايات الهولندية المتحدة ضد إنجلترا فى عام ١٧٧٨، ولم يكن فى استطاعة الأسطول البريطانى كبح الأسطول الفرنسى الذى أعيد بناءه من جديد ومعه أساطيل حليفة تعاونه، وأصبحت الحرب نوعاً آخر من الحروب



القوات البريطانية تستسلم فى مدينة يورك تاون فى أمريكا

العالمية . واستماتت إنجلترا فى الحفاظ على مستعمراتها المترامية الأطراف . وفى عام ١٧٨١ أجبر الجنرال « كورنواليز » قائد القـــوة البريطانية الرئيسية فى أمريكا على التسليم فى مدينـــة « يورك تاون » وذلك عندما أصبح جيش واشنطن الـكبير خلفه وبذلك أصبحت مواصلاته البحرية مقطوعــة .

وقد أنقذ الأدميرال « رودنى » الموقف إلى حد ما بانتصاره على الأسطول الفرنسى خارج دومينيكا عام ١٧٨٢ ، مما أدى إلى إنقاذ « جامايـكا » وفى نفس الوقت حطم هيبة الأسطول الفرنسى . ومع ذلك فـكانت بريطانيا محظوظة لأنها بموجب معاهدة فرساى فى السنة التالية لم تخسر أكثر من مستعمراتها الأمريكية فقط . ومن الطبيعى أن يـكون فن الحرب فى القرن ١٨ محدوداً على الأرض ، بنفس القدر فى البحر . وتميزت الحرب بفقدها عنصر الإثارة والعنف ، فقد كان هذا العصر هو عصر العقل والرضا الذاتى . وقد وقع هذا العصر بين عصر التعصب الدينى فى القرن ١٧ وعصر التعصب القومى فى القرن ١٩ .

وقد حدثت معظم حروب أوروبا نتيجة لأسباب تتعلق بالسلالات الحاكمة ، ولذلك كانت أهدافها محدودة .

وكانت إدارة الحرب مقيدة بالتقاليد والعادات المتبعة ، كما كان التركيز فى الإستراتيجية والتكتيك منصباً على المناورة وتجنب الإفراط فى القتال ، بمعنى عدم البحث عن العدو لتدميره .

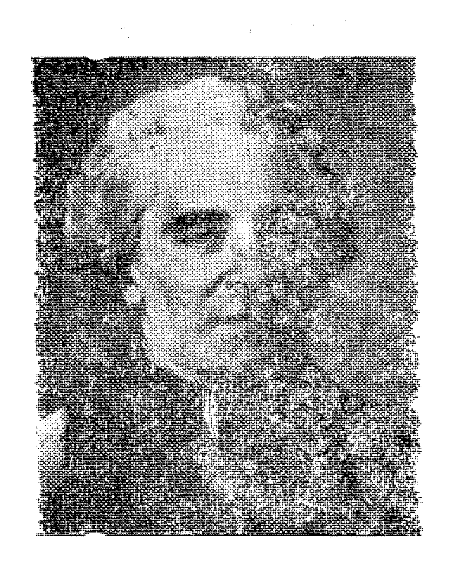
أما حرب الحصار فقد كان لها نصيب كبير فى ذلك العصر . وأصبحت الجيوش نتيجة لنموها وكبرها جامدة وقد فقدت خفة الحركة وفى نفس الوقت باهظة التـكاليف . وبقدر الإمـكان منع تأثـير الحرب من أن يمتد إلى الحيـاة المدنية . وكان تجنيد الجيوش يتم من النبلاء والصعاليك وهى الطبقات الوحيدة المستعدة والمتيسرة فى ذلك الوقت .

وكانت القومية تأثيرها ضعيفاً على ولاء الجنود لها ، ولذلك كان من الضرورى التركيز على التدريب الشاق والضبط والربط والقواعد الجامدة والقاسية حتى على الأقل لغرس الـكفاءة ومنع الهروب من الخدمة ، أما الضباط فتفشى فيهم الفساد وتجنب العمل مع وجود هوة عميقة تفصلهم عن الجنود ممثلة فى تعاليهم وتـكبرهم وعدم كفاءتهم . وبـكل هذه الأبعاد ، كانت حرب القرن ١٨ فى مجملها عادية وضعيفة . ومهما كان فلم يـكن من المستحيل أمام الرجـل

العبقري أن يحقق شيئاً فى هذه الظروف ، ويبرهن على ذلك وبوضوح سيرة أعمال المركيز « دى ساكس » « وفريدريك الأكبر »

المرض والقيادة

كان ساكس يخدم تحت قيادة يوجين وبيتر الأكبر ، وحقق شهرته الأولى بهجومه الليلى المفاجىء والإستيلاء على براغ . وأصبح أبرز القادة الفرنسيين فى حرب «التتابع النمسوى» (١٧٤٠ — ١٧٤٨) . وفى عام ١٧٤٥ أحرز أشهر إنتصاراته على البريطانيين فى «فونتنوى» . وفى العام التالى إكتسح الأراضى الواطئة . وفى عام ١٧٥٠ توفى تاركا عدداً كبيراً من الأبناء غير الشرعيين ، والتى كانت منهم واحدة هى أم جدة جورج صائد . وعلى العموم فقد أهملت دراسة سيرته العسكرية ، ويرجع ذلك لأن المؤرخين كانوا يميلوا لتوجيه إهتمامهم بفريدريك الأكبر ملك بروسيا ، والذى كان معاصراً له . وفى أربعينات القرن ١٨ وخلال سنوات توليه القيادة العليا فى الميدان ، كان يعتبر أحد أوائل قادة عصره .



المركيز دى ساكس

والسبب الرئيسى الذى يجب أن يذكر ساكس من أجله هو كتابه الذى نشر بعد وفاته بتسعة أعوام « أفكارى الخيالية » وسبق لى فى جزء متقدم من هذا الفصل ذكر وجهة نظرى والخاصة بعدم إمكان كسب المعارك إذا لم يكن القائد فى صحة جيدة . ولكن يبدو أن ساكس مثله فى ذلك مثل وولف لا يوافق على رأيى لأن صحته كانت متدهورة وكان يعانى كثيراً من الإستسقاء . وفى الحقيقة أعجزه هذا المرض فى معركة « فونتنوى » بدرجة لم يستطع إمتطاء حصانه ، واضطر إلى التفتيش على قواته وهو راكباً عربة مكشوفة . وقد قرأت أن مغامراته الغرامية فى شبابه ساهمت فى إعتلال صحته . أنه لمثال أضعه أمام كل من يطمع للوصول إلى القيادة العليا فى مهنة الجندية .

وفى كتابه « أفكارى الخيالية » أدان ساكس تقريباً كل مواطن الضعف فى حرب القرن ١٨ ، ودافع عن المبادىء الصحيحة والتي نسيت كلها منذ العصر القديم ، والتى أيضا

لم تطبق عمليا حتى مجىء نابليون . وقد استنكر العبودية للعرف والتقاليد واستنكر فوق كل شىء الجمود وعدم الحركة . وأعلن أنه قد أضاع وقتا طويلا جدا فى تحصين المدن وكان من الأفضل الدفاع عن المواقع ذات القوة الطبيعية .

وأكد أن خفة الحركة وسهولة المناورة وكفاءة الأمداد هى المتطلب الرئيسى للنصر الحاسم ، « وأن الدور الرئيسى يعتمد على الأرجل وليس على الأذرع » . ورغبة فى أن يكون جيشه نموذجى فى القرن ١٨ فشكله من ٤٦٫٠٠٠ جندى فقط ، « لأن العدد الكثير يزيد فقط من الإرتباك والتورط فى المتاعب .

ومثل هذا الجيش يجب أن ينظم بشكل مرن أى فى نظام ألوية أو فرق ، مع الاستفادة من القوات الخفيفة التسليح ، وعلى القائد أن يخلق الفرصة المناسبة ولا ينتظر ظهورها ، ويجب أن يركز قوته ضد مواطن الضعف ، وعليه مطاردة العدو لتدميره . وأدرك ساكس بوضوح عامل الروح المعنوية والتوازن الحساس بين عزيمة الاندفاع إلى الأمام وغريزة العودة للخلف . وأكد أن هناك أشياء صغيرة يمكن أن تكون من العوامل المساعدة الكبيرة لرفع الروح المعنوية مثل استخدام الدرع والموسيقى ، والشارات ، وتسميه الكتائب بأسماء مستديمة بدلا من تسميتها بإسم القائد الحالى ، والخدمة الوطنية ، والترقية بالجدارة . وكل هذه الأشياء مطبقة ومألوفة الآن ولكنها كانت فى ذلك الوقت غير طبيعية ، وهذا يدلنا على ندرة نوعية وكفاءة العقلية العسكرية لساكس .

فريدريك الاكبر (أنظر اللوحة رقم ٣١)

وفى عام ١٧٤٠ أصبح فريدريك الثانى والملقب «بالأكبر» ملكا على بروسيا وترجع الخلفية التاريخية الأساسية لمنجزات فريدريك العسكرية إلى التنظيم الإدارى والاجتماعى والذى تمت بواسطة اثنين من أسلافه من عائلة « هوهنزولين » وهما « الأمير الأكبر فريدريك ويليام » (١٦٤٠ — ١٦٨٨) والملك «فريدريك ويليام الأول» (١٧١٣ــ١٧٤٠).

فريدريك الأكبر

وكانت الأرض الأصلية المبعثرة لبراندنبرج وبوميرانيا فقيرة اقتصادياً ولا يتوفر فيها دفاعات طبيعية ولذا إذا أراد حكام عائلة هوهنزوليرن (١) الإحتفاظ بمركزهم السياسى قوى وجب عليهم إنشاء حكومة وجيشاً قويين . وهذا ماحدث ، فقد جعل الأمير الأكبر من نفسه سيداً مطلقاً لجهاز حكومى واحد مركزاً على تنظيم إمداد الجيش وأمكن تنفيذ هذه العملية بواسطة الاتفاق الذى تم بين الحاكم والنبلاء والذى كان يطلق عليهم « الجونكرز (٢) » .

وفى عام ١٦٥٣ منح هؤلاء النبلاء الأمير السلطة المطلقة والإمكانيات المادية لتكوين جيش دائم ، على شرط أن يقصر سلك الضباط عليهم ، ويخضع الفلاحين فى ضياعهم لعبودية الأرض .

أما الطبقة المتوسطة فى شرق نهر الألب فكانت ضعيفة لتقاوم هذا الاتفاق . وكان هذا بداية الاستبداد والعسكرية فى بروسيا . وكان دليل ظهور الجيش البروسى الجديد فى أوروبا هو انتصارهم على السويديين فى « فهربلن » عام ١٦٧٥ .

وفى عهد فريدريك ويليام الأول زادت قوة الدولة البروسية زيادة هائلة ، فقد تضاعفت الميزانية ورفع حجم الجيش من ٣٨٫٠٠٠ إلى ٨٠٫٠٠٠ رجل .

أما فريدريك الثانى قبل أن يصبح ملكا عام ١٧٤٠ كان مولعاً بالأدب الفرنسى والعزف على الفلوت أكثر من ولعه بالتدريب على القتال ، ولكنه ما أن أصبح ملكا حتى تحول سريعاً إلى واقعى قاسى ومخلص بشدة للتقاليد البروسية والتى أخذت تستقر . وكانت الأوراق الرابحة لبروسيا هى جيشها ومليكها . وكان تعداد سكانها بين الدول الأوروبية يأتى فى المرتبة ١٣ .

وبالرغم من أن نواة أفواج الجيش البروسى قد جندت من مقاطعات بروسيا ، إلا أن غالبية رجال هذا الجيش جندوا من الخارج ، وباختطافهم عند اللزوم . وكانت الوظيفة الأولى للبورجوازيين البروسيين والفلاحين هو الإنتاج الإقتصادى . وفى الجيش كان معظم الضباط

---

(١) لقد انخفض قيمة عائلة هوهنزوليرن فى حرب « الثلاثين عاماً » .

(٢) الجونكر هو عضو الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية البروسية . «المعرب»

بروسيين من أصل نبيل ، وقد اعتمد عليهم فريدريك أكثر من اعتماده على رجاله ، وقد سر هؤلاء النبلاء بالخدمة العسكرية مقابل ما يتمتعون به من امتيازات . وكانت كل أسرة نبيل ترسل على الأقل أحد أبنائها إلى المدرسة الحربية . وقد تم غرس فى نفوس الضباط حب الوحدة الوطنية بالإضافة إلى الضبط والربط ، كما تلقوا تعليما عسكريا عمليا . وكان فريدريك يعتبر أن أفضل ما يمكنه عمله لرجاله هو تدريبهم حتى يصبح كل منهم إنسانا آليا عالى الكفاءة « يخاف من ضباطه أكثر من خوفه من الأخطار المعرض لها » . وقد كان لهذا التدريب العسكرى القاسى هدفين أساسيين : —

أولا : فى الجيش المكون أغلبه من العناصر الأجنبية التى تفتقر إلى العزيمة الصادقة والروح المعنوية العالية فكان الإكراه والقسوة فقط هما اللذان يخلقان الضبط والربط واليقظة والتماسك .

ثانيا : كان فريدريك يدرك تماماً أن خفة الحركة هى مفتاح النصر فى ظروف ذلك العصر ، وأن طابور المعركة المتماسك هو وحده الذى يحققها ويجب أن تكون التشكيلات والتقدم فى أراضى الاستعراض مثل تلك التى تتم فى ميدان القتال . وصحيح كان النظام صارما وحياة الجنود قاسية ولكن فريدريك نجح مع رجاله ، لوجوده بينهم فاكتسب معرفة وخبرة كبيرة بهم .

أما السلاح الرئيسى للجيش البروسى هو السونكى (١) وبمضى الوقت طور فريدريك نوعية الجيش البروسى ، ولكن الإدارة التى آلت إليه عام ١٧٤٠ كانت جيدة ما فيه الكفاية مما جعله يشعر بالثقة الكاملة فى استخدامها . وفى هذا العام غزا أراضى سيليزيا النمساوية المجاورة وكان تبريره الوحيد لذلك أن « سيليزيا » سوف تكون مكسباً إقتصادياً واستراتيجياً نفيساً لبروسيا . وبهذا العدوان بدأت حرب « التتابع النمساوى » فى أوروبا ، وسرعان ما اتسعت الأبعاد السياسية لهذه الحرب ، ولكن فريدريك ظل يضع هدفه الرئيسى نصب عينيه ، واحتفظت روسيا بسيليزيا بعد انتصارها فى « مولوتيز » (١٧٤١) و « هوهنفر مدبرج »

(١) السونكى المركب على البندقية من أيام ماربورو ولكن أدخل الجيش البروسى تعديلا طفيفاً مثل استخدام القضيب الحديدى لتنظيف البندقية (حربى التنظيف) . « المعرب »

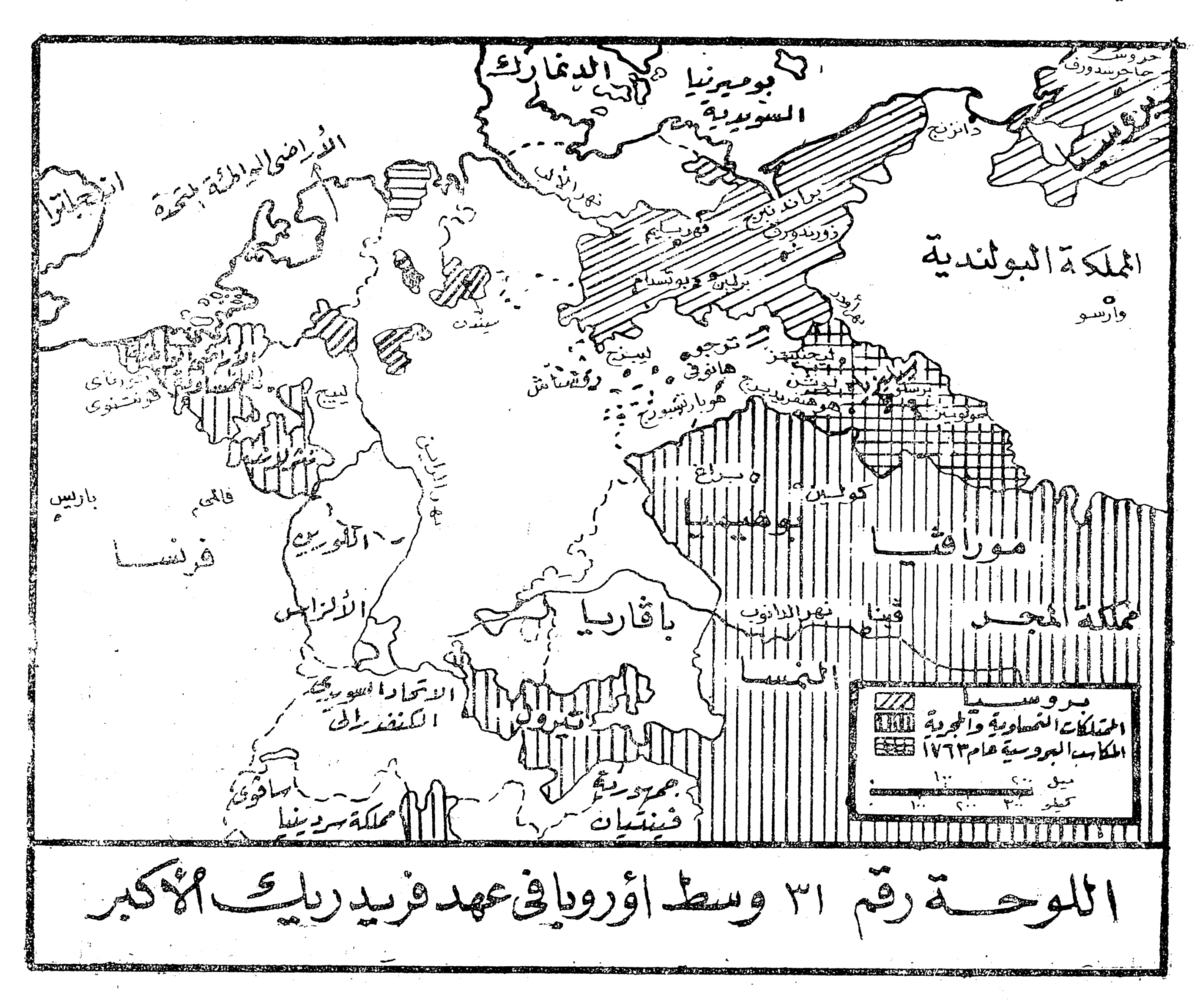
(١٧٤٥). ولم يحل السلام إلا فى عام ١٧٤٨ ولـكنه لم يكن أ كثر من هدنة ، لأن النمسا لم تـكن راضية عن هذا الوضع .

وفى عام ١٧٥٦ دخلت روسيا الحرب مرة أخرى ، وقدمت إنجلترا لها العون المـالى ولـكن كان عدوها هذه المرة النمسا وفرنسا وروسيا وسكسونيا . وكانت هذه الحرب هى حرب « السبع سنوات » (١٧٥٦ ـــ ١٧٦٣) .

المبادأة والمفاجأة

(أنظر اللوحة رقم ٣١)

ومرة أخرى ، كان فريدريك القائد الأعلى للقوات فى هذه الحرب ، وكان يتمتع بمصدر قوة ضخم عند تخطيط وتنفيذ استراتيجيته وذلك لأنه الحاكم المطلق لحكومة ذات كفاءة عالية واتجاه عسكرى علاوة على قيادته لجيش كفء .



اللوحة رقم ٣١ وسط أوروبا فى عهد فريدريك الأكبر

وكان يؤمن بأن هدف الاستراتيجية هو تدمير قوات العدو وليس فقط إحتلال أو الدفاع عن قطعة من الأرض ، وهذا الرأى يخالف كل معاصريه عدا ساكس ووولف . وكان جوهر استراتيجيته يكمن فى عاملين — القوة . . وخفة الحركة . وإذا قامت روسيا بهجوم قوى حاسم على أرض العدو فسوف يعطيها هذا عنصر المبادأة كما سيجبر قائد العدو على إخضاع تحركاته لتحركات فريدريك . وإلى جانب ذلك كان لفريدريك أعداء كثيرين فى هذه الحرب فإذا انتظرهم ليهاجموه فى تنسيق فيعنى هذا تعرضه أكثر من أى وقت للتدمير . وحيث أن فريدريك يتميز بخطوط مواصلات داخلية جيدة داخل بلاده ، فقد كان أسلوبه هو التحرك بسرعة وضرب أحد أعدائه بقوة ثم بعد ذلك التحرك بسرعة مرة أخرى لمواجهة عدو آخر .

وهكذا أفتتح الحرب بنفسه بغزو سكسونيا بدون إعلان الحرب عليها ، ثم بعد ذلك هزم النمسا فى معركة براغ عام ١٧٥٧ ولكن بعد ذلك فى هذا العام هزمه النمساويون والذين كانوا يتفوقون عليه عدديا بدرجة كبيرة عند كولن ، ثم هزمه الروس أيضاً عند « جرس جاجر سدورف » .

وعلى أواخر خريف عام ١٧٥٧ بدا أن نجم روسيا أخذ يأفل ، ولكن نوعية الحكومة وشجاعة الملك وجودة الجيش مكنهم من الاستمرار قدما فى الحرب . وفى نوفمبر كسب فريدريك والذى كان لا يزال فى موقف الهجوم ، نصراً كبيراً على الجيش النمساوى الفرنسى المشترك عند « روسباش » فى سكسونيا .

وفى ديسمبر دار على القوات النمساوية الأخرى بقيادة الفيلد مارشال « دون » و « تشالز » حاكم اللورين وهزمهم عند « لوثن » فى سيليزيا . وكانت تكتيكات فريدريك وكذا استراتيجيته دائماً هجومية ، ويرجع ذلك لاعتقاده بأنه إذا حصل على المبادأة ، فيمكن لقواته ذات التدريب العالى وخفة الحركة واستخدام أسلحتها جيداً فتستطيع هزيمة أى عدد من قوات أعدائه البطيئة ، وكان هذا ممكنا نتيجة لإتقان جنوده طابور المعركة . وكان دائماً يردد فريدريك : — « الكتيبة البروسية هى بطارية متحركة لأن سرعة تعمير الجنود للبنادق تجعل النيران المنتجة تعادل ثلاثة أضعاف نيران العدو » . وهذا أعطى البروسيون التفوق على العدو بنسبة ٣ : ١ . واستخدم فريدريك «الوضع المائل» استخداما

جيداً فى المعركة ، ولكن ليس هناك دليل يثبت أنه مبتكر هذا الأسلوب التكتيكى . وأكثر الاحتمالات أنه طور من طريقة « أباميننونداس » القائد الطيبى . ويعتمد نجاح هذه الطريقة على خفة الحركة وقد شرح فريدريك هذا الأسلوب التكتيكى كما يلى : —

«ثبت جناحاً واحداً أمام العدو وقوى الجناح الآخر الذى سيقوم بالهجوم ، وبهذا الجناح الأخير قم بأقصى ما يمكنك من العمليات ضد جناح واحد للعدو على أن تفاجأه بالهجوم من الجنب . ويمكن بهذه الطريقة أن جيشاً مكوناً من ٣٠٫٠٠٠ مقاتل أن يهزم جيشاً من ١٠٠٫٠٠٠ مقاتل فى وقت قصير جداً ، ومزايا هذه الطريقة هى :

١ — يمكن لقوة صغيرة قتال قوة أكبر منها بكثير .

٢ — يمكنها الانقضاض على العدو فى نقطة حاسمة .

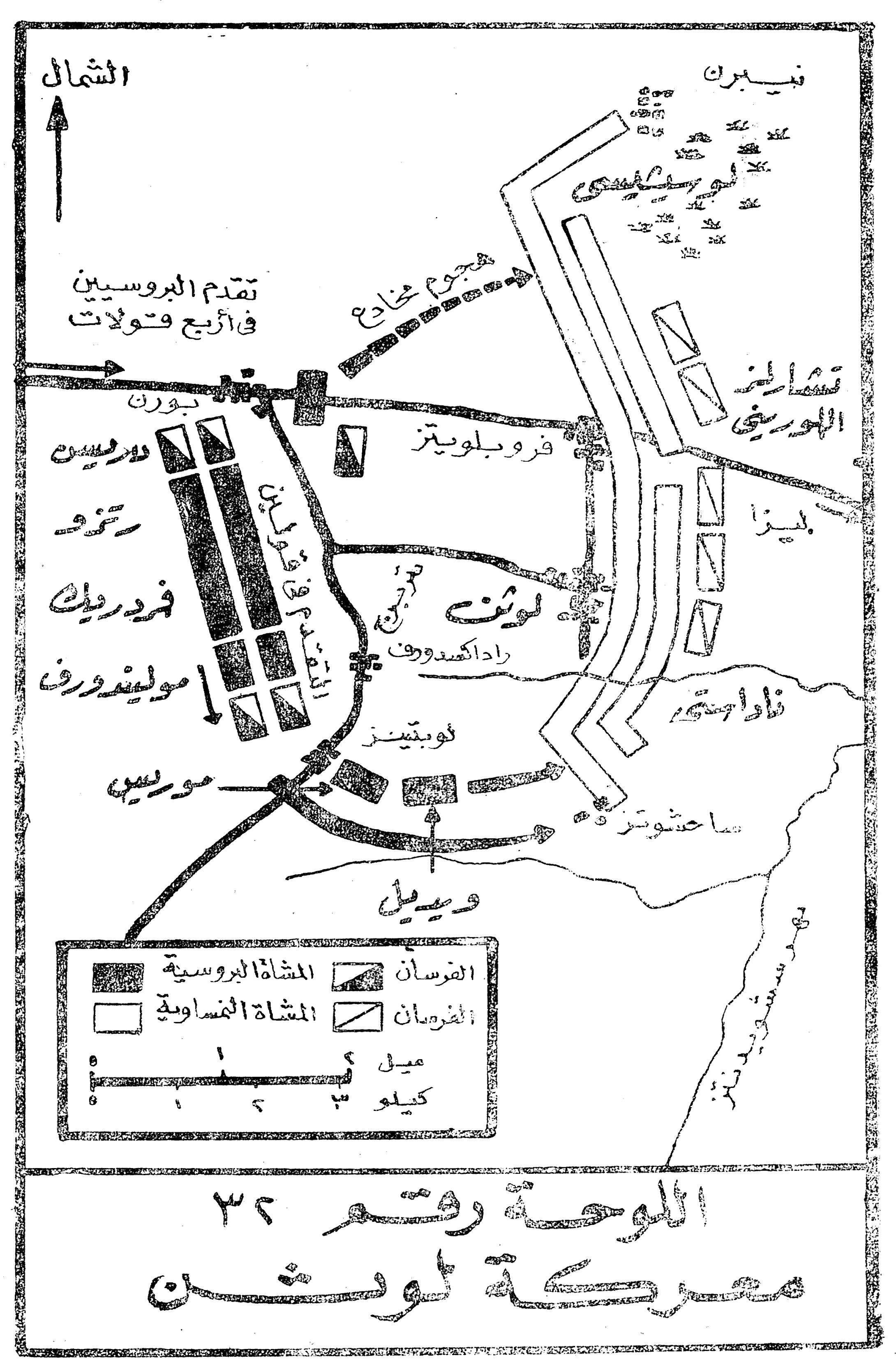
٣ — إذا ماهزمت ، فيهزم جزء واحد فقط وباقى ٣/٤ الأخرى لاتزال غير مجهدة ويمكنها ستر إنسحاب القوة التى هزمت » .

وبشكل فعلى ، كان فريدريك فى جميع معاركه أقل عدداً من عدوه . وفى الواقع كانت كل أوروبا بالفعل تحارب ضده خلال حرب « السبع سنوات » ، وعندما يهاجم جيشاً معادياً ضخماً فى موقع دفاعى قوى ، فقد كان يحاول تحقيق المستحيل ، كما حدث فى « لوثن » . ولكن انتصاراته فى « روسباش » و « لوثن » أثبتت صحة أساليبه فى القتال ، كما كانت من الأعمال التكتيكية الممتازة .

المعركة التى خالفت كل قواعد الحرب (أنظر اللوحة رقم ٣١ ، ٣٢)

وفى معركة « لوثن » كانت احتمالات الفوز بعيدة بشكل كبير عن جيش فريدريك . فمنذ معركة « روسباش » فى أوائل نوفمبر تمت هزيمة قوتين بروسيتين أخريتين ، مما رفع الروح المعنوية للنمساويين وبشكل ملحوظ . وكان الجيش النمساوى فى معركة « لوثن » بقيادة « دون » و « تشارلز المورينى » يتكون من ٨٤ كتيبة مشاة و ١٤٤ أورطة فرسان و ٢١٠ مدفع وكان عددهم يتراوح بين ٦٠٫٠٠٠ و ٨٠٫٠٠٠ رجل . أما جيش فريدريك فكان يتكون من ٢٤٠٠٠ رجل مشاة فى ٤٨ كتيبة ، ١٢٠٠٠ من الفرسان فى ١٢٨ أورطة و ١٦٧ مدفعاً ويتراوح عددهم ٣٦٫٠٠٠ رجل فقط . ولكن فريدريك بالرغم من

قلة عدد جيشه وبمجرد وصوله بالقرب من العدو فى سيليزيا وهى الأرض التى يعرفها جيداً ، كان مصمماً على الدخول فى معركة حتى ولو أدى به ذلك ، كما أعترف لضباطه « أن يخوضها ضد قواعد الحرب ». وفى ٤ ديسمبر احتل النمساويون موقعاً فى خطين أمام نهر «سشويدنتز»



اللوحة رقم ٣٢
معركة لوثن

بمواجهة خمسة أميال ونصف وقد امتد من مستنقعات « نيبرن » فى الشمال إلى قرية «لوثن» ومنها جنوباً حتى « ساجشوتز » . وكان موقعاً دفاعياً قوياً بالرغم من طوله بعض الشيء . فى الخامسة من صباح ٥ ديسمبر عام ١٧٥٧ تقدم فريدريك من الغرب مباشرة وعلى امتداد طريق « برسلو » ، وكانت خطته القيام بهجوم مخادع على الجناح الأيمن النمساوى لتثبيته بينما يحشد قواته ويتحرك أمام مواجهة العدو الطويلة ليضربه بقوة كبيرة فى الجناح الأيسر . واصطدم الحرس الأمامى البروسى(١) تحت قيادة فريدريك نفسه مع العدو عند قرية « بورن » وسط ضباب الفجر . وانقض البروسيون على الفور بالرغم من عدم تأكدهم من القوات المعادية هل هى قوات أمامية أو جناح العدو الأيمن . وقد ظهر بعد ذلك أنها لم تكن سوى تشكيل متقدم للعدو يتكون من خمسة أفواج وسرعان ما أمكن تمزيقه وسقطت « بورن » . ومنها وبعد تبدد ضباب الفجر استطاع فريدريك رؤية كل مواجهة مواقع العدو . أما أرض المعركة فكانت تنحدر لأسفل خلف بورن وبذلك أمكن إخفاء تقدم الأرتال البروسية الأربعة الرئيسية عن النمساويين .

ومع وصول جيشه الرئيسى أرسل فريدريك الحرس الأمامى لمطاردة أوائل الشاردين النمساويين مع القيام بهجوم مخادع على الجناح الأيمن للعدو ، ونتيجة لاعتقاد «لوسشيسى» قائد الجناح الأيمن النمساوى أنه على وشك أن يواجه هجوماً شاملا ، فقد قام بطلب نجدة سريعة من الجناح الأيسر ، وأرسلت له مع بعض الفرسان التى تعمل فى الجناح الأيسر . وقد كان ذلك نجاحاً كاملا للخطوات التمهيدية لفريدريك والذى بدأ بعدها يضع الجزء الرئيسى من خطته موضع التنفيذ . فقام بتشكيل أرتاله الأربعة فى رتلين والتف بهما إلى اليمين فى اتجاه الجنوب ثم دفعهما إلى يمين العدو ، وتم كل هذا وهما مختفيان عن الأنظار نتيجة لانحدار الأرض . ووصف أحد الذين حضروا هذه المناورة للجيش البروسى : — «أنه من المستحيل على المرء أن يشاهد منظراً أكثر جمالا من تقدم الجيش البروسى ، فكانت كل رؤوس الأرتال موازية كل منها للأخرى ، وعلى مسافات متساوية من الخط الذى يسيرون بمحاذاته ، والفرق كلها تسير بدقة حتى أنها بدت وكأنها فى استعراض عسكرى » .

(١) كان يتكون من ١٠ كتائب مشاة و ٦٠ أورطة فرسان . « المعرب »

وكان القادة النمساويين يتوقعون هجوماً مباشراً بالمواجهة ، وعنـد ما لم يحدث ذلك وصلوا إلى إستنتاج أن الجيش البروسي قرر عدم الهجوم . وفجأة ، صحوا من وهمهم عندما أصبحت رؤوس الأرتال البروسية على مرى البصر وهى تلتف حول جناحهم الأيسر ، مابين «لوبتينز» و « ساجشوتز » ، وطلب « ناداستى » قائد الجناح الأيسر النمساوى العون ، إلا أنه بعد منتصف النهار بقليل أقتحمت المقدمة البروسية تحت قيادة « ويديل » وفى معاونتها بطارية من ست مدافع والتى سرعان ما تبعها « موريس » أمير ديسو ومعه ست كتائب مشاة دفاعات « ساجشوتز » . وأشتبك « ناداستى » مع طلائع الفرسان البروسية والتى تتكون من ٤٣ أورطة تحت قيادة « زيسين » ، ولـكن بعد قتال متأرجح هزم الجنـاح الأيسر النمساوى هزيمة منكرة . وأكتظ الميدان بين « ساجشوتز » و « لوثن » بالشـاردين النمساويين والذين طاردتهم الخيالة البروسية الخفيفة ويتقدم خلفها المشاة والمدفعية البروسية . أما تشارلز اللوريني والذى أصابه الفزع الشديد وهو فى الوسط فقام على الفور بأستدعاء القوات التى كان أرسلها إلى الجناح الأيمن ، وأخذ يرسل المشاة ، كتيبة تلو الأخرى للدفاع عن « لوثن » ، حتى أصبحت القرية مزدحمة جداً بالمدافعين مما أدى إلى أنتشـار الفوضى والأضطراب بين صفوفهم ومواقعهم ، ومع ذلك فقد قاوموا الهجوم البروسى بشجاعة مستميته ، مما أدى أن فريدريك أضطر لدفع قوات أكثر مما كان محدداً لهذه المرحلة ، ولـكن تم الأستيلاء على القرية أخيراً بهجوم بارع قام به حرس « موليندورف » . وكان التقدم التالى للبروسيين شمالا لازال صعباً ، لأنه أثناء الدفاع عن « لوثن » كان لدى الجناح النمساوى الأيمن الوقت لوضع بطارية مدفعية على التل الواقع أعلى القرية . وتحت سـتر نيران المدفعية أستطاعت المشاة النمساوية أن تتشكل فى أتجاه ملائم أى بزواية قائمة على مواجهتهم الأصلية . وأصدر فريدريك أوامره لرتله الأيسر بالتقدم ، المشاة بقيادة « رتزو » والفرسان بقيـادة « دريسن » ، ولـكن نيران المدفعية أوقفتهم . وعلى الفور رد فريدريك على ذلك بتنظيم نيران مدفعيته[1] من فوق ربوة إلى الغرب قليلا من لوثن تسمى « بتربرج » .

وقد أجبر تأثير نيران هذه المدفعية وبمعاونه هجوم القوات البروسية الجناح الأيمن النمساوى

---

(١) وتضمنت عشر مدافع فوق الثقيلة . « المعرب »

على التقهقر للخلف . ومع الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم ، أخذت القوات النمساوية فى الإنهيار ، وقام « لوسيشيسى » بآخر محاولة ، فلبرهة من الوقت أصبحت مشاة « رتزو » فى موقف حرج ، جعل « لوسيشيسى » يتأهب لأطلاق فرسانه للهجوم على جانبهم الأيمن . ولكن كانت أورطة فرسان « دريسين » الأربعين مختفية خلف قرية « رادا كسدورف » وأنطلقت فى اللحظة الحاسمة تحت ستر نيران بتربرج وأنقضت على قوات « لوسيشيسى » من ثلاث جهات وأنزلت بهم هزيمة نكراء . أما باقى المشاة النمساوية فقد هوجمت بنفس الطريقة من جميع الأتجاهات ، وبحلول الظلام كان الجيش النمساوى يلوز بالفرار بأقصى سرعته ، بينما تابع فريدريك أنتصاره فى هذه الليلة حتى « ليزا » فقط . وفى ٦ ديسمبر أعطى فريدريك جيشه قسطا من الراحة ، وبعد ذلك وعلى مدى ثلاثة أيام قام بتطهير بقايا جيش العدو فى الريف المجاور . وفى١٩ ديسمبر سلمت برسلو ، وبذلك أصبح أستيلاء البروسيين على سيليزيا مؤمناً . ووصف نابليون معركة لوثن بأنها : — « معركة عظيمة فى حركتها .. ومناوراتها .. ونتائجها . » وأضاف قائلا : — « إنها وحدها لكافية لتخليد فريدريك ووضعه فى مصاف أعظم القادة » . ولكن بالرغم من أن هذا النصر كان نصراً تكتيكياً باهراً إلا أنه لم يكن أستراتيجياً حاسما ، لأن الحرب أستمرت خمسة سنوات أخرى ، خاضت فيها بروسيا الحرب وحدها ضد خصوم أكبر بكثير مما سبق ، وفى أحد المراحل عام ١٧٥٩ أحتل الروس بالفعل برلين .

ولكن درأ فريدريك الهزيمة بشجاعته التى لا تقهر وبالأنتصارات التالية فى « زورندورف » (١٧٨٥) وفى ليجنيتز (١٧٦٠) وفى ترجو (١٧٦٠) . وفى عام ١٧٦٢ غيرت روسيا موقفها ، وفى معاهدة « سلام » هوبرتسبرج » فى العام التالى أحتفظت بروسيا بسيليزيا والتى تعتبر أحد أكبر الفتوحات التى حدثت فى أوروبا .

خفة الحركة وقوة النيران

لقد خرج الجيش البروسى بعد حرب « السبع سنوات » منهكا ولكن راضياً عن نفسه ، فقد أحتفظ بنظمه وعقائده الراسخة . فى الناحية الأخرى كانت هناك فرنسا حيث صدم الكثيرون فيها من أحداث الحرب ، وبدأت فترة جديدة من إعادة التفكير وإعادة التنظيم .

وكان إستخدام فريدريك للمدفعية التى تجرها الخيول أبتكاراً بالغ الأهمية ، وذلك الابتكار أنعكس على التحسينات الفنية التى أدخلت على المدافع الثقيلة التى صنعت فى السنوات اللاحقة ، كما أنعكس أيضاً على خفة الحركة والأهتمام بها .

وقبل حرب ١٧٤٠ أبتكر « جان دى ماريتز » طريقة جديدة لثقب مواسير المدافع بمثقاب جاعلا بذلك الماسورة أكثر قوة والقذيفة أكثر دقة بالنسبة إلى محيط المقذوف . وأثبت فيما بعد عالم الرياضيات البريطانى بنيامين روبينز أن عبوة أصغر ومدفع أخف يمكن الأنطلاق إلى نفس المسافة التى تطلق إليها عبوة كبيرة من مدفع ثقيل . وأدى كل من هذين الاكتشافين إلى أنقاص حجم المدافع بدون فقدانها فاعليتها . وجاء « جريبوفال » المفتش العام للمدفعية الفرنسية ليطبق هذه الطرق بعد عام ١٧٦٥ ، جاعلا مواسير المدافع أقصر طولا بغرض أن يجعل المدفعية سلاحاً أكثر فى خفة الحركة . وصنعت أيضاً عربات المدافع لتسير بشكل أكثر نعومة ، وحلت الخيول محل الثيران لجر هذه العربات . وهكذا أصبحت المدفعية قادرة على السير جنباً إلى جنب مع قوات المشاة كما لم يعد هناك فاصل كبير فى السرعة بينها وبين الفرسان . وأكثر من ذلك فقد أصبحت أكثر قدرة الآن على المناورة فى المعركة . ولم يمنع ذلك تزايد أعداد المدافع ، وقد ساعد على هذا التطور اكتشاف صهر المعادن بفحم الكوك والذى جعل من المتوفر مدافع من الحديد أحسن وأرخص بدلا من البرونز كما كان سابقاً .

ولم يطرأ تطور فنى مشابه فى الأسلحة الصغيرة ، ولكن زادت قوة النيران نتيجة للخبرة والتدريب . وأوحت دروس حرب « الأستقلال الأمريكية » للأوروبيين بمزايا المشاة خفيفة التسليح . وقد ثبت أن مثل هذه القوات لو دربت تدريباً عالياً على المناورة وإستخدام الأرض فأنها سوف تصبح عنصراً مكملا للارتال الملتصقة للقوة الرئيسية وبذا تزيد كثيراً من فاعلية الجيش فى المعركة .

وقد أوحت التطورات فى المدفعية والقوات الخفيفة بالأبتعاد عن الأفكار التكتيكية التقليدية للقرن ١٨ . وفى عام ١٧٧٨ أقترح « دى تيل » فى كتابه عن « أستخدام المدفعية الحديثة » نظاما لعمل المدفعية المتحركة والمشاة معا . وطبقاً لهذا الأقتراح كان على المدفعية أن

تبدأ المعركة بفتح النيران على مسافة ١٠٠٠ ياردة حيث تقصف من الجنب كل أمتداد خط العدو . وجاء الجنرال « جريبوفال » يحث على أستخدام المدافع الخفيفة الجديدة ذات المواسير القصيرة ، بالرغم من أنها سوف تكون أقل دقة على المسافات البعيدة إلا أنها ستكون أكثر قدرة على الحركة وأكثر فاعلية فى المسافات القصيرة . وكان هناك جدل كبير فيما يتعلق بالجمع بين خفة الحركة وقوة النيران ، وأثار ذلك ما يمكن تسميته بمشكلة تركيز القوى . وأقترح « نولارد » نبذ نظام التشكيل الخطى وأستخدام الأرتال المتوازية ، والتى يمكن بالهجمات المركزة أختراق خط العدو فى نقط مختلفة ، على أن تملأ الفواصل بين الأرتال بالمشاة الخفيفة . وقد تطلبت تشكيلات الأرتال نوعا جديداً من التدريب العملى للمعركة ، وكتاب جوبرت فى عام ١٧٧٢ المسمى « بحث عام فى التكتيك » شرح قواعد مبسطة للتحركات التى يمكن بواسطتها القوات أن تتشكل بسرعة وبدون أرتباك من تشكيل الخط إلى تشكيل الرتل وبالعكس . وأوحت المبادىء التكتيكية الجديدة للهجوم وخفة الحركة ، بأستراتيجية السعى وراء المعركة بدلا من المناورة ، ويمكن بتطوير قوة النيران أجراء عمليات التثبيت بأعداد أقل من القوات . وهكذا أصبح بامكان القائد أن يقسم قواته الرئيسية إلى أرتال هجوم منفصلة ، مع شبكة متقاربة من المجموعات المنتشرة ، والتى إذا أستطاعت التحرك بسرعة كافية ، فتصبح قادرة على إيقاع العدو فى الشرك وأجباره على الدخول فى المعركة . واقترح جوبرت بأن القائد البارع هو الذى يتجاهل القلاع والتى أقلقت الكثير من قادة القرن ١٨ ، والتحرك مباشرة نحو عاصمة العدو ، والتى هى الهدف الرئيسى . وأدت التحسينات الكبيرة فى المواصلات خلال النصف الثانى من القرن ١٨ وخاصة بالنسبة للطرق والقنوات أن جعلت هذه الإستراتيجية أكثر واقعية . كذلك كان هناك تزايد فى الإنتاج الصناعى والزراعى وبالتالى أصبحت الجيوش قادرة على العيش فى الدولة التى تقوم بالعمليات بها ، ومن ثم تستغنى عن أثقال كبيرة من الذيل الإدارى . ومن ناحية أخرى فإن هذه الأفكار الإستراتيجية الأكثر طموحاً وتعقيداً تطلبت تحسيناً ضخما فى التنظيم الإدارى فى وقت السلم .

الثورة الفرنسية

وظلت هذه المبادى العسكرية الجديدة مثاراً للمناقشة لأنها أبحاث غير مجربة حتى قيام

حرب « الثورة الفرنسية » عام ١٧٩٢ لتحطيم كل القديم فى كل المجالات وخاصة فى القوات المسلحة ، بتطهير سلك الضباط . فقد كان على الأقل ثلثى ضباط الجيش الفرنسى قبل الثورة من النبلاء ، وهذا كان فى حد ذاته سبباً هاما للسخط الثورى. وفى عام ١٧٨٩ ألغيت امتيازات النبلاء ، وما أن حل عام ١٧٩٤ حتى ترك ⅔ الضباط النبلاء الجيش .

وبذلك فتحت أبواب الرتب العليا لذوى المقدرة العسكرية . وقد أشعلت الثورة الفرنسية الحماس فى الأمة الفرنسية للديموقراطية ، فتغيرت تماماً السمة المميزة للجيش وأصبح الحرس الوطنى الجديد ، والذى كان نظام تجنيده بالتطوع هو قلب الجيش الجديد القوى ، وبعد فترة وجيزة أصبحت غالبية المجندين من المتطوعين . وكانت الصفة الجديدة والمميزة لهذا الجيش الوطنى القائم على التطوع هى اندفاع الجنود خلف ضباطهم بدلا من دفعهم بواسطة ضباطهم . وتفجرت الحرب فى أبريل ١٧٩٢ بين فرنسا من ناحية والنمسا وروسيا من ناحية أخرى . وكان سبب اندلاعها خشية حكام النظام القديم من الثورة ، وكره زعماء الثورة الفرنسية للنظام القديم .

ومن أجل ثورة الشعب على الطغيان والاستبداد ، فقد هب الفرنسيون ليتطوعوا للقتال . ولم يحقق الفرنسيون سوى نجاح طفيف فى المراحل الأولى من الحرب ، فقد كانت أساليبهم السياسية مضطربة ، كما تفشى التضخم المالى ، كما كان الجيش يفتقر إلى القادة والنظام والتدريب والأمدادات . فالقوة الفرنسية الأولى التى أرسلت لملاقاة العدو عند « تورناى » و « لييج » أنقلبت على أعقابها هاربة . ولـكن مع ذلك فقد كان لدى الفرنسيين الشجاعة والحماس والأفـكار الصائبة وبالتالى فقد تحسنوا بسرعة . ودخلت بـكثرة أفـكار « جريبوفال » و « جوبرت » و « دى نيل » فى كتاب التدريب الرسمى والذى صدر للجيش عام ١٧٩١ . وجاء الاختبار بين الجديد والقديم ، عندما واجه الجيش الفرنسى بقيادة « دوموريز » البروسيين والنمساويين بقيادة « برنزويك » عند « فلمى » فى شمال شرق فرنسا وذلك فى شهر سبتمبر ١٧٩٢ . وكان الدوق « برانزويك » قائد الجيش البروسى النمساوى يعتبر إلى حد بعيد من قادة المدرســة القديمة وفى نفس الوقت أحسن قادة العصر ، نظراً للمناورة الغير مصحوبة بإراقة الدماء والتى قام بها خلال حملته الناجحة فى هولندا عام ١٧٨٧ . أما

« دو مورىز » فكان نهارا للفرص فى نفس الوقت رجلا شجاعا وأفكاره تقدمية وقدير فى القيادة . وكان كلاهما يطالب بأحقيته فى الحصول على لقب القائد العظيم ، وفى الحقيقة فإنه لايحق لأى منهما المطالبه به ، لأن القوات المتضادة أخذت تناور حوالى شهر ضد بعضها . وقد تميزت عمليات الفرنسيين بالتهور والتضارب وعدم الفاعلية ، أما التحركات البروسية فكانت بطيئة للغاية ، تخضع لنظام إمدادات عقيم . وقد ضاع من برنزويك على الأقل ثلاثة فرص للوصول خلف عدوه أو تدميره . وعلى أى حال فعلى ٢٠ سبتمبر بلغ دومورىز إلى موقع دفاعى عند « فالمى » حيث وضع قواته كما كان يرغب تقريبا . وساد الجيشين بعض الإضطراب ، وفى الواقع لم تكن معركة « فالمى » أكثر من تراشق هائل بالمدفعية . وبعد التراشق بالمدفعية فى فترة الصباح أمر « برنزويك » مشاته بالتقدم ، ولكنه سرعان ماسحبهم من أمام نيران المدفعية الفرنسية ، وتوقف فجأة عن القتال بعد أنتصاف النهاربالرغم من أن المعركة لم تكن قد بدأت بشكل فعلى .

وبالرغم من أن معركة فالمى ليست معركة رئيسية إلا أنها كانت إنتصارا فرنسيا لأن « برنزويك » قرر قراراً صائباً ، بأنه لن يستطيع أن يزحف إلى باريس بمثل هذا الجيش وخط المواصلات الطويل وفى هذا الوقت من السنة . وكسبت الثورة الفرنسية فترة راحة حيوية ، كما كان النجاح فى صد العدو يعتبر عاملا نفسيا ذات أهمية كبيرة للفرنسيين .ودعم ثقة الفرنسيين بأ نفسهم نصر آخر حققوه عند جيمابيس . ومع حلول عام ١٧٩٣ كانت جميع القوى الكبرى تقريبا فى أوروبا تتجمع ضد فرنسا ، وكان رد الفرنسيين على ذلك هوقانون ٢٣ أغسطس ١٧٩٣ . وهو البيان الذى أعلن بدء عصر الحرب الشاملة : — « سوف يقاتل الشباب ، وسيقوم الرجال المتزوجين بصنع الأسلحة ونقل الإمدادات وستصنع النساء الخيام والملابس وتخدم فى المستشفيات وسيقوم الأطفال بتحويل خيوط الكتان القديمة إلى ضمادات وسيحمل كبار السن من الرجال إلى الميادين العامة لإثارة وإذكاء روح البسالة والشجاعة فى المقاتلين ، ونشر الكراهية للملوك والحث على وحدة الجمهورية . وسوف تتحول المبانى العامة إلى ثكنات ، والميادين العامة إلى مصانع للعتاد الحربى وسوف تسلم كل الأسلحة النارية ذات الأعيرة المناسبة إلى القوات ، وسوف يحافظ على الأمن الداخلى بواسطة بنادق الصيد والأسلحة البيضاء ، وسوف تأخذ كل الخيول المسرجة للفرسان ، وكل خيول الجر

الغير مستخدمة فى الزراعة لتجر المدفعية وعربات الإمداد .

الحرب تحسم بالمعارك

وأحب أن أختتم هذا الفصل ببعض الملاحظات عن فريدريك الأكبر القائد العسكرى البارز .

ومن المفيد أن نتأمل إذا كان فريدريك قد تأثر بكتابات ساكس الذى كان يكبره بستة عشر عاماً ، والاجابة على الأرجح بالنفى ، حيث أن كتاب « أفكارى الخيالية » طبع عام ١٧٥٧ أى فى العام التى تمت فيه معركة لوثن ، وكان ذلك بعد موت ساكس بحوالى ٧ سنوات ، وبعد تولى فريدريك الملك بـ ١٧ عاماً .

وفى القرن ١٨ ، كان هناك اختلاف بسيط بين الجيوش الأوروبية من حيث الأسلحة والتكتيك وتنظيم الإمداد وبالتالى أصبح أدارة الحرب تتطلب قيادة ذات كفاءة .

وفى هذه الظروف تطلبت الاستراتيجية الحربية قائداً ذات صفات عقلية كبيرة ، وهذه الصفات لم تتوفر فى ذلك الوقت إلا فى إثنين فقط هما « مارلبورو » و « فريدريك الأكبر » وكلاهما جمع بين المهارة فى المناورة مع الإيمان بأن المعركه هى العنصر الحاسم فى الحرب .

وبالنسبة لفريدريك فكانته كقائد كانت مرتبطة بظهور قوة بروسيا العسكرية وأضمحلال الجيش الفرنسى . ويعود ذلك أيضاً إلى نجاح جيش بروسيا ولكن قبل كل شىء إلى الحقيقة التى تعتبر الواجب الرئيسى للملك هو أن يكون جنديا قبل كل شىء . ويمكن تفسير إنجازات فريدريك الكبيرة بخروجه على الاستراتيجية العادية للقرن ١٨ . وكان يؤمن بأن « الجوع ينهك الرجال أكثر مما تنهكهم الشجاعة » وركز على أهمية تجويع قوات العدو (القوات وليس المدنيين) وذلك بالمناورة التى تبعدهم عن مصادر إمدادهم . ولكنه رأى أيضاً أن المناورة وحدها لا يمكن فقط أن تضع الحكم الحاسم بل « تحسم الحرب فقط بالمعارك » ولا تحسم إلا بها .

وكانت رغبته فى المعركة هى التى جعلته فريداً عن القادة العسكريين الآخرين فى عصره.

وحصل على نجاح مبكر فى وقت الحرب المحدودة لأنه كان يختلف عن الآخرين ، فقد كان مستعدا للمخاطرة ودفع جنوده للمعركة فى أى وقت يجده مواتيا . وكان هذا مشابها لإقتراب نابليون إلى الحرب الذى سنبحثه فى الفصل التالى . ويمكن القول أن ظمأ فريدريك للمعركة ، كان سيكون انتحاراً لو كانت جنوده ومعداته الحربية أقل من تلك التى لدى خصومه أو حتى مساوية لهم .

ولكن البروسيون ركزوا إهتمامهم على التدريب للقتـــال وعلى النظام والضبط والربط فكان ذلك يعد مكسباً كبيراً لهم. وقد أنتج هذا جنوداً يمكنهم السير أسرع ، وتغيير تشكيلهم من رتل إلى خط أكثر سرعة ، والتعمير واطلاق النيران بسرعة وفاعلية أكثر من جنود أى جيوش أخرى . وقد أعطت خفة الحركة والدقة لفريدريك مجالا كبيراً للبراعة العسكرية ، على عكس نابليون لم يكن لديه رصيداً لا ينضب من أرواح الرجال . وكان فريدريك مجبراً على القتال فى عدة جبهات خلال حرب « السبع سنوات » علاوة على عدم تساويه مع أى خصم من خصومه الثلاث سواء فى المال أو فى القوة البشرية ، فقد كان عليه التحرك بسرعة من موقع إلى آخر موجها سلسلة من الضربات لكى يمنع إتصالا مميتاً بين الجيوش المضادة له . وإذا كان قد نجح فى ذلك ، فيرجع إلى مقدرته وكفاءته الذهنية ، وإلى قوة تحمل جنوده . وقد قاتل حرباً دفاعية متخذاً مظهر الحرب الهجومية . ونستطيع أن نختم القول بأعلاننا بأن فريدريك كان القائد المتفوق فى الحقبة التى تناولناها فى هذا الفصل .

الفصل الخامس عشر

عصر نيلسون ونابليون وولينجتون

حرب العبقرية الفردية

لم يكتف الثوار الفرنسيون بطرد أعدائهم خارج أراضى فرنسا ، بل واصلوا الحرب فى أوروبا من أجل الديمقراطية والسلب والمجد. واستمرت أوروبا تعانى من الحرب من عام ١٧٩٢ حتى ١٨١٥ .

وهذه الفترة شهدت العديد من أشكال التحالف وانتقال الدول بين الجانبين . وكانت الدولة الثابتة فى القتال ضد فرنسا هى بريطانيا والنمسا وبروسيا وروسيا وكانت كل مرة تكون تحالفاً يضم اثنين أو ثلاثة منها فى كل وقت على حدة ، وكانت بريطانيا هى الدولة المتزعمة للقتال ضد فرنسا فى جميع الأوقات. وفى الطرف الآخر ، كرس الفرنسيون كل استراتيجيتهم فى البر والبحر بقيادة القائد السياسى والعسكرى العظيم نابليون لإلحاق الهزيمة ببريطانيا وتميزت الحرب بالعبقرية الفردية أكثر مما تميزت بالأنظمة أو العوامل الفنية العسكرية . وقد ظهرت خلالها شخصيات تميزوا بالذكاء والبراعة ؛ ولكن سوف نركز دراستنا على ثلاثة منهم : — نيلسون . . . ونابليون . . . وولينجتون .

وكان من الطبيعى أن يبدأ المجهود الرئيسى لبريطانيا فى حربها مع فرنسا فى البحر .

وقد ساعد على ذلك أن البحرية الإنجليزية كانت فى حالة أفضل من جيشها . وفى الواقع نادراً ما كان الأسطول الإنجليزى فى حالة جيدة من التجهيز والاستعداد ، فكان لديه ٥٥ سفينة حربية مستعدة للقتال ، كما تم القضاء وبدرجة كبيرة على الفساد وعدم الكفاءة الإدارية . وعلى العكس نجد الأسطول الفرنسى ضعيفاً ، بينما كان فى الحرب الأمريكية منافساً

قويا للأسطول البريطانى . ومع حلول عام ١٧٩٣ وصل الأسطول الفرنسى إلى حالة من عدم الإستعداد واللياقة لم يشهدها من قبل نتيجة لعملية التطهير الثورية والتى جردته من أحسن عناصره ، وما تبقى بعد ذلك لم يكن على المستوى الجيد ، علاوة على السفن غير المصانة جيداً . واستعاض عن ذلك بالجيش الذى كان يعتمد على الحماس والكثرة العددية . وكان لدى الفرنسيون ٤٢ سفينة قتال فقط يفتقر معظمها إلى الضباط الأكفاء والبحارة المدربين . واستخدم الفرنسيون أسطولهم لمهاجمة السفن التجارية البريطانية والتهديد بغزو إنجلترا . أما الإستراتيجية البحرية البريطانية فى الحرب فكانت ذات ثلاث سمات وهى: تأمين الملاحة للسفن البريطانية ، مهاجمة السفن المعادية ، حماية شواطئها من الغزو . كما حاولت بريطانيا أيضاً استخدام القوة البحرية لتمنح جيشها خفة الحركة ، وبناءاً عليه فقد قامت بعدة عمليات عبر البحار فى « الفلاندرز » و « الهند الغربية » و « الساحل الفرنسى » . ولكن هذه العمليات فشلت فتخلى الإنجليز عنها ، وركزوا جهودهم على حصار الساحل الفرنسى لخنق التجارة الفرنسية ، وإجبار الأسطول الفرنسى على الدخول فى معركة إذا جرؤ على مغادرة الميناء .

وفى الفترة من عام ١٧٩٤ إلى عام ١٨٠٥ أحرزت البحرية البريطانية ست انتصارات رئيسية ، وهكذا كانت هذه الفترة على نقيض فترة المائتى عام السابقة منذ هزيمة الأرمادا ، حيث كانت المعارك البحرية ذات المدى الواسع والحاسم نادرة الحدوث . وظلت السفينة الحربية القديمة محتفظة بنفس صفتها الفنية تقريباً ، ولكن البحارة البريطانيون اكتشفوا أخيراً طريقة فعالة لاستخدامها بكفاءة . وأحد العوامل وراء ذلك هو إدخال نظام الإشارات الشامل ، والذى صممه « كمبنفلت » و « هو » .

وقد استطاعت القادة بكفاءة الإشارات من الإنتقال من التشكيلات الجامدة والسابق وصفها ، إلى التشكيلات البحرية الواسعة والمعقدة والمرنة ولكن مسيطر عليها بواسطة القادة .

أما العامل الثانى فهو القدرة الفائقة التى تميز بها بعض قادة البحر البريطانيين وخصوصاً «هو» و « نيلسون » . وتم إحراز أول نصر إنجليزى بفضل « ريتشارد هو » فى « أول يونيه

المجيد » عام ١٧٩٤ . وكان « هو » يقود ٣٤ سفينة داخل المحيط الأطلنطى حينما أبصر على بعد ٢٥ سفينة فرنسية . وحصل على المبادأة باستخدام نظام الإشارات مع إستخدام تكتيكا جديداً ، وهو إقتحام خط العدو فى اتجاه مضاد للريح . وأصبح بحصوله على موقع مضاد للريح قادراً على اختيار اللحظة المناسبة للانقضاض على العدو فى تشكيل مائل ، واستطاع قطع خط العدو فى نقط متتالية ، وبعد ذلك تشتبك كل سفينة بريطانية مع إحدى السفن المعاديه فى قتال متلاحم من اتجاه الريح ، أى من الموقع الذى يمنع هروب العدو فى اتجاه الريح . وقد سهل نظام الإشارات التنسيق التام للأسطول البريطانى والتى تطلبتها مناورات هذه المعركة .

وكانت معركة « أول يونيه المجد » نقطة انطلاق فى تطور تكتيكات السفن . وقد نجح « هو » فى إدماج خط الاقتراب التقليدى مع نظام تدمير السفن بالقتال المتلاحم معها. واستولى على ست سفن معادية كغنائم مع تدمير سفينة معادية واحدة. ونتيجة لهذه المعركة ولمعركتين أقل منها عام ١٧٩٥ سلم الفرنسيون لبريطانيا بالسيادة فى البحر ، ومنذ ذلك الحين والأسطول الفرنسى قابع فى موانيه متخذا موقف الدفاع .

معركة أبو قير البحرية (أنظر اللوحة رقم ٣٣)

وبالرغم من ذلك ، ففى عام ١٧٩٧ انخفضت معنويات الإنجليز وآمالهم فى الحرب فكان الفرنسيون متفوقين تماماً على البر فى الأراضى الواطئة (هولاندا) وأيضاً فى إيطاليا ، ولم يعد هناك أى قوات بريطانية فى أوروبا . بينما انضمت أسبانيا إلى فرنسا ، واضطرت بريطانيا إلى التخلى عن البحر المتوسط .

وفى شتاء عام ١٧٩٦ — ١٧٩٧ تمكن أسطول « برست » الفرنسى من اختراق الحصار البريطانى ولم يمنعه سوى العواصف من غزو أيرلندا . ولكن «السير جون جرفيز» أنقذ الموقف فى فبراير ١٧٩٧ بانتصاره على الأسطول الأسبانى أمام مياه رأس « سانت فنسنت » . ولكن مرت بريطانيا بفترة غاية فى الخطورة ، وذلك عندما تمردت البحرية الإنجليزية فى أسطول المانش عند « سبتهد » وبعد ذلك فى أسطول بحر الشمال عند « نور » . فقد ساد الإستياء بين البحارة نتيجة لعدم العدالة فى التجنيد والأجور المنخفضة والنظام

الصارم . وقد أجيبت طلباتهم المعقولة والخاصة برفع الأجور وحسن المعاملة ، وبالرغم من ذلك فقد استمرت كتيبة التجنيد الإجبارى والسجون فى إمداد البحرية بأغلب المجندين . وأخفيت أنباء هذا التمرد عن العدو فترة طويلة كافيـة لـكى لا يتم فك حصـار « تـكسيل[1] » .

وفى أكتوبر حقق الأدميرال البحرى « دونـكان » النصر الرئيسى الثالث فى الحرب أمام مياه « كمبرداون » (جوتلاند) مكررا تـكتيكات « هو » الجديدة . وأصبح « جرفيز[2] » اللورد الأول فى الأدميرالية عام ١٨٠١ . وكرس نفسه لإصلاح وإعادة تنظيم الترسانات البحرية وجعل الإدارة سهلة واقتصادية ، وقد وفر بهذه الطريقة القواعد الرئيسية للقوة البحرية البريطانية حتى عام ١٨٠٦ . وكان « جرفيز » ضابطاً بحريا عظيما ، ومقاتلا واستراتيجياً وقائدا وإدارياً ، وكان له عين خبيرة فى الحـكم على الرجال ، وكان هو أول من تعرف على « نيلسون » وشجعه .



نيلسون

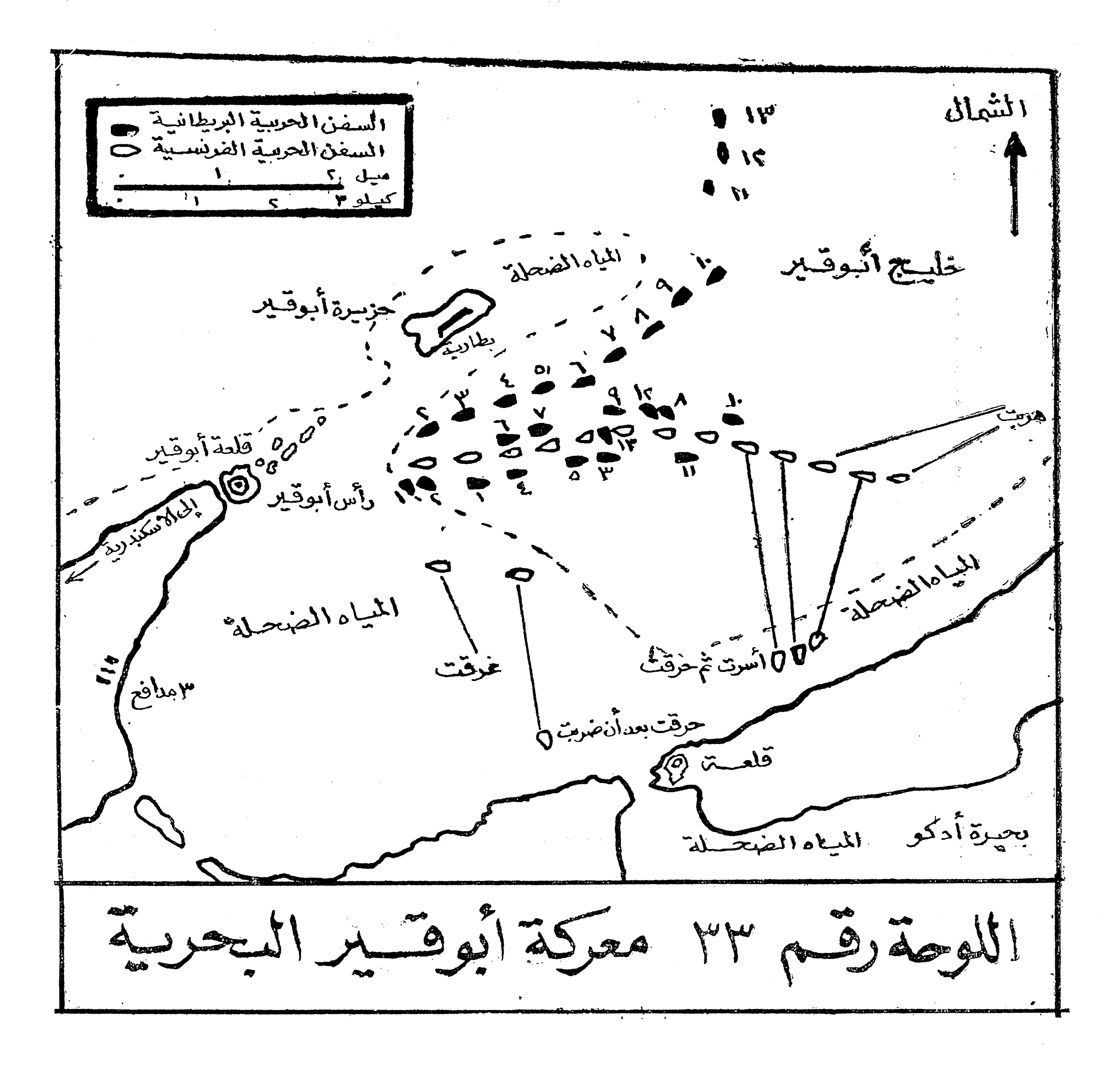
لقد ولد « هوارشيو نيلسون » عام ١٧٥٨ وألتحق بالبحرية عندما بلغ ١٣ من عمره وسرعان مابدأ الطموح يملأه ، ولم يحل عام ١٧٩٣ حتى أصبح قائدا لسفينة حربية ، وفى عام ١٧٩٧ أشترك فى معركة رأس « سانت فنسنت » وكانت خطة جريفز فى هذه المعركة هى أختراق خط العدو ، ثم التحول للهجوم قبل أن يستعيد العدو ترابطه . وكان مواقع نيلسون فى الخط الإنجليزى قرب المؤخرة ، ومن هذا الموقع أستطاع رؤية سفن المقدمة البريطانية وأنها لن تتمكن من العودة بعد تغيير إتجاهها قبل أن يغلق العدو الثغرة التى أحدثها الأسطول البريطانى وساءل نفسه : — هل يترك الخط بدون أوامر ويحاول منع وقوع هذا الخطر

(١) غرب جزيرة فريزيان .

(٢) كان فى ذلك الوقت لورد سانت فنسنت . « المعرب »

الدائم وأخيراً قرر أن يفعل ذلك ؛ وإندفع بسفينته بمفردها داخل الثغرة وأشتبك نيلسون بمفرده و بمدافعه ٧٤ مع سبع سفن للعدو ، حتى أنضم إليه بقية الأسطول البريطانى . وكان نتيجة قرار نيلسون الرائع والواقعى والشجاع هو تحقيق النصر كاملا ، مما أدى أن «جرفير» قام بتهنئته .

وفى أوائل ١٧٩٨ ، ترددت الأنباء عن الحملة التى يجهزها نابليون فى طولون . فى نفس الوقت قرر البريطانيون العودة إلى البحر المتوسط وذلك بعد الأنتصارات التى حققها البريطانيون



اللوحة رقم ٣٣ معركة أبوقير البحرية

فى العام السابق . وأرسل أسطولا من ١٣ سفينة بقيادة « نيلسون »[1] إلى البحر المتوسط إلا أن نابليون أنتهز فرصة هبوب عاصفة هوجاء وأبحر بجيشه البالغ حوالى ٣٥٫٠٠٠ رجل وبأسطول طولون المكون من ١٣ سفينة إلى مالطة وبعدها إلى مصر . وبعد مطاردة طويلة ذهابا وأيابا شملت نصف طول البحر المتوسط عثر نيلسون على الأسطول الفرنسى فى خليج أبو قير وكان ذلك فى وقت متأخر من بعد ظهر أول أغسطس عام ١٧٩٨ . قرر نيلسون الهجوم فى نفس الليلة ، وجرى تخطيط المناورة المؤدية إلى المعركة بعناية تامة ، كما وضع ثقته فى جميع قادة السفن . وأيقن أنه يستطيع الإعتماد على قدرتهم ، وطلب منهم إستخدام مبادأتهم الشخصية فى إطار الخطة التكتيكية الموضوعة . وكان خط الفرنسيين مكونا من ١٣ سفينة حربية راسيه فى الخليج ، وكانت مقدمة الأسطول راسية بالقرب من رأس أبو قير الصخرى ولا يفصلها عنه سوى المياه الضحلة ، وقد أعتقد الأدميرال « بروز » أنه لا تستطيع أى سفينة المرور بين أسطوله والشاطىء . أما البريطانيون ففكروا بأسلوب مختلف ، فما أن بدأ الليل يرخى سدوله حتى قاد الكابتن « فولى » أربع سفن خلال المياة الضحله إلى مؤخرة الفرنسيين بينما بقى نيلسون فى الخارج مع بقية الأسطول . وتم الهجوم على السفن الفرنسية الجامدة فى أماكنها من كلا الجانبين فى وقت واحد . وبدأ الفرنسيون يتخبطون فى حالة إضطراب وفوضى فى الظلام ، ولم يعملوا سوى انتظار الهجوم عليهم . وعند الفجر كانت المعركة قد أنتهت ودمر الأسطول الفرنسى بالكامل ماعدا سفينتين أستطاعتا الفرار . ونتيجة لهذا النصر ، فقد سقط عدد كبير من القوات الفرنسية فى الشرق فى الفخ وأصبح البحر الأبيض المتوسط بحراً بريطانيا ، ودعم السيطرة البريطانية أحتلالهم « لمينورقه » عام ١٧٩٨ و « مالطة » عام ١٨٠٠ .

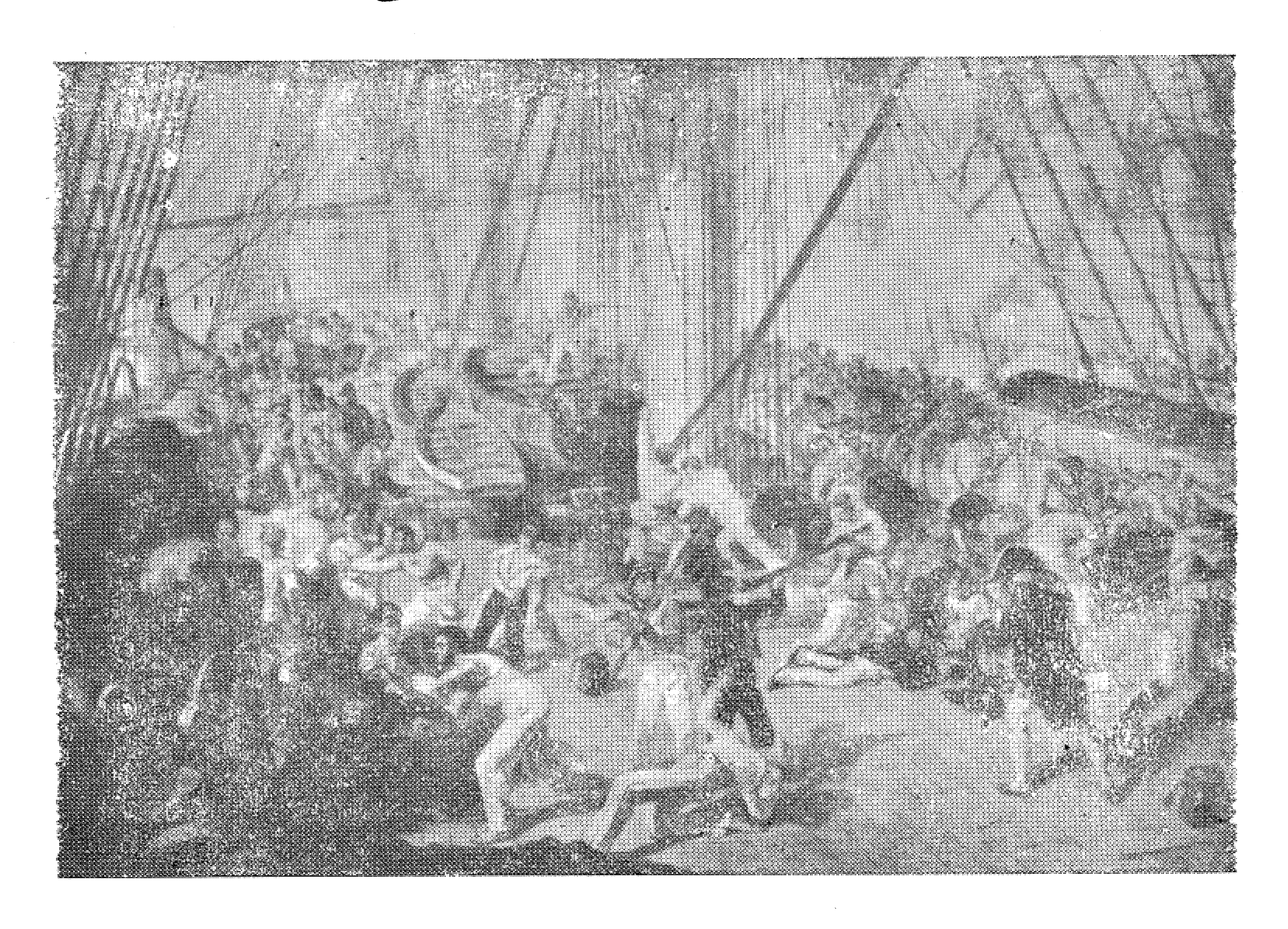
معركة الطرف الأغر (أنظر اللوحة رقم ٣٦)

وكانت عملية نيلسون التالية فى « كوبنهاجن » عام ١٨٠١ ، فكانت بريطانيا تعتمد إلى حد كبير على أسكندنافيا فى موارد ولوازم بحريتها ، وقد أدرك نابليون هذا جيدا ، وكانت له السيطرة على البر وحاول أغلاق الملاحة فى وجه السفن الأسكندنافية المتجهة إلى بريطانيا.

(١) حصل نيلسون فى ذلك الوقت على رتبة اللواء البحرى . « المعرب »

وبناءا عليه ، أرسلت حملة إنجليزية إلى « كوبنهاجن » بقيادة « سير هايد باركر » ويرافقه نيلسون نائبا له ، وأرسلت هذه الحملة فى وقت كان الفرنسيون غير مستعدين . وأستطاع نيلسون إقناع باركر ليسمح له بقيادة أسطول من السفن الخفيفة ضد الأسطول الدانمركى ، والذى كان راسيا وغير مستعد ولكنه فى حماية مدافع قلعة « كوبنهاجن » .

وبعد حسابات دقيقة للوقت والتيارات البحرية والمد أبحر نيلسون ليصب نيرانا دقيقة على العدو . وفى ذروة الأحداث فقد باركر أعصابه وأرسل إشارة إلى نيلسون يطلب منه الانسحاب . وضع نيلسون التلسكوب أمام عينه التى لا يرى بها وأعلن أنه لم ير أى إشارة ، وأستمر فى عملياته بأعصاب هادئة حتى أستسلم له كل الأسطول الدانمركى . فى ذلك الوقت أستمر النجاح العسكرى الفرنسى فى البر ، بينما أفسد هذا النجاح وهدده الخطر المتزايد للقوة البحرية البريطانية والتى لم تقهر . بين عامى ١٨٠٣ ، ١٨٠٥ وضع نابليون عدة خطط لغزو



معركة الطرف الأغر حيث قتـــل نيلسون

بريطانيا ، وتمركز جيش كبير عند بولونى ، ولـكنه كان لايستطيع مهاجمة لندن إلا بعد أن يسيطر على بحر المانش . وبحلول صيف عام ١٨٠٥ تخلى نابليون عن أمل القيام بغزو فعلى لبريطانيا ، ولـكنه ظل مؤمنا بأهمية تحطيم السيطرة البريطانية على البحار ، ولذلك فقد أحتفظ بالجزء البحرى من خطة الغزو . وكان السبب فى ذلك هو محاولة تحطيم حلقة الحصار على كل من « طولون » و « بريست » ثم يوحد الأسطولين ضد أسطول المانش . وكانت هذه الخطة غير واقعية . وعلى أى حال فقد أستطاع أسطول طولون الفرنسى بقيادة « فيليتوف » أختراق حلقة الحصار ، وانطلق نيلسون فى أثره وأجبره على الدخول فى معركة عند « الطرف الأغر » فى ٢١ أكتوبر . وقد دار القتال عند « الطرف الأغر » طبقا للأسلوب التـكتيـكى المستحدث ، وهو أختراق خط العدو ثم الدوران والدخول معه فى قتال متلاحم شديد . وكانت هذه المعركة من أنجح المعارك سواء فى التنسيق بين السفن أو فى التطبيق الـكامل للأسلوب التـكتيكى المستحدث . وقد تم فيها أسر وتدمير ١٨ سفينة من بين ٣٠ سفينة معادية . وفى مثل هذا النوع من المعارك ، فإنه لامناص من وقوع خسائر فادحة بسبب مايحدثه القصف المتلاحق ومايؤدى إليه تلاصق السفن ووجود القناصة من مذابح كبيرة بين الأفراد حتى أن نيلسون نفسه لقى مصرعه فى هذه المعركة . وقد اكتسب نيلسون شهرة مؤكدة كقائد ملهم وبحار بارع ومقاتل مبدع شجاع ، وقد قال عنه « جوزيف كونراد » : — « لقد كان بطلا فى أدائه لواجبه » .

وكانت معركة « الطرف الأغر » أحد المعارك الرئيسية الأخيرة فى تاريخ الشراع ، وأكثرها دقة وكمالا . وكان من أعظم نتائجها أن بريطانيا أصبحت مسيطرة تماما على البحار وليس للفترة التى تلت المعركة فقط ، بل أيضا لبقية القرن ١٩ ، الأمر الذى أمن وزاد من تجارتها . وأكثر من ذلك فقد أستطاعت بريطانيا أن تدعم أوروبا بالأمدادات مع تأمين المواصلات وبذلك ساهمت مساهمة كاملة فى المجهود الحربى لأوروبا ضد نابليون والذى أصبح الآن مقيدا باستراتيجية برية ، وبالتالى أصبح مؤكدا أن هلاكه النهائى محتوما .

أستعد بحذر واضرب كالصاعقة (أنظر اللوحة رقم ٣٦)

وفى نوفمبر ١٧٩٢ أى بعد شهرين من معركة « فالمى » و « جيمابيس » أعلنت الجمعية

الفرنسية أنها سوف « تمنح التأييد والمساعدات لجميع الشعوب التي ترغب فى إستعادة حريتها » وبناءاً عليه أعلن الفرنسيون الحرب على أوروبا ، تدفعهم الرغبة فى تأكيد أمنهم القومى والتوسع وتحقيق المبادىء المثالية . وكانت مصادر قوة فرنسا فى شعبها الذى يبلغ تعداده أكثر من ٢٥ مليون[١] نسمة و٧٣٠٠٠٠ر بندقية من طراز عام ١٧٧٧ ، وأكثر من ٢٠٠٠ر٢ قطعة مدفعية من تصميم « جريبوفال » وقدر كبير من الحماس الذى يلهب صدور الجماهير وعدد من القادة المخلصين الأكفاء .

وكان أقـــدر هؤلاء القادة والذى برز فى الفترة من (١٧٩٢ حتى ١٧٩٧) هو « لازاركارنوت » عضو لجنة الأمن العام والذى رأى أنه : — « يجب تنظيم حماس وطاقة الشعب . » وكان رجلا إداريا وعبقريا ويستطيع العمل لستة عشر ساعة يوميا . وقدأستطاع معالجة المشكلات الرئيسية ومنها أدماج المجندين الجدد من المواطنين مع الجنود النظاميين القدامى ، وذلك فى جيش قومى واحد ، كما نظم هذا الجيش فى شكل وحدات ، وأنشأ نظام تدريب الضباط على الأسلحة المتخصصة ، مع ربط الصناعة والزراعة بالحرب . وأرتفع عدد الأفراد تحت السلاح من ٣٠٠٠٠٠ر فى بداية عام ١٧٩٣ إلى أكثر من ¾ مليون فى عام ١٧٩٤ . وفى عام ١٧٩٨ أنشأ نظام الخدمة الوطنية ويسرى على جميع الشباب غير المتزوج والبالغ عمرهم من ٢٠ إلى ٢٥ عاما . وهـكذا حقق « كارنوت » نجاحاً فى تنظيم القوات بحيث أصبحت هذه الأعداد الـكبيرة منذ البداية مصدرا للقوة أكثر منها عبئا معوقا . وتم تدريب الجيش على القواعد الجديدة لـكل من « جوبيرت » و « بوارست »،وكانت الأسلحة كافية . وحلت مشكلة الأمداد بإنشاء نظام يعتمد فيه الجيش على موارد الأرض التى يقاتل أو يتواجد بها . وفى الفترة بين عامى ١٧٩٣ — ١٧٩٤ كان « كارنوت » مسئولا أيضاً عن الاستراتيجية ، بمعنى أنه كان ينسق ويربط بين تحركات ١٢ جيشا . وكان يؤمن بأن « الصفة القومية المميزة للرجل الفرنسى هى أن يهاجم طوال الوقت . » وقد تم الإستفادة من الأعداد الغفيرة الفرنسية والحماس لديها إلى أقصى حد ، وكذلك بخفة الحركة التى زادت بإختفاء الذيل الإدارى . ومنذ مارس عام ١٧٩٣ كانت هناك سلسلة متعاقبة من الانتصارات

---

(١) يعادله فى ذلك الوقت مجموع تعداد شعوب النمسا بروسيا وبريطانيا . « المعرب »

الفرنسيه. وتحولت النجدات الحربية لتكون إبتهاجات بطولية بالنصر. وقد كتب « مارمونت » عن ذلك فيما بعد قائلا : — « لقد سرنا ونحن محاطون بنوع من الأشعاع الذى لازلت أشعر بدفئه كما كنت أشعر به منذ ٥٠ عاما مضت . » وكتب جندى مشاه من الحرس : — « كنا نقاسى ولكن كنا فخورين بما نعانيه ، وكنا نحاول أن نضحك مما نقاسيه . وشاركنا ضباطنا فى متاعبنا . » وكانت تكتيكات هذا العصر بسيطة ولكنها مكلفة فى الأرواح ، ولكنها كانت أيضاً تلائم الأعداد الجرارة من القوات المتحمسة ويقودها ضباط فى مقتبل العمر لديهم طاقة وشجاعة أكثر مما لديهم من خبرة ومهارة .

وكان يبدأ الهجوم بتقدم حشد مندفع غير مترابط من الرماة المهرة ، ثم تستعد المدفعية لستر التقدم الرئيسى ، حيث تتشكل المشاة فى أرتال عميقة يتقدمهم ضباطهم ثم تندفع وسنا كيها مثبتة فى بنادقهم ، بينما يصرخ الجنود للمحافظة على روحهم المعنوية . وقد برز فى تلك الفترة عدد كبير من القادة الممتازين وكان عمرهم يتراوح بين ٢٠ ، ٣٠ عاما وهم : — « هومش » و « جوردان » و « أوجيرو » و « مودات » و « ماسينا » و « نابليون » وآخرين .

وتعتبر حياة « هومش » نموذجا مميزا لهذا العصر ، فقد استرعى إنتباه « كارنوت » مبكرا ، فقد حقق إنتصارات فى « فروسشويلر » و « ويزيمبورج » بأتباعه حكمته الشخصية التالية : « أستعد بحذر . . وأضرب كالصاعقة . » وفى عام ١٧٩٧ أصبح قائدا لواحد من أشهر جيوش الجمهورية الفرنسية وهو . — « جيش سامبروموس » . وقد دفع النمساويين للخلف حتى « فرانكفورت » ولكنه توفى فى هذا العام وعمره ٢٩ عاما . وكانت وفاة « هومش » إيذانا بإنتهاء عصر الثورة وبداية العصر النابليونى .

الدكتاتور العسكرى لفرنسا (أنظر اللوحة رقم ٣٦)

ولد « نابليون بونابارت » عام ١٧٦٩ فى « كورسيكا » ، وفى الفترة بين عام ١٧٧٩ وعام ١٧٨٥ ألتحق بالكليات العسكرية فى فرنسا وبعد ذلك ، خدم كملازم مدفعية فى « أوكسون » و « فالينس » ، وقد تتلمذ على كتابات « رويبنز » و « بورست » و « دى نيل » و « جريبوفال » و « جويبرت » . وكان نابليون يدين بفضل كبير إلى كتابات جويبرت الخاصة أفكاره عن الأهمية العسكرية للشعور القومى وخفة الحركة وتكتيكات الأرتال وموضوعات أخرى كثيرة .


نابليون

وكان نابليون دارسا متحمسا للتاريخ العسكرى شديد الإيمان بقيمة دراسة هذا التاريخ، كما قرأ أيضاً كتابات « روسو » وكان يؤيد أكثر حزب متطرف فى الثورة ، وكانت أول شهرته العسكرية فى فك حصار طولون عام ١٧٩٣ ، عندما هاجم بطارية مدفعية إنجليزية وخرج منها بجرح فى فخذه من طعنة سونكى . وقضى بعدها بعض الوقت فى إيطالية ، ثم توجه إلى باريس حيث كون صداقات مع ذوى النفوذ ، متجنبا فى نفس الوقت القيام بالأعمال التى لاترجى منها فائدة . وتزوج هناك من « جوزفين دى بوهارنى » عام ١٧٩٦ ، والتى كانت أرملة لجنرال ثورى . وبعد الزفاف بيومين عين نابليون ليقود جيشا فى إيطاليا . وكان عمره آنذاك ٢٦ عاما . وفى بداية حملته كان معه ٣٨٫٠٠٠ مقاتل لكى يواجه بهم ٤٧٫٠٠٠ من النمساويين والسردانيين، وإلى جانب قلة عدد جيشه كان ضعيف التجهيز . وبعد ستة أسابيع من القتال ، أمكن لنابليون أن يقول لجنوده وبدون مبالغة كبيرة : — « لقد كسبتم المعارك بدون المدافع ، وعبرتم الأنهار بدون الكبارى ، وقمتم بمسيرات قهرية بدون أحذية ، وعسكرتم كثيرا بدون طعام . » وفى الحقيقة لقد تم أحراز ١٢ إنتصارات فى ١٢ شهرا والتى كان أشهرها « لودى » و « كاستيلون » و « وباسانو » و « أركولا » و « ريفولى » وتم تطهير شمال ووسط إيطاليا من النمساويين . وتقدم نابليون إلى مسافة حوالى ٨٠ ميلا من فينا قبل أن يبدأ مفاوضات السلام . وإذا نظرنا إلى عوامل نجاحه لوجدنا أنها تكمن فى سرعة التحركات والمرونة فى المناورة والقدرة على حشد القوات والقيام بأقوى إندفاع فى أضعف نقاط العدو . وقد رفعت هذه الإنتصارات المستمرة الروح المعنوية للفرنسيين بدرجة خيالية كما أدارت رأس نابليون بدرجة كبيرة وقد قال فى سانت هيلانه : — «لقد أدركت فقط فى المساء بعد معركة « لودى » بأننى مخلوق متفوق ولديه المقدرة والطموح على القيام بأعظم الأعمال : » وقد لاءمت المرحلة التالية والتى كانت الحملة المصرية عام ١٧٩٨

ميول وشعور نابليون . ولم تكن هذه الحملة من الناحية الاستراتيجية ذات معنى ، كما أفسد نصر نيلسون فى أبى قير أى قيمة للنصر فى معركة الأهرام . وفى عام ١٧٩٩ ترك نابليون جيشه وأسرع عائدا إلى فرنسا حيث تعين عقب إنقلاب سياسى فى منصب « القنصل الأول للدولة » ، وكان ذلك يعنى بأنه أصبح الدكتاتور العسكرى لفرنسا. وفى الحقيقة كان كقنصل أول ، حاكما قديرا وعلى درجة عالية من الثقافة . ومن بين الكثير من منجزاته وأهمها فى القيمة قيامه بجعل الإدارة المدنية الفرنسيةوالقانون والتعليم والكنيسة أكثر عدلاوكفاءة . وقد إنتهت حرب « التحالف الثانى » فى أوروبا بعد هزيمة النمساويين عند « مارنجو » و « هوهينليندن » عام ١٨٠٠ . وفى عام ١٨٠٢ تمت هدنة مع بريطانيا .

لقد كان نابليون رجلا ذكياً جداً ونشيطاً وقوى الإرادة ، حتى أنه سيطر على جميع المحيطين به ، كما كان يتمتع بأكتفاء ذاتى مستقل فى رأيه عن الآخرين ، وقد قال عنه « كولينكورت »[1] : — « كان دائماً يستغل كل وسائله وكل مميزاته وكل إنتباهه فى كل لحظة يقوم فيها بالعمل أو المناقشة ، وقد وضع الأثارة والإهتمام فى كل شىء . » وكان نابليون أستاذاً فى الإستراتيجية ، وكان مدى وسرعة وتنسيق عملياته فريدة وفذة . وعندما أصبحت الطرق أحسن حالا قرر أن يتحرك بسرعة ، وبالمناسبة كان هو شخصياً عبقرياً فى إنشاء وشق الطرق . وعند وضع الخطط كان يعتمد على المعلومات التى يزوده بها هيئة قيادته ، والتى رأسها رئيس أركانه « بيرثيير » و « كونت دارو »[2] ، وكان يراعى أن تكون هذه المعلومات حديثة ، فكان يسهل الحصول فوراً على كل ما يختص بأى موضوع مطلوب . وكان يسبق تنظيم أى حملة بحث تفصيلى دقيق . أما الأوامر النهائية فكان يصدرها نابليون بنفسه ، وكانت تتضمن كل شىء مثل مسافة وطريقة التحرك لكل فيلق .

وكان نابليون يهتم جداً بالأسلحة والزى والأعداد والموارد المالية وإدارة المناطق المحتلة. وكان من عادته إملاء عدة سكرتارين فى وقت واحد وأيضاً كان لاينام لعدة أيام متوالية ، وكان يعتبر الفترة الطويلة التى تستنفذ فى تحضير وتجهيز الحملة على أنها ذات أهمية بالغة .

---

(١) لقد رافقه عن قرب لمدة عشرة سنوات .

(٢) كان ضابط إدارى عبقرى . « المعرب »

الرجال تستخرج من احشاء الأرض

كانت إستراتيجية نابليون دائماً هجومية ، وقد دارت حملاته الأولى فى إيطاليا خلال مناطق ضيقة نسبياً وبأعداد صغيرة نسبياً . ومن الممكن فى إيطاليا نشر ٣٥٠٠٠ مقاتل على مواجهة ٢٠ ميلا ، بينما كان نابليون يناور لحشد قوة متفوقه عند النقطة الضعيفة للعدو والتى تكون فيها مواجهته أكثر إمتداداً . وكان دائماً يضع نصب عينيه ما يطرأ من تطورات فى المناطق المجاورة . كما كان يخطط لحملاته بحيث تعطى أقصى مميزات سياسية يمكن الحصول عليها مباشرة بمجرد إنتهاء القتال الفعلى بنجاح . وقد قال وزير خارجيته « تاليران » بأنه كان يستغل إنتصاراته بطريقة تامة بحيث يحولها بشكل شامل إلى إنتصارات سياسية . وبعد عام ١٨٠٥ أبتكر نابليون أسلوب إستراتيجى جديد يلائم الجيوش التى تتكون من ٢٠٠٠٠٠ مقاتل وتتناسب مع المدى المتزايد لأغراضه السياسية . وقد إستخدم لأول مرة تشكيل الفيلق ذو الاكتفاء الذاتى والذى يتكون من فرقتين أو ثلاثة . وظلت السرعة والتحرك الدقيق من سر نجاحه . وكان يستخدم فيلقا قوياً كحرس أمامى ليثبت العدو ، بينما يناور بالفيالق الأخرى لتشتيت قوات العدو ، أو الإلتفاف على جانبها أو تطويقها أو توجيه ضربة قاضية مدمرة نهائية . وكانت تكتيكات نابليون هجومية أيضاً وتستغرق تحضيراً طويلا . وكان يعمل أقصى مافى وسعه لتحديد سير المعركة مقدماً ، كما كانت لديه حاسة دقيقة فى تقدير الوقت خلال القتال . كما قال : — « أن لحظة واحدة يمكنها أن تحدد مصير المعركة . » و « خلال الإشتباك توجد لحظة تصبح فيها أقل مناورة عملا حاسماً وتحقق النصر ، إنها مثل نقطة الماء التى تجعل الأناء يفيض » . وكانت نظرته للأرض بارعة . وكتب « كولينكورت » : — « كان يبدو وكأنه يستخرج الرجال والجياد والمدافع من أحشاء الأرض . » ، وكانت المشاة هى السلاح الرئيسى فى جيوش نابليون، ومن حيث المبدأ أستخدمت المشاة فى تشكيل مختلط[1] . وكان التشكيل الخطى[2] له مزايا هو إنتاج أقصى قوة نيران من القوات ، بينما فى تشكيل الأرتال لايستطيع إستخدام سوى صفين من البنادق أو نحو ذلك .

---

(١) تشكيل مكون من بعض الكتائب فى تشكيل الخطوط وآخر فى تشكيل الأرتال .

(٢) كانت تستخدمه معظم الجيوش الأخرى . « المعرب »

ولكن من ناحية أخرى فالقوات التى ينقصها التدريب لاتطلق نيرانها بثبات ، كما أن الصدمة النفسية الناجمة عن القوات المحتشدة فى أرتال كانت كبيرة . وقد دافع « جوبرت » عن الأرتال فى أحوال معينة ، كما أنها أثبتت جدارتها فى حروب الثورة . ومنذ الحملات الإيطالية ومابعدها أستخدمت الجيوش الفرنسية التشكيل المختلط بنجاح كبير ، مغيرين تكتيكات هذا التشكيل تبعاً للأرض ومقاومة العدو . وكان الأسلوب الرئيسى المعركة هو قيام مجموعات من الرماة المهرة بمناوشة ومضايقة العدو ، ثم تتقدم الكتائب فى تشكيل الخط لتحتوى ذلك العدو وتضعفه إلى حدما وتمنعه من تجميع قواته ، وعندئذ تندفع الأرتال لإختراق خط العدو والذى أستنزف وفقد ترابطه . وقد أثبتت هذه التكتيكات نجاحاً دائماً فى المعارك .

وكان تسليح المشاة هو البندقية(١) ذات الماسورة الملساء والتى تعمر من أمام ولهازناد ذوصوانة ، ولم تكن لها فاعلية كبيرة لأن الصوان كان يحتاج بإستمرار إلى تغييره ، كما أن الماسورة تصبح شبه مسدودة نتيجة لإستعمال البارود الخشن . أما البارود نفسه كان يصبح عديم القيمة إذا ماأدركته الرطوبة . وكان الجندى المدرب تدريباً عالياً لايستطيع أن يطلق سوى طلقتين فى الدقيقة . وفى الحقيقة لم يشغل نابليون نفسه كثيراً بتطوير قوة نيران الجيش بواسطة التدريب ، فى نفس الوقت كان المرمى المؤثر المقذوف لايتجاوز ٢٠٠ ياردة ، وهذه المسافة تكون نسبة الخطأ فيها يصل إلى ٩ أقدام . ولذا أخترعت البندقية الأكثر دقة ، ولكنها كانت بطيئة فى العمل وغاليه الثمن ، وبالتالى كان إستعمالها نادراً . وبما أن نابليون كان ضابط مدفعية ، فكان دائماً يجعل المعاونة الرئيسية للتشكيلات من المدفعية ، وقد كان سعيد الحظ لأن التقدم التكنولوجى والصناعى فى عصره وصل إلى الحد الذى مكن القائد من إستخدام المدفعية بإسراف . وحتى ذلك الوقت ، كانت المدفعية توزع على طول مواجهة التشكيل لتعرقل قوات العدو أثناء تشكيلها وتضعف مواجهته قبل أن يبدأ المعركة الرئيسية . وقام نابليون بأعادة تنظيم المدفعية فى آلايات ، واستغل خفة الحركة للمدفعية التى تجرها الخيول والذى وضعه « جريبوفال » . وفى المعركة كان نابليون يحشد مدفعيته ، ففى معركة

---

(١) طراز القرن ١٨ . « المعرب »

« برودينو » كان لديه ٢٠٠ مدفعاً ، وأستخدمها فى فتح الثغرات فى صفوف العدو قبل دفع أرتال المشاة .

ومع مرور الوقت ، بدأت نوعية قوات نابليون فى الهبوط ، لذلك أصبح يعتمد بشكل كبير على المدفعية معلقاً عليها أهمية تكتيكية متزايدة فى نفس الوقت لم يكن هناك جديد فى المدافع ذاتها ، فكانت مواسيرها ماساء وتعمرمن الأمام وتستخدم البارود الخشن ، كما أن نيرانها لم تكن سريعة أو دقيقة ، فكان من الممكن إطلاق مقذوفين فى الدقيقة ويصل المقذوف زنه ١٢ رطلا إلى مسافة ٣٥٠٠ ياردة .

أما الفرسان ، فظلت محتفظة بوظيفتها السابقة وهى الإستطلاع وتوفير الحماية فى التقدم والإنسحاب والقيام بعمليات صغيرة وعلى مسافة من الجيش الرئيسى . وقد أستلزم الأمر وقتاً طويلا لبناء قوات الفرسان بعد الثورة ، لأن ذلك الأمر كان باهظ التكاليف كما كان أفراد آلايات الفرسان تتألف من الطبقة الأرستقراطية . وقدجاء نابليونوغير تنظيم الفرسان وكلفها بمهام هامة فى المعركة . وبظهور نظام الفرقة ، كوحدة مستقلة وتتشكل من جميع الأسلحة وبقوة ٦٠٠٠ إلى ٩٠٠٠ رجل ، فقد أصبح الأمر يحتاج إلى وحدات من الفرسان أصغر مما كانت عليه فى الماضى وتكون مرتبطة أكثر وذات مرونة مع قوات المشاة ، ولذلك شكلت الفرسان الخفيفة « الشوسير »[١] و « الهوسار » فرسان الفرق والفيالق .

أما الفرسان الثقيلة فقد خفضت إلى النصف ، وسلح هذا النوع بالسيوف ودرع للصدر ودرع للظهر . ولكنها لم تخصص للفرق بل أحتفظ بها فى تشكيلات مجمعة للقيام بالهجمات القوية فى اللحظة المناسبة فى القتال .

أما الفرسان المتوسطة (الدراجون) فأصبحت مجرد مشاة راكبة وشكلت هى وبعض الفرسان الخفيفة لتكون الإحتياطى الرئيسى للفرسان ، والتى كانت مهمتها متابعة النجاح بمطاردة نشطة للتأكد من القضاء على فلول الجيش المنهزم تماماً ، كما حدث فى حملتى « ألم » و « جينا » . وكان من أعظم ضباط فرسان نابليون هو « مورات »[٢] والذى جعله بعد ذلك ملكاً على نابولى .

(٢) هم القناصة من الفرسان .

(١) زوج أخت نابليون وكان متهوراً وله نزوات ولكنه كان قائداً ملهماً . « المعرب »

الطريق مفتوحا للنابغين

وكان أحد مبادىء الثورة « الطريق مفتوحاً للنابغين » ، وقصة حياة نابليون لتؤكد حقيقة هذا المبدأ ، وقد قيل أنه يمكن لكل رجل فى الجيش الفرنسى حمل «عصا المارشالية» لو ثبت كفاءة وإمتيازاً .

ومثال لذلك فمن بين ٢٦ مارشالا الذين صنعهم نابليون لم يكن من بينهم سوى أثنين فقط من طبقة النبلاء .

وعلى أى حال ، بالرغم من أيمان نابليون بالنبوغ أكثر من الأصل ،إلاأنه سرعان مافقد أيمانه بمبدأ المساواة.

فقد كانت المارشالات غارقين فى الإمتيازات إبتداءاً من وسام الشرف الجديد إلى كرسى العرش فى مملكة .

وكانت المدارس العسكرية مثل مدرسة «سانت كير» مخصصة للنابغين . وشكلت آلايات ممتازة وخاصة آلايات الحرس الجمهورى ، ولم يكن مسموحاً بعمل أى مقاتل فى الحرس الجمهورى إلا إذا كان قد إشترك فى أربعة حملات على الأقل أو يكون قد جرح مرتين أو قام بأعمال مجيدة تميزه عن غيره .

وكان المقاتل فى الحرس الجمهورى يحصل على مرتب أعلى مَن أى مقاتل فى أى آلاى آخر علاوة على المعسكرات والتعيينات الأفضل ، كما كان له شرف حراسة الأمبراطور . وتعددت المناصب والرتب فى الجيش ، كما كان هناك أزياء فاخرة للاحتفالات ، وقد أساء كل ذلك للمبادىء الأصلية للثورة ، ولكنها كانت مفيدة لرفع الروح المعنوية . وكان الكثير من المارشالات وآخرون غيرهم جنوداً أكفاء ، فإلى جانب « بيرثيير » و « مورات » واللذين سبق الإشارة إليهما ، فكان هناك أربعة آخرون يستحقون الذكروهم «دافوت» و«ماسينا» و« نى » و « سولت » . وقد حارب « دافوت » أولا مع نابليون فى مصر ، حيث كرس نفسه تماماً لخدمة سيده . وكانت صفاته هذه هى التى تميزها ضباط وحدته ، وكان منظماً عالى الضبط والربط ، تهابه القوات ولكنه محترم بينهم ، وإلى جانب ذلك كان مقاتلا صلباً ، وأستطاع أن يفهم عقلية نابليون تفهما عميقاً وتاماً . وفى عام ١٨٠٦ أحرز إنتصاراً هاماً على

البروسيين عند « أورستادت » بالرغم من المصاعب الكثيرة التى قابلته ، كما قام بعمله بشكل خارق فى روسيا .

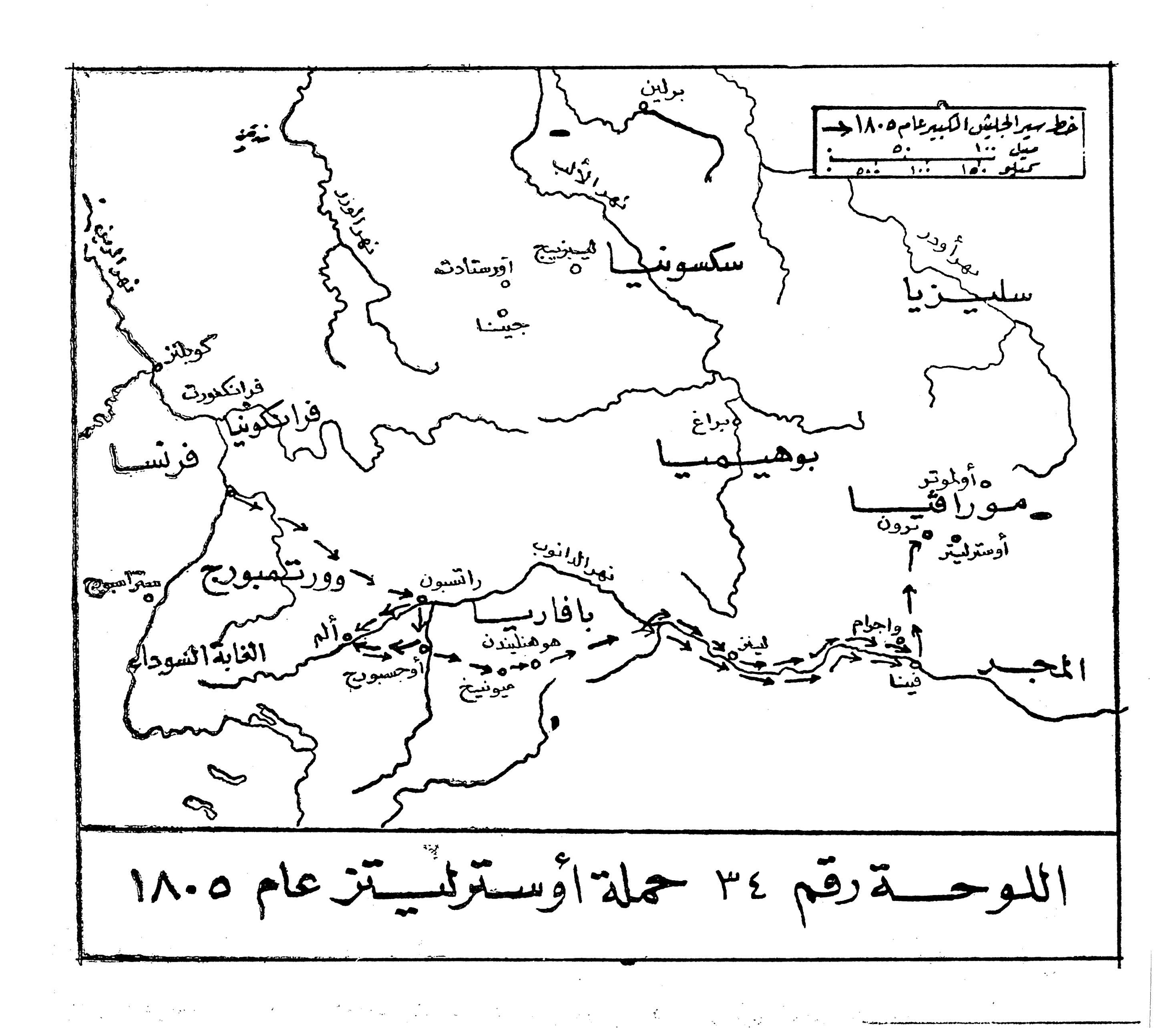
وقد قال نابليون عن « ماسينا » : — « أنه يتميز بصفات عسكرية ، لا يملك الفرد أمامها إلا أن يركع » .

وكان مساعداً مفيداً لنابليون فى إيطاليا عام ١٧٩٦ ، واستطاع صد جحافل جيش « سوفوروف » الروسى الرهيب فى سويسرا ، ولكن هزمه ويلنجتون فى أسبانيا . والآن فقد وصلنا إلى القائد الثالث « نى » وكان قائداً عظيما للفرسان ، وعندما تولى قيادة حرس المؤخرة أثناء الإنسحاب من موسكو عام ١٨١٢ ، أثبت جداره تستحق وسام نابليون « أشجع الشجعان » ، ولكن جاءت معركة « ووترلو » لتظهر ضعف « نى » ، فقد أختفت حكمته عندما فقد كل شىء ، وقد حوكم بعد ذلك أمام مجلس عسكرى وأدين وأعدم رمياً بالرصاص فى ٧ ديسمبر عام ١٨١٥ فى باريس . أما « سولت » فكان منظماً بارعاً وتكتيكياً قديراً . وهناك آخرون يستحقون الإشارة إليهم أمثال « مارمونت » خبير المدفعية و « أوجارو » القائد الشجاع المقدام . وعلى أى حال فإن جميع هؤلاء ساروا تحت ظل نابليون ، ولولا عبقرية وإلهام نابليون لما أصبحوا فى هذه المكانة العالية .

نابليون ينصب نفسه امبراطورا (أنظر اللوحة رقم ٣٤ ، ٣٥)

وفى عام ١٨٠٥ شرع نابليون فى إنشاء إمبراطوريته ، وفى صيف هذا العام تحالفت كل من بريطانيا والنمسا وروسيا ضده . وفى ذلك الوقت أصبح واضحاً له أنه لا أمل له فى غزو إنجلترا ، ولذلك وجه إنتباهه إلى الشرق . ومع حلول أغسطس كانت هناك قوات ضخمة تحشد ضده ، ولكنها كانت لاتزال متفرقة . وكان محور القتال الرئيسى سيكون وادى الدانوب ، الذى يجرى عبر النمسا ممتداً نحو روسيا . وكانت قوات « مسينا » البالغة ٥٠٫٠٠٠ مقاتل تستطيع حجز ٨٤٫٠٠٠ نمساوياً فى إيطاليا ، وكان يقودهم « الأرشيدوق شارلز » أقدر قادة العدو . ومن ناحية أخرى كان على نابليون أن يتعامل مع جيش نمساوى يتكون من ٥٨٫٠٠٠ مقاتل على جبهة الدانوب تحت قيادة « ماك » ، وكذلك جيشين روسيين ، أحداهما تحت قيادة « كونوسوف » والذى كان على وشك التقدم خلال « غاليسيا » والآخر

كان يحشد فى بولندا ، كما كان هناك عمليات أخرى تنذر بالخطر فى الأراضى الواطئة وفى جنوب إيطاليا ، ولكنها لم تكن ذات أهمية رئيسية ، كما كان فى إمكان نابليون السيطرة عليها . قدر نابليون موقفه فوجد أنه إن لم يقم بتوجيه الضربة أولا فمن المحتمل أن يحشد العدو حوالى ١٤٠٫٠٠٠ مقاتل فى أوائل الشتاء فى « آلم » للاندفاع داخل فرنسا ، وقدر نابليون مسافة تحركه إلى « آلم » من « بولونى »[١] فوجدها أقل مما لدى الروس ، وبناءاً عليه قرر أن يضرب مبكراً وبسرعة مسدداً الضربات لأعدائه قبل تجمعهم ، وذلك بالقيام أولا بالقضاء على الجيش النمساوى عند « آلم » وبعد ذلك يتحرك هابطاً الدانوب ليسدد ضربة إلى الروس . وقد



اللوحة رقم ٣٤ حملة أوسترليتز عام ١٨٠٥

---

(١) كان جيشه لا يزال محتشداً هناك . « المعرب »

عاونت نابليون هيئة قيادته إلى أقصى حد ، عند تخطيطه لتحرك ١٥٠٫٠٠٠ مقاتل من ساحل المانش إلى الدانوب فى أواخر صيف ١٨٠٥ . وحتى يخفى قوته ونواياه عن النمساويين ، فتجنب سلوك الطريق المباشر خلال الغابة السـوداء ، بل تحرك خلال « فرانكونيا » و « وورتمبورج » فى اتجاه الجنوب الشرقى ، حتى وصل إلى الدانوب خلف « آلم » مطوقاً ومفاجأ مؤخرة النمساويين . وتحرك « جيشه الكبير » فى سبعة أرتال متفرقة ، ويحمى جنب المشاة المتحركة ٢٢٫٠٠٠ من الفرسان و ١٠٠٠ مدفع تجرها الخيول ، وكان يقودها « مورات » . وأنطلق فى الأمام مع الفرسان ٧٠٠٠ رجل من الحرس تحت قيادة « بيزيرى » ومعهم نابليون . وقد دفع مختلف أنواع القوات بشكل تدريجى فى المسافة بين « مانهيم » حتى « ستراسبورج » وفى ٢٤ مسيرة بحيث تتحرك شمال الغابة السوداء ثم تتقدم بعد ذلك سويا على مواجهة ٨٠ ميلا وقد وضعت الأمدادات فى أماكن الوقفات المخططة سالفاً .

وقد أغوى أنحراف الفرنسيين فى الغابة السوداء « ماك » للتقدم إلى أعلى الدانوب ليقطع إتصالهم مع الخلف ، إلا أن « الجيش الفرنسى » تابع برنامج مسيرته بكل دقة . وكان نموذج التقدم اليومى مشابهاً لتقدم جيش مارلبورو إلى الدانوب عام ١٧٠٤ ، وذلك ببدأ المسيرة عند الفجر ، وقطع مسافة ٨ إلى ٢٥ ميلا فى اليوم ، ويتم التوقف عند منتصف النهار فى معسكر معد . وكانت الروح المعنوية عالية فى الجيش الفرنسى حتى المراحل النهائية عندما أصبحت الأمدادات أقل انتظاماً والطقس رديئاً .

وفى ٧ أكتوبر عبرت الأربع فيالق الأولى نهر الدانوب ، وفى ٩ أكتوبر طوقت القوات الفرنسية « آلم » .

وقامت الفرسان الفرنسية بمطاردة ١٨٠٠٠ نمساوى حاولوا الهرب ، وتم استسلام ماك بعد عشرة أيام ومعه ٣٠٫٠٠٠ رجل والذين بقوا من جيشه ، وهكذا حقق نابليون المرحلة الأولى من استراتيجيته بأنتصار كامل وبدون أراقة للدماء .

والآن بدا أحتمال تعبئة البروسيون أنفسهم أيضاً للحرب ضد فرنسا . وقد عزز ذلك من رأى نابليون بأن العمل الهجومى الجرىء والسريع هو أنسب خطة . وفى ٢٦ أكتوبر أنطلق الجيش الفرنسى سريعاً فى اتجاه فينا ، ولكن الرجال قد أدركهم التعب علاوة على الطقس



معركة أولم وهى قمة لعبقرية نابليون العسكرية والاستراتيجية

الشتوى الممطر ، وأهم من كل ذلك وجود جيش « كوتوسوف » المكون من ٦٥٫٠٠٠ روسى أمامهم .

وأصبحت الحملة الآن قتالا أكثر منها مسيرة للنزهة . قرر نابليون تطويق « كوتوسوف » ، ولكن الروس واصلوا محاولة عرقلة تقدم الفرنسيين وذلك بالقتال التعطيلى ثم الانسحاب للخلف ، وفى أحد المواقع كاد الروس أن يقطعوا تقريباً الاتصال بين فيالق

« مورتير » . ودخلت القوات الفرنسية فينا فى ١٤ نوفمبر واستولت على مستودعات عسكرية قيمة ، ولـكن فى هذا الوقت تلقى نابليون أنباء « الطرف الأغر » وكان جيشه قد أصبح فى وسط أوروبا المعادية .

ووجد نابليون نفسه أنه لن يستطيع اللحاق بكوتوسوف قبل أن يدعمه الجيش الروسى الثانى ، ومن المحتمل أن يعزز بجيش بروسى أيضاً . وفى الواقع بدا كما لو أن نابليون قد وقع فى الفخ . ولـكنه نصب فخاً مضاداً فى « مورافيا » حيث كانت أرضها تصلح للدفاع لوجود موانع طبيعية بها ، فتوقف هناك ليريح جيشه ، وأخذ يحاول إيجاد طريقة لاستفزاز العدو ودفعه لمهاجمته . وقد وصلته أنباء بأن الجيش الروسى النمساوى الموجود عند « أو لموتز » يتزايد حجمه بشكل مستمر وقد بلغ تعداده حالياً ٨٥٫٠٠٠ ويتوقع أن يلحق بهم ٦٠٫٠٠٠ من بولندا مع احتمال وصول ٨٠٫٠٠٠ نمساوى من خلال جبال الألب لمساعدتهم ، أما البروسيون فـكانوا فى ذلك الوقت قد بدأوا فى تعبئة قواتهم وأصبح أمام نابليون حوالى شهراً ليلعب بهم. وكانت خطته هى إغراء الروس لمهاجمته وذلك بأن يظهر أمامهم بجبهة ضعيفة ، بحيث لا يسمح لـكوتوسوف بأن يرى أكثر من ٥٠٫٠٠٠ مقاتل عند « برون » وهى فيالق « لاننز » و « سولت » و« الحرس »وثلاث فرق من الفرسان ،ولـكن فى الحقيقة كان يوجد أكثر من ٢٠٫٠٠٠ الف آخرين تحت قيادة « برنادوت» و« دافوت » فى الاحتياط ، وقد انتشروا فى فيالق على مسافة من ٤٠ إلى ٦٠ ميلا فى الخلف ، ولـكنهم مستعدون للتحرك فى ظرف ٢٤ ساعة من إصدار الأمر لهم ، وبذلك سوف يعتقد العدو أن لديه تفوقاً عددياً بنسبة ٢:١ بينما فى الحقيقة كانت الأعداد متساوية تقريباً .

واعتباراً من ٢١ نوفمبر كان نابليون واثقاً تماماً بصلابة الأرض التي يقف عليها ، وقرر فى ذهنه المدخل التـكتيكى العام للمعركة التى كان يخطط لخوضها . وكانت المنطقة بين« بدون» و « أولموتز » ذات شكل رباعى ، بحيث يحد هذه المســاحة من الشمال خط مستقيم من المرتفعات ذات الغابات وتعرف بإسم جبال مورافيا ويسـير إلى جنوبها مباشرة الطريق الرئيسى ويتفرع منه فى اتجاه الجنوب الشرقى وصلة إلى قرية أوسترليتز وذلك على مسافة ٣ أميال .

ويوجد مجريان مائيان يهبطان من الجبال ويلتقيان إلى الجنوب قليلا من الطريق ليكونا مستنقع نهرى يسمى «جولدباش» والذى يجرى فى اتجاه الجنوب إلى أن يصل إلى بحيرات ضحلة سبخة تحدد الطرف الجنوبى للمنطقة. وكان هناك سبع قرى على نهير الجولدباش والموضح أسماؤها على الخريطة .

ولم يكن المجرى المائى يشكل مانعاً ولكنه كان يحدد قسمى تضاريس الأرض فإلى الغرب منه سهل منبسط يمتد إلى مدينة « برون » المحصنة جيداً ، والتى كانت محتلة بالفرنسيين وإلى شرق « الجولدباش » هضبة ، تسمى « براتزن » وترتفع تدريجياً ٣٥٠ قدماً من المجرى ثم تنخفض بانحدار شديد فى الجانب الآخر .

واستقر قرار نابليون أن تتمركز قواته على الجانب الشرقى « لجولدباش » ومتخذاً « برون » قاعدة له .

وقد كان من الصعب على الحلفاء المجتمعين عند « أولموتز » مقاومة أغراء محاولة قطع طريق الفرنسيين إلى فينا وقطع أيضاً طريق إنسحابهم إلى الجنوب الغربى وذلك بمهاجمة جناح الفرنسيين الأيمن .

وتعمد نابليون أن يعرض طريق مواصلاته مع فينا لخطر القطع ، وجمع قواته مع بعضها على الطريق وعند سفوح الجبال لكى يزيد من إغراء الحلفاء لطى جناحه الأيمن بقواتهم الرئيسية . وقد كان واثقاً لوأنهم بلعوا الطعم فسوف يتمكن من هزيمتهم هزيمة ساحقة فى أرض من اختياره .

وفى معسكر الحلفاء دار نقاش كثير ، حول تولى « القيصر الكسندر الأول » القيادة العامة وحول صواب الهجوم من عدمه . وجادل « كوتوسوف » فى إرجاء أى خطوة لحين وصول التعزيزات وفى نفس الوقت يزداد استنزاف الفرنسيين . ولكن الكسندر الشاب المتكبر والمنساق وراء تملق حاشيته ، اقتنع بأن نابليون قد وقع فعلا فى الفخ . وكانت القوات الروسية منهكة نتيجة للسير المستمر لمدة شهور ، ولكنها كانت مع ذلك تضم جنوداً ممتازين .

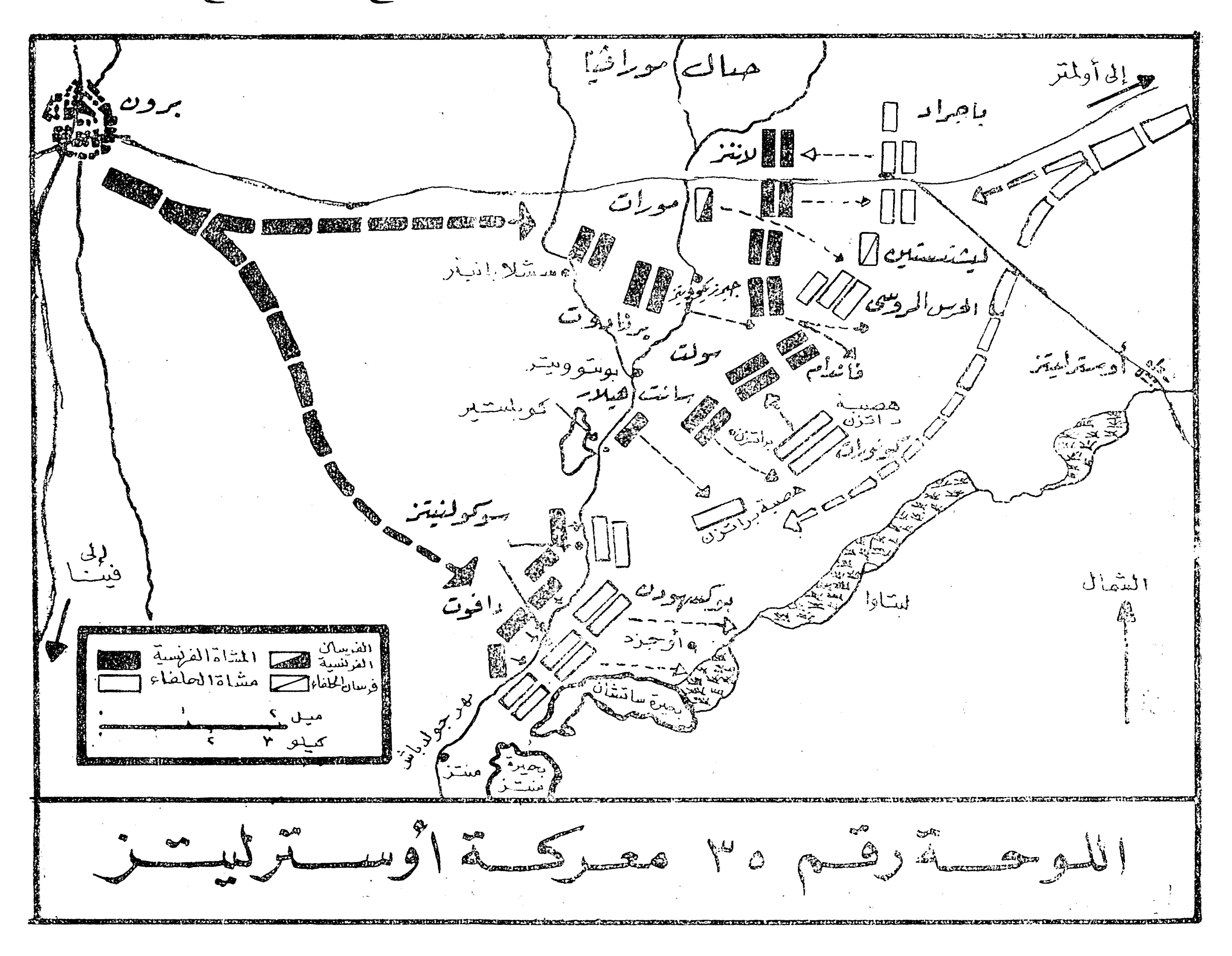
وفى عام ١٧٩٩ وتحت قيادة « سونوروف » طهر الروس شمالى إيطاليا ، حيث قاتلوا

فى حشد وكأنهم آلات هدم الأسوار . ولسوء الحظ أن أقدر قائد فى جانب الحلفاء كان غير موجود وهو «الأرشدوق شارلز» ، وقد عهد بوضع تفاصيل خطة الهجوم إلى «ويروزر» رئيس الأركان النمساوى .

نابليون يحتل نصف مليون ميل مربع (أنظر اللوحة رقم ٣٥ ، ٣٦)

وبدأ تقدم الحلفاء فى أول ديسمبر ، وفى المســـاء أوجز « ويروزر » مخططه التــكتيكى .

وكان جيش الحلفاء يتــكون من ٩٠٫٠٠٠ مقاتل أغلبهم من الروس ، ٢٧٨ مدفع . وكانت الخطة تقضى بالاقتراب من جناح الفرنسيين الأيمن من الشمال الشرقى ، وتعبر مقدمة الجيش نهير «الجولدباش» فيما بين «تلمتيز» و«سوكولنيتز» ثم تغير اتجاهها فى ثلاثة أرتال وتهاجم الفرنسيين من الجنب من اتجاه الجنوب . وكان على الرتل الرابع الاشتباك مع مواجهة



اللوحة رقم ٣٥ معركة أوسترليتز

الفرنسيين الممتدة أمام «البراتزين» بينما يقوم فيلق آخر فى الشمال بتثبيت الفرنسيين الموجودين على جانبى الطريق .

وفى ليلة أول ديسمبر كان « كوتوسوف » وعدد من كبار الضباط الروس سكارى وكم كانت بداية سيئة للمعركة .

وفى أول ديسمبر تأكد نابليون أن العدو يتحرك ، وكان فيلق « برنادوت » قد انضم إليه فعلا ، بينما كان « دانوت » فى الطريق ، وخلال فترة بعد الظهر تفقد نابليون جيشه ممتطياً حصانه على رأس مجموعة من قادة الفيالق وضباط أركانحربه ، مرتدياً زياً أخضر وأبيض وأحمر وكان مدركا لصورة أسطورته ، وتجاهل مظهر جنوده القذر ، ولكنه اهتم فقط بالفحص المتكرر للأسلحة للتأكد من صلاحيتها للعمل . وكان من المفروض أن يكون قلقاً لعدم وصول فيالق « دانوت » بعد ، ولكن فى الحقيقة كان يعتمد على تنسيق وخفة حركة جيشه ، لأنه فى الرابعة بعد الظهر وصلته أنباء أن أمام «دانوت» تسعون ميلا وسوف يقطعها فى يومين .

وكان تعداد القوات الفرنسية مجمعة ٦١٫٠٠٠ مقاتلا و١٣٩ مدفعا . وبالرغم من تفوق الحلفاء عدديا إلا أن قوات نابليون كانت محتلة أوضاع سليمة للمعركة القادمة بالإضافة إلى الميزة الكبرى لدى نابليون وهو معرفته بخطة عدوه وعلمه بأنها رديئة ، ولسبب بسيط وهو أنه فرضها عليهم . وتولى « سولت » قيادة الوسط أى فى مواجهة « برانزين » ، وتواجدت مع سولت قوة كبيرة كأحتياطى ، وتواجد « لانز » على اليسار مع «مورات » ومعهما معظم الفرسان .

أما « دانوت » فكان على اليمين . ومع غروب الشمس أعلن نابليون بياناً على قواته رافعاً الستار فيه عن مخططه : « إن المواقع التى تحتلها قوية ، وعند تقدمهم لطى جناحى الأيمن فإنهم سوف يعرضون جنبهم لى » . وأثناء الليل وعندما أبلغ بأن الروس لازالوا متحركين جنوباً ، دفع بعض قواته التى فى الوسط إلى اليمين قليلا .

وبعد حلول الظلام وقع حادث مثير ، فقد شبت النيران فى القش ، فقام بعض الجنود الفرنسيين بنشر النيران ، اعتقاد منهم بأنها بعض الألعاب النارية احتفالا بذكرى

تتويج الإمبراطور ، ولعدة دقائق اشتعل اللهب بعنف ، وفى موجة عارمة من الحماس والإخلاص هتف لنابليون ٣٠٠٠٠ رجل من قلوبهم . وطبقاً لما كتبه نابليون بعد ذلك :ـ «إن معركة « أوسترليتز » لم تكن سوى نتاج للخطة التى وضعت لحملة مورافيا » . ودارت المعركة فى ٢ ديسمبر كما كان يرجو . وكان هجوم الحلفاء قوياً ومستمراً بالرغم من أنه كان غير متقن التنظيم ، وكانت قيادة الحلفاء أثناء الهجوم فى حالة يرثى لها . وقد صمد «دافوت» بقوات قليلة بالجناح الأيمن الفرنسى طول النهار . كما حجب وسط الفرنسيين بموجة من الضباب إلى أن هاجم رجال « سولت » فى « تشكيل مختلط » ،المشاة والمدفعية الروسية من الجنب عند « براتزين » محققين مفاجأة تامة . وأثناء الصباح وصل الحلفاء هجومهم على الجناح الأيمن الفرنسى ، ولكن الفرنسيين عززوا أنفسهم أفضل فى المنتصف وقطعوا جيش العدو إلى جزءين .

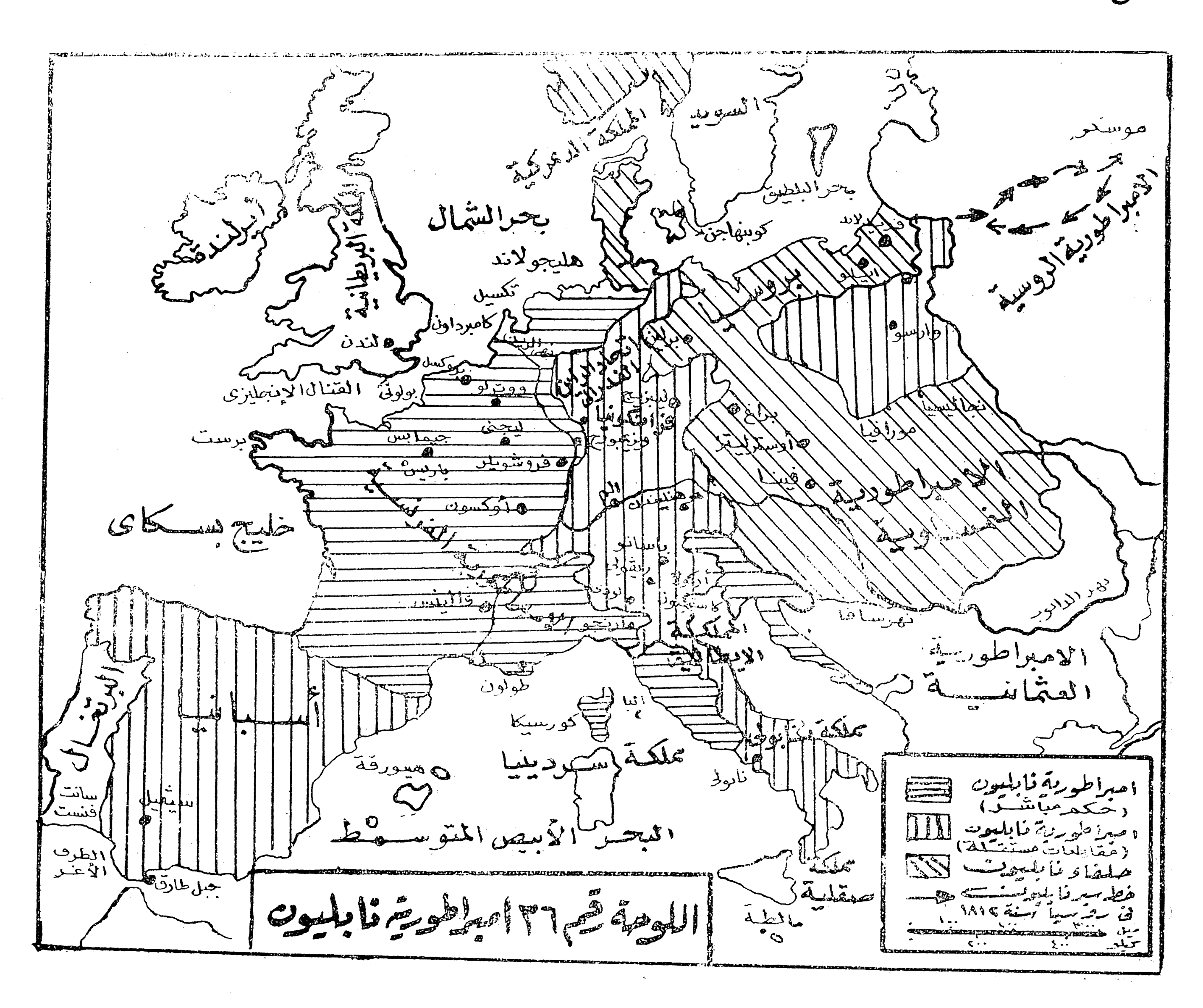
وأصبح الشمال هو آخر منطقة سيدور فيها القتال ، وقد ساد الصراع بشكل متكافىء وصعب . وما انتصف النهار حتى كانت فرسان « مورات » والتى تعمل بين اليسار والوسط وقد عزلت الجناح الأيمن للحلفاء عن وسطهم . وعندئذ بدأت القوات الروسية هناك بالإنسحاب ببطء .

وكان نابليون نفسه فى ذلك الوقت عند « براتزين »وقامت فرقتين من الوسط الفرنسى بقيادة « سانت هيلار » و « فاندام » بضغط مضاد على البقايا المهزومة لوسط الروس على المنحدر الشرقى . وكل ما تبقى عمله الآن هو معاونة ونجدة الجناح الأيمن للفرنسيين وتأكيد هزيمة الحلفاء التامة فى جميع المواقع . وتم صد آخر هجوم مستميت للحرس الإمبراطور الروسى على « براتزين » ، عندئذ تحول الوسط الفرنسى لتدمير الجناح الأيسر للحلفاء ، وشقت بعض المشاة الروسية طريقها فى اتجاه الجنوب ، ولقى البعض الآخر حتفهم غرقاً عندما بدأت البحيرات المتجمدة فى الذوبان تحتهم ، وقد تم أسر غالبيتهم .

وبالرغم من اقتناص الجناح الأيسر للعدو فقد استطاع جناحه الأيمن الإنسحاب بإنتظام . وتردد « مورات » والذى لم يتلق أى أوامر فى ترك الوسط لتطويق جناح

العدو . وفى الساعة الخامسة توقف إطلاق النيران . وبلغت خسائر الحلفاء ٢٧٫٠٠٠ رجل و ١٨٠ مدفعا بينما كانت خسائر الفرنسيين حولى ٧٠٠٠ . وكانت النتيجة المباشرة لمعركة « أوسترليتز » هو خروج النمسا من الاتحاد فى ديسمبر ١٨٠٥ .

وفى عام ١٨٠٦ حاولت بروسيا منع نابليون من السيطرة الكاملة على ألمانيا ، وحشدت جيشاً من ١٣٠٫٠٠٠ رجل ، وكانت لا تزال غارقة فى المجد التاريخى لفريدريك الأكبر . وفى حملة استغرقت ثلاثة أسابيع تم سحق البروسيين بعد هزيمتهم فى معركتين عند « جينا » و « أورستادت » ، ثم قام نابليون بمطاردة سريعة واحتل برلين . وفى العام التالى استطاع الفرنسيون الذين يقاتلون الآن فى شمال شرق أوروبا انتزاع نصراً محدوداً ودمويا من الروس فى « أيلو » .



اللوحة رقم ٣٦ امبراطورية نابليون

وفى يونيه عام ١٨٠٧ هزمهم نابليون مرة ثانية عند «فريدلاند» مكبدهم خسائر فادحة حوالى ٢٥٠٠٠ رجلا ، وقد فكر بعدها القيصر أنه من الأفضل الوصول إلى تفاهم مع نابليون. وأدت الانتصارات فى عام ١٨٠٥ — ١٨٠٧ من رفع نابليون إلى ذروة المجد . ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ١٨١٢ ظل نابليون سيداً على كل غرب أوروبا ، وامتدت إمبراطوريته من «سيفيل» إلى «وارسو» ومن «نابولى» إلى «البلطيق» أى حوالى نصف مليون ميل مربع يعيش فوقها ٤٤ مليون من الرعايا ، وقد تمت إصلاحات قيمة ودائمة فى كثير من هذه المنطقة مثل :— المساواة أمام القانون ، وإلغاء الرق ، والتسامح الدينى ، والتعليم العام ، وتوحيد نظم القضاء ، وإنشاء الطرق ، والرسوم الجمركية فى المناطق ، والجيوش القومية وهذا قليل من كثير .

القرحة الأسبانية

وعلى أى حال ، فقد ظلت مشكلة بريطانيا بدون حل ، وفى نوفمبر ١٨٠٦ عندما كانت أوروبا تحت سيطرة نابليون ، بدأ نابليون حربا اقتصادية شاملة ضد عدوه الرئيسى بريطانيا. وكان غرضة هو إغلاق القارة الأوروبية فى وجه السفن والتجارة البريطانية . وقد أعلن «مرسوم برلين» أن الجزر البريطانية «فى حالة حصار» وحظر تبادل كل أنواع التجارة معها ، والإستيلاء على كل البضائع التى تنقل بين بريطانيا ومستعمراتها . ولو استطاع نابليون تحقيق ذلك فلا خلاف فى أنه سوف يخضع البحر بالقوة البرية . إلا أن الإنجليز قابلوا هذا العمل بالمثل ، فعلى الفور وسع نابليون نطاق هذه العمليات . ولكن فى الحقيقة طالما سيطرت بريطانيا على البحار ، فلن يستطيع نابليون تجويعها حتى الهزيمة ، لأنه لن يتمكن من قطع الإمدادات من الطعام والمواد الخام القادمة من مستعمراتها إليها . ومن الممكن التنبأ ببداية سقوط نابليون ،وفى أى مرحلة من حياته تقريباً ، ويمكن أن نعتبرها قد بدأت مع لحظة طموحه الزائد المميت فى ذلك المساء بعد معركة «لودى» عام ١٧٩٦ . وقد يرجع الخطأ الفعلى إلى عام ١٨٠١ عندما فرض نابليون معاهدة السلام المهين على النمسا بدلا من الاتفاق معها وتوحيد قواتهما لهزيمة إنجلترا . وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما كان يتمتع به نابليون من عبقرية ، فمن الممكن القول بأنه لم يصدر منه أى تصرف غير منطقى أو شاذ ،

إلى أن بدأت رأسه تدور بنشوة الإنتصار فى « أوسترليتز » و « جينا » وأصبح طامعا فى السيطرة على العالم ، ومن ثم ذهب إلى أسبانيا وموسكو . ولكنه طرد من روسيا بشكل مشين فى عام ١٨١٢ ، ولكنه فى عام ١٨١٣ كون جيشا جديداً .

وفى عام ١٨١٣ عانى من أول هزيمة شخصية ورئيسية فى معركة عند « ليبزج »، وفى عام ١٨١٤ كان عليه الدفاع عن حدود فرنسا نفسها . وفى ذلك الوقت أدت مطالب التجنيد الأجبارى والأنانية الواضحة فى أطماعه ، إلى فقد تأييد الأمة الفرنسية له، ولكن النمسا فى ذلك الوقت عرضت شروطاً طيبة للسلام والصلح ، وحتى هذه المرحلة لم يكن قد تحطم نابليون بعد ، لأن الحملة التى قام بها فى هذا العام كانت من أبرع حملاته ، فقد أعاد أسلوبه فى تقسيم أعدائه وهزيمتهم على أجزاء . ولم تفشل عبقرية نابليون العسكرية حتى عام ١٨١٥، ولا يوجد خط واضح للسقوط السياسى ، ولكن نابليون أرجع ما أصابه من أنهيار إلى القرحة الأسبانية.

حرب شبه الجزيرة (أنظر اللوحة رقم ٣٧)

وفى الأنتصار الذى حققه عام ١٨٠٦ ،وقع خطأ صغير تلته سلسلة من الأحداث التى قوضت قوة نابليون ، وبعثت الشجاعة فى صفوف أعداءه . ففى هذا العام رفضت البرتغال قبول « نظام نابليون الأوروبى » وشأنها شأن معظم دول أوروبا لا ترغب فى الخضوع لفرنسا ، كما كانت ترغب فى التجارة مع بريطانيا ، وخالفت وقاومة الأغلبية . وفى عام ١٨٠٧ أرسل نابليون جيشاً بقيادة « جونوت » إلى شبه الجزيرة ، وفى العام التالى عزل ملك أسبانيا على أثر حركة خيانة .

وقد بدأ كل من الشعبين الأسبانى والبرتغالى يثور ويرفض الفرنسيين ، ومنذ هذا الحين وبدأت الجيوش الفرنسية تتعرض لهجمات رجال العصابات وأنتقادات رجال الدين ، وصعقت أوروبا عندما سلمت فرقتين فرنسيتين للأسبان عند « بايلين » ، وأدى هذا التسليم إلى خفض الروح المعنوية « للجيش الكبير » . وكان هذا هو الموقف فى شبه الجزيرة فى عام ١٨٠٨ عندما نزلت بها الحملة البريطانية بقيادة « سير جون مور » . وفى أول الأمر تولى نابليون القيادة فى أسبانيا ، ونجح تقريباً فى أصطياد قوات « مور » عند « كورونا » ولكن الاحداث فى أوروبا أبعدت نابليون عن شبه الجزيرة ، وكان ذلك الأمر مؤلماً لدرجة أن

« ويلنجتون » عبر عن ذلك بقوله بأن نابليون يعادل وجودة على رأس جيشه ٠٠٠ر٤٠ رجل. ولم يعد نابليون بعد ذلك مطلقاً إلى شبه الجزيرة. وحتى ذلك الوقت كانت المساهمة الفعالة البريطانية للمجهود الحربي لحلفائها فى أوروبا قاصراً فقط على المعاونة المالية ، ولكن الآن نتيجة للتأييد العام القوى ضد الفرنسيين وتوفر مواصلات بحرية آمنة ، أصبح البريطانيون أنفسهم قادرين على أن يطأوا بأقدامهم أرض أوروبا. وفى أغسطس عام ١٨٠٨ نزل إلى البر « سير آرثر ويليسلى »[١] فى البرتغال ومعه ١٣٠٠٠ مقاتل وهزم الفرنسيين عند « فيميرو » وبالرغم من ذلك وبغباء رؤساء « ويلنجتون » أستطاع « جونوت » من تخليص جيشه بمعاهدة « سنترا » .

لقد ولد ويلنجتون من أسرة إيرلندية أرستقراطية عام ١٧٦٩ أى فى نفس عام مولد نابليون ، وتلقى تعليمه فى « أيتون » حيث أظهر تفوقا يبشر بالنجاح فى العلوم الرياضية والموسيقى ، ولكنه ترك هذه المدرسة وهو فى سن ١٥ عاما ، وفى عام ١٧٨٧ ألتحق بالجيش ولم يكن ذلك نتيجة الأختيار أو الطموح ولكن نتيجة لرغبة العائلة لأنها المهنة العادية للأبن الأقل ذكاء فى العائلة . ولم يقم إلا بالقليل من الخدمة النظامية فى وحدته ، ولكنه فى عام ١٧٩٦ ذهب إلى الهند وكان عمره ٣٠ عاما ، وهناك بدأ يزاول مهنته بشيء من الأحتراف ، بدراسة كل المراجع القيمة فى العلم العسكرى وكل ما كتب عن الهند. وفى ذلك الوقت يقال عنه : — .. أنه مشرق ، ومرح ، وغير متحفظ بين أصدقائه الخصوصيين ، ولكنه متحفظ فى العلاقات العامة ، وكان محتفظاً دائماً بسرعة الخاطر ولكنه كان يخفى حساسيته تحت مظهر خارجى فقط ، وكان يسيطر بقوة على فتوره الطبيعى وعواطفه الجياشة بضبط نفسه القوى» . وفى الهند تلقى تدريباً عسكرياً وحقق لنفسه سمعة محلية ضخمة .

دوق ويلنجتون

ولم يسبق لأى قائد بريطانى أن استنبط أسلوبا تكتيكياً للتعامل مع جماعات فرسان

---

(١) لقد أصبح بعد ذلك دوق ويلنجتون

« المعرب »

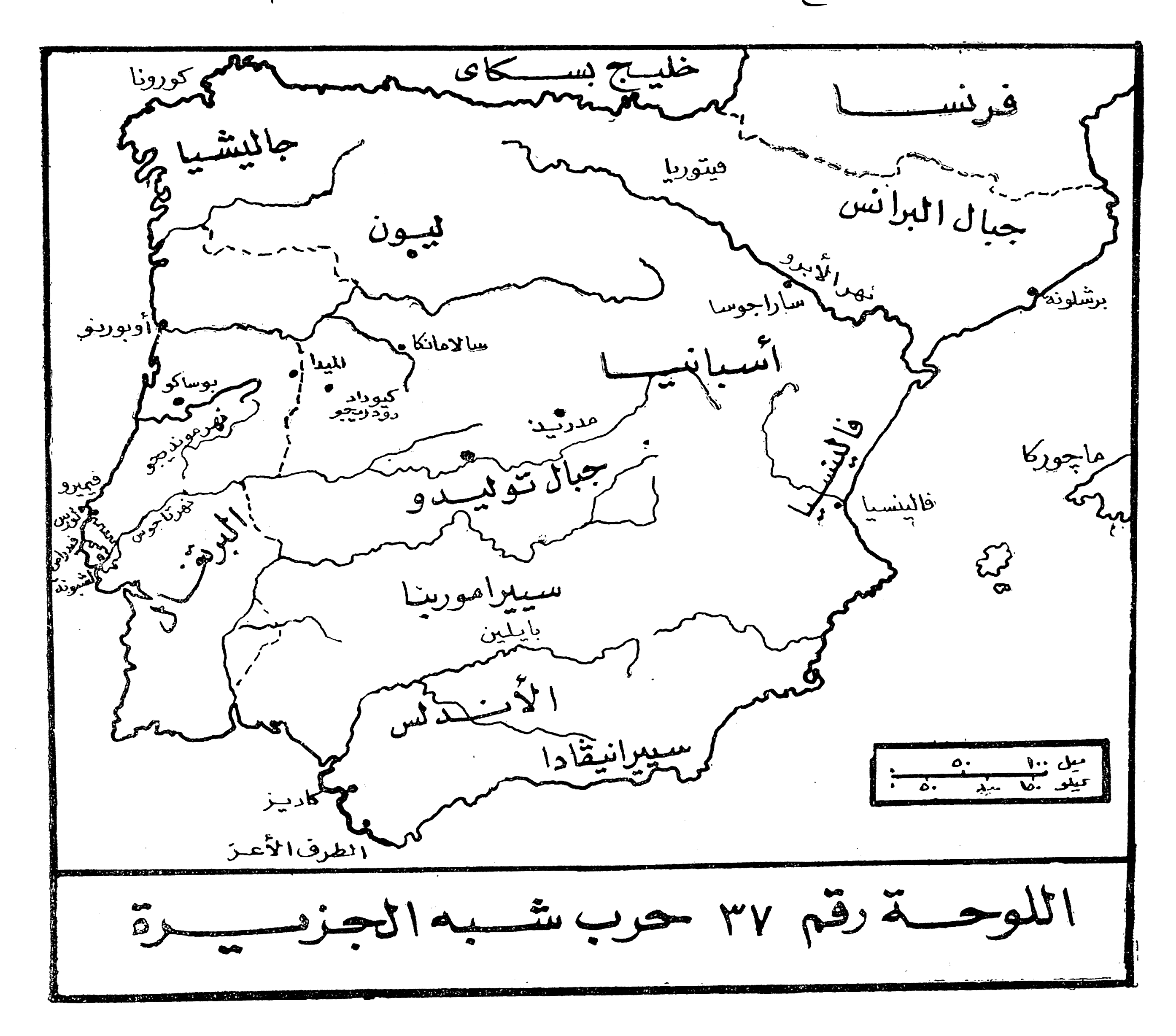
« المرثا » ، ولـكن ويلنجتون وجد الحل بالتشكيل الخطى . وكانت خطوط أمداده جيدة التنظيم فأستطاع الدخول إلى مسافات طويلة فى قلب أراضى العدو ، وفى نفس الوقت تيسر له خفة الحركة داخل خطوط العدو . ومن أبرز معاركه هى أقتحـامه لأحد الحصون الهندية الجنوبية المنيعة المسمى « أحمد ناجار » ، وأنتصاره أيضـاً فى معركة « أسامى » الدموية عام ١٨٠٣ . ولم يمضى وقتاً طويلا حتى تحقق السلام بشروط فى مصلحة بريطانيا ويرجع الفضل فى ذلك لأنتصارات ويلنجتون . وفى عام ١٨٠٥ عاد ويلنجتون إلى إنجلترا بعد أن مضى تسع سنوات فى الهند . وبالرغم من أن الشهرة التى أكتسبها فى الهند لم تـكن لها قيمة فى إنجلترا ، إلا أنه أصبح يمتلك قدراً كبيراً من الخبرة والتجربة فى المعارك الضارية ضد عدو يفوقه عدداً علاوة على تنظيم الأمداد والتحرك الإضطرارى وفن الحصار وأستماله الحلفاء الذين يصعب التعامل معهم . وفيما بين عام ١٨٠٥ وعام ١٨٠٨ شغل نفسه بالسياسة وأصبح السكرتير الأول لإيرلندا . وأهتمامه بالسياسة هو الذى أمن له مناصبه التاليـة أكثر من وظيفته فى الجيش . وفى عام ١٨٠٦ ، ١٨٠٧ أشترك فى الحملات العقيمة على شمـال غرب أوروبا ، وبعد ذلك فى الحملات فى شبه الجزيرة ، وحقق نجاحاً كبيراً هنـاك عام ١٨٠٨ ، ولـكنه فى أبريل عام ١٨٠٩ عاد ليقود ٢١٫٠٠٠ مقاتل .

فى الجانب الاخر من التل

وفى هذه الحقبة اختلف الجيش البريطانى فى نواحى كثيرة عن الجيش الفرنسى ، ومن أبرز هذه الأختلافات أن الجيش البريطانى لم يـكن جيشاً قومياً ولـكنه كان محترفاً صغيراً من الطراز العتيق ، كما كان هناك تناقض بارز بين حياة ويلنجتون ونابليون ؟ وكانت الرتب العسكرية فى الجيش البريطانى يتم الحصول عليها بالشراء أو النفوذ الشخصى ، وكانت لا تتيسر إلا لهؤلاء من أصل رفيع . وبصرف النظر عن فترة التدريب الأساسى لمدة ستة شهور وبعض القرارات الأجبارية للنشرات ووزارة الدفاع ، فلم يكن هناك أى تدريب آخر للضباط . ولا يمـكن القول بأن الجنود كانوا يجندون من طبقات المجرمين ، ولـكنهم على العموم لم يـكونوا من أحسن عناصر الشعب ، وعلى أى حال فقد نجح النظام ، بالرغم من عدم وجود عنصر البراعة والفوارق الاجتماعية . وعمل الضباط والجنود معا بشكل مرضى فى معظم الأحيان ، كما تحقق

الضبط والربط بالمعاملة والعزيمة الممتازة ، بالرغم من أنه كان قاسياً فى بعض الأحيان، وبشكل عام كان الجيش فى حالة جيدة من الكفاءة القتالية . وقد كان ذلك تحسناً ملحوظاً عما كان عليه الوضع فى الماضى ، والذى يعتبر من منجزات كل من « الجنرال مور »و« دوق يورك» و « يلنجتون » .

وفى عام ١٨٠٣ ، فى معسكر عند « شور نكليف » أحدث « مور » ثورة فى الضبط والربط والتدريب ، وذلك بتعمده الاعتماد على التعاون بدلا من الأعتماد على الأجبار ، مؤكداً بالنتائج التى وصل إليها من الروح المعنوية العالية والكفاءة بأن ذلك كان أفضل الطرق. وكان « دوق يورك » الرأس المدبرة للجيش ، وكان رجلا كفأ وقد أنشأ الأكاديمية العسكرية وكلية أركان حرب ، كما شجع إرتقاء الضباط الصغار الموهوبين . وقد أهتم ويلنجتون نفسه



اللوحة رقم ٣٧ حرب شبه الجزيرة

فى شبه الجزيرة بالعناية بقواته وتدريبها . أما النواحى المالية والنقل والأمداد فقد تولاها ضابط الأمداد القدير الجنرال « كندى » والذى نادراً ما فشل فى توفير الأمدادات الكافية للقوات من ملابس ومأكل وأوعيه للطهى وخيام وبطاطين وأحذية ومرتبات .على عكس الفرنسيين فقد أستخدم الإنجليز نظام مستودعات الأمداد ، كما كانوا يدفعون ثمن الأمدادات المحلية . وتلك السياسة كانت حكيمة لأنها تكسبهم تأييد المواطنين سكان مناطق العمليات كما حدث فى منطقة جنوب غرب فرنسا نفسها عام ١٨١٤ .

وكان من أهداف الضبط والربط القاسى لويلنجتون هو منع إفراط الجنود مثل السكر الزائد والذى يؤدى إلى الضرر بصحتهم ، ومرة أخرى على عكس نابليون إعتقد ويلنجتون أن من المفيد جداً أعطاء جنوده تدريباً كاملا فى إستخدام أسلحتهم . وكانت الوحدة الأساسية فى الجيش البريطانى قبل « حرب شبه الجزيرة » هو اللواء والآلاى . وكان الزهو فى تقاليد الآلايات القديمة عاملا هاما فى المحافظة على الروح المعنوية العالية وعلى كل كانت المشكلة أن الجيش البريطانى لم ينجز سوى نجاحاً قليلا فى الميدان منذ حرب « السبع سنوات » .

ولكن جاء ويلنجتون ليضع نظام الفرق . وكانت الفرقة عبارة عن تشكيل يضم جميع الأسلحة والخدمات ، ولديها إكتفاء ذاتى ، ويمكن فصلها عند الضرورة من القوات الرئيسية ، وأصبحت قادرة بالتدريب على المناورة الواسعة . وقام ويلنجتون بأدماج قوات برتغالية فى الفرق البريطانية لزيادة أعداد قواته فى شبه الجزيرة ، وكان يتم ذلك عادة بمعدل لواء برتغالى واحد يضم بعض الضباط البريطانيين إلى لوائين بريطانيين ، كما كان لديه فرقة واحدة مكونة من البرتغاليين فقط . وتولى الجنرال « بيرسفورد » تدريب وتنظيم القوات البرتغالية بجدارة . وكان ويلنجتون يشكل أحيانا فيلقا ، ولكن كان هذا الأمر إستثنائيا ، بينما ظلت الوحدة الأساسية للجيش هي الفرقة . وفى النهاية كان لديه عشر فرق ، ومن بين أحسن قادة الفرق المعروفين كان : — « هيل » و « جراهام » و « بيكتون » و « جروفارد » . ويعتبر ويلنجتون أيضاً المسئول عن ادخال أول سلاح للمهندسين والشرطة العسكرية فى الجيش . وأصبحت هيئة قيادة ويلنجتون وجهاز مخابراته أكثر كفاءة مع أزدياد خبرتهم فى شبه

الجزيرة . وكان هناك تفاهما وثيقا بين ويلنجتون « وموري »[1] والذى لم يهتم فقط بتنظيم المعسكرات وبتحرك القوات ولكنه كان مسئولا أيضاً عن المخابرات الطبوغرافية ، كما كان مساعدا هاما لويلنجتون فى التخطيط الإستراتيجى والتكتيكى . وكان هناك أعضاء آخرين فى هيئة قيادة ويلنجتون ويراهم يوميا وهم : — « مدير التعيينات ورئيس إدارة الجيش ومدير الخدمات الطبية وقائد المدفعية وقائد المهندسين . ولم يختلف ويلنجتون عن نابليون كثيرا فى إهتمامه بالتفاصيل الهامة للتحضيرات ، وفى قدرته على إنجاز كمية كبيرة من العمل ؛ كما كان أفضل من نابليون فى التفاوض . أما مساعدوه فكانوا أسعد حالا من مساعدى نابليون . ولم يكن لويلنجتون رئيسا للأركان على عكس « نابليون » و « بلوتشر » . وفى أعم لأركان حرب[2] فقد أشترك ثلاثة فى إدارتها وهم : — السكرتير العسكرى ورئيس إدارة الجيش ورئيس الأمداد والتموين . ولم يكن ذلك ليناسبنى على الإطلاق ، ولكن يبدو أن ذلك كان مناسبا منذ ١٥٠ عاما مضت عندما لم تكن الحرب معقدة كما أصبحت عليه فى منتصف القرن العشرين . وكان ويلنجتون يعلق أهمية كبيرة على معلومات المخابرات عن العدو ، إلى جانب الإستعداد بين القوات خلف الخطوط .

وقد قال بعد ذلك أن من أسباب نجاحه يرجع إلى اهتمامه بدراسة مايحدث : — « فى الجانب الآخر من التل . » وبناءا على ذلك أنشأ نظام مخابرات جيد . وفى بداية حرب « شبه الجزيرة » لم يكن هناك خرائط يعتمد عليها للمنطقة ، ولكن مساعدوا « مورى » عالجوا تدريجيا هذا الموقف ، فى المناطق التى تدور عليها العمليات . وكانت تسبق تحركات الجيش عمليات استطلاع ذات كفاءة ممتازة ، ويرسل كل يوم إلى الأمام دوريات من الفرسان وضباط فرديين ، ولم تكن مهمتهم استطلاع الأرض فقط بل اكتشاف أوضاع قوات العدو أيضاً . وكان من الممكن الحصول على المعلومات الجيدة بالثمن من مجموعات الفدائيين ومن سكان القرى ، لأن الأنباء تنتقل بسرعة وبدقة بين المواطنين . وقد أنشأت شبكة من الأشخاص الموثوق بهم فى كل شبه الجزيرة . وهكذا كانت معظم

---

(١) مدير الامداد والتموين .

(٢) عادة يشرف على عمل اركان حرب ومديره رجل واحد « المعرب »

المعلومات التى تجمع يتلقاها ويلنجتون شخصيا وكان يطلب دائما معلومات على أعلى مستوى من الدقة .

اسماك الثور من قرنية (أنظر اللوحة رقم ٣٧)

وكانت إستراتيجية ويلنجتون فى شبه الجزيرة مقيدة بالتفوق العددى لأعدائه . فقد بدأ ومعه ٣١٫٠٠٠ رجل ولم يتجاوز جيشه فى أى وقت عن ٨٠٫٠٠٠ رجل ، فى حين لم يقل الجيش الفرنسى عن ٢٥٠٫٠٠٠ رجل تحت قيادة « ماسينا » أو «مارمونت» أو «سولت». وأعتمد ويلنجتون على البرتغال كقاعدة رئيسية لعملياته ، وكان يجب عليه التمسك بالبرتغال أولا ثم الزحف منها إذا استطاع . أما « مور » فقد أعتبر البرتغال يتعذر الدفاع عنها ، ولكن خالفه ويلنجتون فى ذلك .

وكان هناك خمس ثغرات فى حدود البرتغال الجبلية ، ولكن ويلنجتون أيقن أنه يستطيع تنظيم منطقة دفاعية بمساعدة الأسبان والبرتغاليين ، وكانت الضرورة الأولى هى تطهير البلاد من الفرنسيين بسرعة فى ذلك الوقت بأى شكل من الأشكال حتى يتوفر الوقت لتجهيز الدفاعات . وفى « أبورتو » هوجم « سولت » ، وتقدم ويلنجتون إلى داخل أسبانيا ، وبحماقة وقع حلفاءه الأسبان فى براثن الهزيمة مما أدى إلى فقد أسبانيا الجنوبية، ولكن ويلنجتون أستطاع احراز النصر عند « تالافيرا » ثم أنسحب عائد إلى البرتغال . ومع حلول شتاء عامى ١٨٠٩ — ١٨١٠ أصبح متوقعا أكثر من أى وقت مضى قيام الفرنسيين المنتصرين فى أسبانيا والنمسا بحشد قوات ضخمة لانزال ضربة قاضية بجيش ويلنجتون فى البرتغال . ومن إنجلترا أرسل لويلنجتون تعزيزات بلغت حوالى ١٠٫٠٠٠ رجل ولكن لم يكن متيسرا أكثر من ذلك . وقرر أن يكون موقعه عام ١٨١٠ بالقرب من الحدود ، ولكنه جهز أيضاً موقعا دفاعيا قويا بدرجة كبيرة لحماية لشبونة[1] . وأنشأ العمال البرتغاليون الدفاعات تحت إشراف المهندسين البريطانيين ؛ وكانت عبارة عن خطين من الحصون المتبادلة المتعاونة علاوة على متاريس تمتد لمسافة ٣٠ ميلا عبر التلال فيما بين

(١) كان يعرف بخطوط « تورس فيدراس » « المعرب »

« تاجوس » والبحر . وفى عام ١٩٥٦ ، خلال خدمتى فى حلف شمال الأطلنطى، أستطلعت الموقع على طول « التورس فيدراس » وقد راعتنى قوته الطبيعية الكبيرة . وفى مايو ١٨١٠ تولى « ماسينا » قيادة « الجيش البرتغالى الفرنسى » . وبدأ الزحف ليقذف بويلنجتون فى البحر . وقاوم ويلنجتون الإغراء بمحاولة إنقاذ حصون الحدود الأسبانية وهى « كيوداد » و « رودريجو » و « الميدا » . وفى سبتمبر تقدم « ماسينا » على رأس ٧٢٫٠٠٠ رجل داخل البرتغال على ثلاثة محاور ، مما أدى أن ويلنجتون أنسحب أمامه ومعه ٤٩٫٠٠٠ رجل . وعند نهر « مدنديجو » أيقن ويلنجتون أنه قادر على خوض المعركة، وهناك على مرتفعات « بوسا كو » هزم « ماسينا » . وكان ويلنجتون ممتازاً فى مجال التكتيك بنفس القدر من الأمتياز فى المجالات الأخرى للقيادة . وكان كل من نابليون وويلنجتون يؤمنان تماما بقوة النيران ، وقد أستخدمت قواتهما بشكل عام نفس البندقية والسونكى ، والتى كان البريطانيون يسمونها « براون بس » ، أما الأختلاف بينهما أن قوات ويلنجتون كان لديها ضبط وربط عالى ومدربة تدريبا راقيا يجعلها تستطيع الصمود فى خط واحد أمام أرتال الفرنسيين ، وكان من السهل إجراء الحسابات التى تحقق أنهم سينتصرون ، لأنهم كانوا يستطيعون إنتاج قوة نيران تعادل على الأقل أربعة أضعاف ما للعدو . وكانت تكتيكات ويلنجتون العادية تتضمن وضع قواته الرئيسية فى خط مزدوج من المشاة والذى يشكل على المنحدر الخلفى للمرتفع ، حتى يصبح مختفى عن نظر ومدفعية العدو ، ويدفع أمام الخط مناوشين بينما تحمى الفرسان البريطانية والمدفعية الأجناب . وكانت هذه هى أوضاع قواته عند « بوسا كو » ، ولم يستخدم حشد المدفعية على طريقة نابليون على الرغم من أن خفة حركة مدفعيته المحموله على الخيول كانت تفوق مثيلتها الفرنسية وأثرت عليها ، وحيث أن فرسانة لم تكن وفيرة العدد ، فلم يتبع ويلنجتون إنتصاراته بالمطاردة . وقد وصف « بوجداد »(١) التأثير الذى أحدثه جيش ويلنجتون على أعدائه بقوله : — « تخير الإنجليز بشكل عام مواقع دفاعية جيدة ولها سيطرة مؤكدة ، ولم يظهر منها إلا جزءا قليلا من قواتهم .

---

(١) أصبح بعد ذلك مارشالا فرنسيا

وبدأت المدفعية العادية العمل ؛ وسرعان مانقوم نحن على عجل وبدون دراسة للموقف ،بالتقدم مباشرة لمسك الثور من قرنيه ، وعلى مسافة ۱۰۰۰ ياردة من الخط الإنجليزى يهتاج الرجال وينادى كل منهم على الآخر ويسرعون فى السير لدرجة أن الأرتال بدت فى إضطراب قليل . أما الإنجليز فيظلوا ساكنين تماما بينما أسلحتهم معدة ، ومن فرط إنتظامهم فكانوا يبدون كحائط أحمر طويل ، وبدون شك فهذا الثبات يحدث تأثيراً على الجنود صغار السن ، وسرعان ماأقتربنا منهم وصحنا : ــ(يحيا الإمبراطور . . إلى الإمام.. إلى السونكى . .) وترفع الجنود قبعاتها العسكرية من على أفواه البنادق ، ويبدأ الرتل فى العدو ، وتعم الفوضى بين الصفوف وتحدث الإثارة إصطرابا ، وكانت النيران تطلق أثناء تقدمنا . وظل الخط البريطانى صامتاً وثابتاً راسخا بينما أسلحته معدة ، حتى عندما أصبحنا على بعد ۳۰۰ ياردة منهم ،وبدا وكأنهم يتجاهلون العاصفة التى على وشك الهبوب . وكان التناقض صارخاً، وشعر كل منا فى أعماق أفكاره ، وكما لو أن العدو يطلق نيرانه منذ مدة طويلة ، وأن هذه النيران التى حبست لمدة طويلة سوف تكون غير سارة عندما تأتى ، وفتر حماسنا ، وتغلب على أذهاننا القوة المعنوية للثبات الذى لايهزه أى شىء (حتى لوكان مظهرا فقط) . وفى اللحظة من الهياج الشديد وضع الحائط البريطانى أسلحته فى الكتف ، وثار شعورلا يوصف فى نفوس كثيرمن رجالنا ، وبدأ الانجليز فى إطلاق النيران . واكتسحت دفعات نيران العدو المركزة والثابتة صفوفنا ، وهلك معظمنا ، وحاولنا إستعادة التوازن، وعندئذ أنطلقت ثلاث هتافات تصم الآذان مزقت صمت عدونا . وعند الهتاف الثالث كانوا فوقنا ، مطاردين إنسحابنا الغير منظم » .

نفى نابليون

وبعد الانتصار فى « بوساكو » ، أثار ويلنجتون دهشة أعداءه وكذا جيشه بمواصلة الانسحاب و « ماسينا » يتبعه حتى خطوط « التورس فيدراس » حيث توقف فى النهاية هناك .

وخلال شتاء ۱۸۱۰ – ۱۸۱۱ واجه الجيشان بعضهما ، وكان البريطانيون فى وضع آمن وإمدادهم جيد ، بينما الفرنسيون كانوا بعيدين عن قواعدهم وليس فى إستطاعتهم التأثير على الخطوط الدفاعية .

وفى مارس ١٨١١ انسحب « ماسينا » وبدأ ويلنجتون الزحف الطويل البطىء والذى أدى فى ثلاث سنوات إلى النصر فى عام ١٨١٤ . وقد تم استعادة مناطق الحدود «الميدا» و« كيودار » و «رودريجو » و « باراجوت » فى عامى ١٨١١ ، ١٨١٢ ، وتم هـــذا بالمناورات الـكثيرة والحرص المستمر الدائم على المحافظة على قاعدة العمليات البرتغالية . وقد نجح الإنجليز بسبب الخلافات بين المارشالات الفرنسية فى أسبانيا والتعليمات المضللة التى يرسلها نابليون لقواته عن موسكو ، ولـكن ذلك لا يمنع القول بأن نجاح العمليات يعود إلى إنجازات ويلنجتون وجنوده . وعبقريته الدفاعلية ومهارته فى المناورة لا تعنى أنه لا يضرب بشدة عندما تحين اللحظة المناسـبة للمعركة . وبعد إنتصارين كبيرين عند « سالامانـكا » فى عام ١٨١٢ وعند « فيتوريا » فى عام ١٨١٣ طهر ويلنجتون شبه الجزيرة من الغزاة الفرنسيين .

وإن الاستعراض الذى قام به نابليون فى أسبانيا والذى حاول جاهداً أن يقنع به نفسه كان ذو تأثير بالغ الدمار على مسار حياة نابليون ، لأنه كان استنزافاً خطيراً لقوته ، وعلى سبيل المثال ، فلو أنه لم يرسل قوات إلى شبه الجزيرة فى عام ١٨٠٩ فإنه كان من الممـكن تجنب الفشل عند « اسلينج » .

وكانت أسبانيا بمثابة أرض تدريب يمارس فيها مارشالاته العصيان وتقبل الهزيمة . وقد جاء إختراق جيش ويلنجتون لجنوب غرب فرنسا عام ١٨١٤ فى نفس الوقت الذى ضغط فيه نابليون إلى الخلف أى إلى داخل حدود فرنسا الشمالية الشرقية . وأكثر من ذلك فإن شجاعة ونجاح شعبى أسبانيا والبرتغال أثار الشجاعة فى شعوب أوروبا . فـكان الألمان قد خضعوا نتيجة الخوف والبطش ، ولـكن فى عام ١٨٠٨ ظهرت موجة قوية من القومية ضد الفرنسيين الأجانب ، والتى مثلها بطريقة مصغرة « فيتش » فى بروسيا « وهوفر » فى النمسا ، وخلاف الـكسندر مع نابليون . وفى عام ١٨١٢ أوقع الروس هزيمة كبرى بنابليون فى حملة موسكو حيث دمروا معظم « الجيش الـكبير » الأصلى ، وتبعتها هزيمة « ليبزج » عام ١٨١٣ . وفى عام ١٨١٤ تنازل نابليون عن العرش ، وفى مايو من نفس السنة وصل الامبراطور المخلوع إلى جزيرة « إلبا » ، حيث أعترف به ملـكاً عليها ،وأصبح السيد المطلق



تقهقر نابليون وجيشه من موسكو

لأوروبا يحكم قليلا من الأميال المربعة ، ولم يتجاوز عمره ٤٥ عاماً . وننقل كلمات سير ونستون تشرشل فى المجلد الثانى من (الأزمة العالمية ١٩١١ — ١٩١٨) :— « فربما كان بوسع أوروبا أن تقول « حقاً أيها الفرنسيون إن هذا كافياً للتاريخ ، ولكنه لم يكن كذلك » .

وفى عام ١٨١٥ عاد نابليون ، ليتلاقى هزيمته النهائية الحاسمة على أيدى الجيوش المتحالفة بقيادة « ويلنجتون » و « بلوخر » عند « ووترلو » بالقرب من « بروكسل » .

وكانت هذه أول مرة يتقابل فيها القائدان الكبيران وجهاً لوجه فى معركة ، ولم يكن أى منهما فى أحسن حالاته فى هذه الحملة .

وكانت المعركة متكافئة إلى حد كبير للطرفين ، ولكن النتيجة كما وصفها ويلنجتون هى أن « نابليون لم يفعل شيئاً سوى أنه تحرك للأمام على الطريقة التقليدية القديمة أى فى أرتال ، وقد هزم بالطريقة القديمة أيضاً » . وحل السلام بأوروبا بعد ٢٣ عاماً ، ونفى نابليون إلى « سانت هيلانه » حيث توفى هناك عام ١٨٢١ . وعاد ويلنجتون ليواصل طريقه السياسى حيث أصبح رئيساً للوزراء من عام ١٨٢٨ إلى ١٨٣٠ وحصل فيها على الحقوق المدنية للكاثوليك . ومثل عدوه المهزوم المتوفى، أصبح ويلنجتون أسطورة أكثرفأ كثر، إلى أن توفى عام ١٨٥٢ .

لقد تعرضنا فى هذا الفصل إلى ثلاثة من القادة الذين ستظل أسمائهم تعيش عبر التاريخ . وأنه من الغريب أن أكثر إثنين شهرة فى عصرهم هما نابليون وويلنجتون وقد ولدا فى نفس عام ١٧٦٩ ، وأنه من الغريب أيضاً أنه خلال الصراع الطويل بين الجيوش البريطانية والفرنسية فى عصرهم لم يلتق الأثنان فى معركة مطلقاً إلا عند « ووترلو » فى يونيه ١٨١٥ ، وهى آخر معركة حاربها كل منهما . وقد قمت بدراسة كل منهم بعمق منذ كنت طالباً بالكلية الحربية الملكة « بساندهيرست » فى عام ١٩٠٧ . ولكى أختتم هذا الفصل سوف أعطى رأيى الشخصى عن جوانب معينة فى سيرتهم .

نابليون

لقد كتبت الملايين من الكلمات فى محاولة لكشف النقاب عن سر نجاحه ، والكثير من الكتاب كانوا ناقدين بقسوة . ولكن عندما يقال كل شيء ، فلا بد من الإعتراف بأنه لايوجد إلا نادراً جداً من أمثال نابليون و لا يوجد أفضل منه . وكانت له شخصية ساحرة ، وكل ما أتصل به كان يبهر فى الحال بالمقدرة والذكاء الخارق له، فمثلا عندما تولى قيادة الجيش الفرنسى فى إيطاليا عام ١٧٩٦ لم يكن قد تجاوز بعد ٢٦ عاما ووجد أن الجيش لم يتقاضى مرتباته ويفتقر إلى الملبوسات والأحذية وجائع وقارب التمرد ، ولم تمض سبعة أيام حتى تحول السخط الغاضب إلى تعاون تلقائى ، فلقد أعاد نابليون للجيش روحه ، وتعتبر الحملة التى تلت ذلك فى إيطاليا عامى ١٧٩٦ — ١٧٩٧ من أبرع الحملات التى شهدها العالم فى ذلك الوقت .

وكان نابليون بمثابة عبقرية عسكرية ضخمة إنطلقت من عقالها لتبسط يدها على العالم ، فذلك العالم الذى لم يعد كما كان عليه قبل مجىء نابليون. وكان نابليون أستاذاً فى الإستراتيجية بنظرة تكتيكية رائعة للأرض . أما أسلوبه فكان بسيط فى جوهره ، خفة الحركة والحشد والروح المعنوية ، وكلها واضحة فى حملاته فى أوروبا « بالجيش الكبير » ، وبالرغم من انه كان دائماً يواجه قوات تفوقه عدداً فى مسرح الحرب إلا أنه نادراً ما كان يخوض معركة دون أن يتوفر له التفوق المحلى فى نقطة الصراع . وقد كتب المارشال « ساكس » فى « أفكارى الخيالية » : — « إن الحرب يجب أن تدار بحيث لايترك أى شىء للفرصة » ومن خبرتى فى القيادة العامة فى الحرب فإنى لا أوافق على هذا الرأى . وكان نابليون أكثر حكمة فقد كتب فى احدى حكمه : — « أمن لنفسك جميع الفرص الممكنة للنجاح عندما تقرر القيام بمعركة هامة . » وعند هذا الحد يبرز سؤال : — إذا ما إتخذت كل الإجراءات المنطقية لتأمين النصر ، فما هو القدر الذى يترك للفرصة ؟ .

ومن هنا يتدخل الحظ ، ولكنك يجب ألا تتوقع الحظ إذا لم تكن جسوراً .

وعلى كل لم تكن كل أحكام نابليون سليمة ، فقد أرتكب أول أخطاءه الكبرى بغزو أسبانيا عام ١٨٠٨ .

وقبلها بزمن طويل قال أحد ملوك فرنسا عن أسبانيا : — « إنها الدولة التى تهزم فيها الجيوش الصغيرة ، بينما تموت فيها الجيوش الكبيرة جوعاً . » وقد عهدت الحملة إلى سلسلة من المارشالات ، ولكن ذلك لايمنع من إلقاء المسئولية عليه على الأقل فى بعض الكوارث التى حلت بالجيوش الفرنسية . وإن السبب وراء هزيمة الجيش الفرنسى الكبير بصرف النظر عن ويلنجتون وجنوده ، هى حرارة وأشعة الشمس المحرقة والمقاومة المتعصبة للأسبان غير النظاميين ، فكانوا يقتلون حوالى ١٠٠ جندى فرنسى يومياً ، فى نفس الوقت كان نابليون مشغولا فى شمال أوروبا بشكل عاقه عن التدخل شخصياً فى أسبانيا ، وقد أفرط فى نفس الوقت فى توسعه . وفى عام ١٨١٣ ترك الفرنسيون أسبانيا .

ننتقل الآن إلى كارثة نابليون فى روسيا عام ١٨١٢ . ولم أفهم مطلقاً منطق نابليون فى ذلك الوقت . وفى رأيى توجد أحد القواعد الرئيسية للحرب تقول : — « لا ترحف إلى

موسكو » . وقد كسر هتلر هذه القاعدة وعاش ليندم عليها . ولم يكن الطقس وحده هو الذى أدى إلى هزيمة نابليون فى روسيا ، بل كانت أخطاء نابليون نفسه ، وما نتج عن ذلك من فقد الضبط والربط فى « الجيش الكبير » ، فقد بدأت أعمال السلب والنهب فى اليوم الأول لدخول موسكو .

وقد حدث أيضاً ضعف فى الروح المعنوية فى الجيش الفرنسى عندما علم الجنود بإضمحلال صحة[1] قائدهم . وفى روسيا ، وجد نابليون ظروفاً لم يكن معتاداً عليها ، أراضى مترامية الأطراف مع طرق قليلة ورديئة وبدون إمدادات ، ونظام لدولة ممتدة بدون قلب يمكن أن يسدد له ضربة حاسمة . ويعتقد الكثير من النقاد أنه فشل فى تكييف نفسه لهذه الظروف ، وهذا دليل على أن عبقريته لم تكن عبقرية خلاقة ، فكان يستطيع اقتباس جهاز عسكرى ويحسنه ويتلاعب به بمهارة لا تصدق ، ولكنه لم يستطع إختراع جهازاً جديداً . وفى كتاب « السير والتر سكوت » عن « حياة نابليون »[2] . قصة طريفة عن رحيله إلى جزيرة « إلبا » ، فقد أعطى طاقم السفينة منحة ، ونهض القبطان ليشكره مضيفاً : — « إننى واثق أننا جميعاً نتمنى لك حظاً أسعداً فى المرة القادمة » ، ولكن لم يقدر لهذه المرة القادمة أن تأتى . وأخيراً نأتى إلى معركة « ووترلو » ولم يكن نابليون فى هذا الوقت مثل ما كان عليه سابقاً .

ويمكن للمرء أن يخمن ماالذى كان يحدث لو أنه قابل ويلنجتون فى معركة وكان نابليون فى كامل قوته ونشاطه ...؟؟

وعلى كل لن أتعرض لمعركة « ووترلو » إلا عند الحديث عن « ويلنجتون » . ولقد صدر الكثير من الأحكام على نابليون وأعماله . وكان يبدو لى دائماً أنه كان طموحاً جداً . وقد صمم أن يعرف فى العالم على أنه أعظم القادة على الأطلاق .

إلا أن هذا الطموح دفعه إلى الهزيمة النهائية . ولكن بقى هناك شىء واحد يمكن

---

(١) لقد عاود لمرض السرطان نابليون فى ذلك الوقت . وقد كان السرطان أخيرا سببا فى القضاء على حياته بعد ذلك .

(٢) لقد نشر بعد بضع سنوات من موت نابليون.

أن يقال دون أى ريب : — « إن إنتصاراته لم تباريها أى إنتصارات أخرى ، وطالما بقيت هناك جنديه فيظل يذكر نابليون كواحد من أعظم القادة » .

ويلنجتون

كان « ويلنجتون »رجلا مختلفاً كثيراً عن نابليون . فبينما كان الأخير مدفوعاً بطموح أنانى ، فكان المبدأ الرئيسى لحياة ويلنجتون هو « الواجب »، ولم يهتم بأى طموح شخصى، ولم يبدو أنه يتحرك بدافع الرغبة لكسب الأطراء والثناء أو رفع نفسه إلى مناصب الشرف والقوة . وكجندى ، فكان حذراً ، وعلى درجة عالية من المقدرة الإستراتيجية .

وفى الهند تعلم فن الحرب على المستوى البدائى ، وكان واثقاً متزناً ثابتاً أكثر من كونه ذكياً . وكرجل تكتيكى فقد جمع بين الثبات والذكاء ، وفوق ذلك كان أستاذاً فى الدفاع ، ولكن عندما تحين له الفرصة يتحول إلى مهاجماً جسوراً ، كما حدث على سبيل المثال عند « سالامانكا » فى يوليه ١٨١٢ .

وإنه لمن الغريب والذى يدعو للتساؤل لماذا كان فى بعض الأوقات يبدى كثيراً من الملاحظات التى تنتقص من مقدرة جنوده؟، وعلى سبيل المثال كتب قبل « ووترلو » : — « إن لدى جيشاً سيء السمعة » ويزعم أنه قال أيضاً بعد « ووترلو » : — «لقد كسبت معركة « ووترلو » فى ميادين الألعاب الرياضية فى أيتون » . وأنه لمن الخطأ والتحقير من شأن ويلنجتون أن تنسب هذه الجملة إليه ، وفى الحقيقة فهذه الكلمات أستخدمها لأول مرة الكاتب الفرنسى « مونتا لمبرت » فى كتاب نشر بعد سنوات من موت « ويلنجتون » وتضمن الكثير من الإساءة إلى سمعته . وعلى أى حال فإن من أبعد الأشياء عن تصورى أن يستخدم ويلنجتون هذه الكلمات على الإطلاق بعدالمعركة ، لأنه لا يوجد أحد يعلم أفضل منه، الدور الذى ساهم به الإنجليز من ضباط وصف وجنود من جميع الرتب لتحقيق النصر . وإننى أوافق « جون لافين» عندما قال فى كتابه « روابط القيادة » من أن الجيش البريطانى هو الذى كسب تلك المعارك العديدة التى فتحت الطريق أمام ويلنجتون من أسبانيا إلى فرنسا عبر جبال البرانس . وأنا أقول ذلك دون أى محاولة منى للتقليل من عبقرية ويلنجتون التكتيكية والقيادة وصفاته العسكرية التى ظل يتقسم بها طوال الحملة . وإن كلمات «لافين» لهى تقدير رائع للجندى البريطانى فى تلك الأيام .

وسوف أختتم ببعض الملاحظات عن « ووترلو » ، لأن دارس التاريخ سوف يجد أنه لا يستطيع دراسة معركة « ووترلو » والتى نشبت فى ١٨ يونيه عام ١٨١٥ ، دون الأخذ فى الإعتبار لما وقع من أحداث فى كل من « لجنى » و « كوارتر براس » فى ١٥ ، ١٦ يونيه ، وبدون هذه الإعتبارات سيصبح ذلك كمن يدرس قصة شكسبير «هاملت» دون الإلتفات إلى شخصية « الأمير » ، ولا يمكننى أتصور معركة نشبت فى منتصف القرن ٢٠ بتلك الطريقة التى تم القتال بها فى ووترلو . وأنها لنقطة جيدة للتساءل عن من أرتكب أخطأ أسوأ .. ويلنجتون .. أو نابليون ؟؟ .

فى ليلة ١٥ يونيه ، كان ويلنجتون يرقص فى حفلة راقصة فى « بروكسيل » أقامها دوق ودوقه « رشيموند » ولم يكن جيشه قد فتح بعد لتشكيل المعركة ، كما أنه غير مستعد للقتال بكفاءة إذا فوجىء بهجوم ، بالرغم من أن نابليون وجيشه كانا على مسافة قريبة ، وذلك بعد عبوره الحدود البلجيكية فى هذا الصباح . وأحرز نابليون مفاجأة كاملة ووضع جيشه بين جيش « ويلنجتون » و « بلوخر » واللذان كان جيشاهما بعيدان عن بعضهما بدرجة كبيرة لا تمكنهما من القيام بمقاومة مؤثرة مشتركة فيما لو أستخدم نابليون بسرعة المبادأة التى حصل عليها ، ولكنها لم تستخدم .

ولم يحدث قط أن كان هناك نصراً فى متناول قبضة أى قائد مثل ما كان موجود فى ١٥ يونيه ، فالنصر كان موجوداً على طبق من الفضة فى إنتظار نابليون ليأخذه . وكان على ويلنجتون أن لا يلوم إلا نفسه لسماحه بوجود هذا الموقف . وبالنسبة لى ، فإننى لا أصدق أن يحدث مثل هذا الإهمال من قائد عظيم مثل ويلنجتون . ومع ذلك وبالرغم من كل شىء ، فقد تحول النجاح الفرنسى الساحق بعد ثلاثة أيام إلى كارثة ، ويرجع ذلك إلى سلسلة من الأخطاء والإهمال ، والتى يجب أن يقع اللوم فيها على نابليون . ولقد تساءلت أحياناً كيف كان نابليون يفكر فى كل ماحدث فى منفاه فى « سانت هيلانه » حيث كان لديه كثير من الوقت لإعادة التأمل ؟

وقد قرأت أنه قال : — « بالرغم من كل شىء فكان يجب على كسب هذه المعركة . » ومن المؤكد أنه كان سيكسب لو أنه تعقب البروسيين بعد « لجنى » بكل جيشه وأرهق جيش بلوخر بالدرجة التى تجعله غير قادر على الظهور مرة ثانية فى ميدان القتال كقوة مقاتلة مؤثرة

لفترة من الوقت وعلى وجه التحديد ليس فى ١٨ يونيه لمساعدة ويلنجتون عند ووترلو .

ترى ما الذى سيقوله ويلنجتون لو قدر لى أن أخاطبه اليوم وأعرض عليه الموقف فى ١٥ يونيه كما أراه أنا ، وأقول له أن استراتيجية نابليون قد ضللته . ؟

ترى هل سيكون جوابه صفعة من يده ؟ . . . ربما . . .

وعلى أى حال وبالرغم من تعليقى على أخطاءه فى « ووترلو » ، فإنى دائما أعتبر ويلنجتون أفضل من أنجبته بريطانيا لحقبة طويلة من الزمن ، ولازلت على نفس نظرتى إليه اليوم وأنا أسطر صفحات هذا الكتاب .

نيلسون

منذ صباى ونيلسون يحتل فى مخيلتى منزلة أبطال الأساطير ، وعندما بدأت دراسة الحرب تبين لى مدى ماقدم هذا البحار لبريطانيا . وأن السر وراء قوة نيلسون هو فهمه للرجال وبالتالى تفهمهم له . وكان يعرف كيف يكسب قلوب الرجال . وكان يبدو أن لديه تأثير مغناطيسى على كل الذين يخدمون معه ، فكان يقود بالحب والقدوة . وكان لايوجد شىء لايقوم به من أجل الذين يخدمون تحت قيادته .

فى نفس الوقت يتفانوا جميع قباطنته وبحارته فى خدمته . ونجد أن الانتصارات الكبيرة فى البر والبحر تسبب الإعجاب والاحترام للقائد الأعلى المنتصر ، ولكنها لاتستثير دائما العاطفة أو الحب . والمقدرة على كسب الولاء ، والخدمة النابعة من صميم قلوب المرؤوسين لم يكن ينظر لها دائما كصفة ضرورية للقائد البحرى ، فقد قرأت أنه كان هناك أدميرالات ناجحين يحققون النصر من خلال جنود يعملون تحت وطأة الخوف من الفشل . إلا أن التأثير المذهل لنيلسون على رفاقه ربما يكون هو السبب فى تحقيق إنتصاراته الفريدة علاوة على إستخدام ذكاءه أيضاً . فى اللحظة التى كان يخطو فيها فوق ظهر السفينة ، كانت تشع منه قوة مغناطيسية ، فتصبح المجموعة المتنافرة من الرجال الذين ليس لديهم غرض مشترك ، رابطة من الأخوة ، ولايقتصر هذا الإشعاع على سفينته فقط بل كانت تنتشر فى كل سفينة فى الأساطيل التى يقودها . إن صفات القيادة التى لدى نيلسون أعجبتنى دائماً وكثيراً .

والقيادة البحرية تشبه قيادة الجيوش البرية فى أن المادة الخام التى يتعامل بها القائد

البحرى هى . . الرجال ، وأنها أساساً مشكلة إنسانية كبيرة . . هى كيف تكسب قلوب بحارتك ؟ ولقد كانت تلك هى مشكلتى فى القيادة . . . كسب قلوب الجنود ، ومنذ قيادتى لفصيلة من ٣٠ رجلا فى إحدى معارك عام ١٩١٤ . وعلى كل فكانت قيادة البحرية تختلف كثيراً فى أيام نيلسون .

فبمجرد إشتباك سفينة فى القتال الضارى فلا يمكن عمل شىء لها ، حيث لا يمكن رؤية الإشارات من خلال دخان المعركة ، ولا يمكن للسفن ذات الصوارى المكسورة والأشرعة الممزقة أن تستجيب لسفينة القيادة حتى لو سمح الهدوء المؤقت للمعركة برؤية الإشارات . وكانت مهمة نيلسون فى البحر أصعب بكثير من القادة التاليين له والذين قادوا سفنا سريعة الحركة فى عصر البخار ، لأن لو فرض أنه يريد تعديل خط الاقتراب فكان لا يستطيع معالجة ذلك بالإشارة . وإننا معشر الذين نعيش فى عصر الوقود والمواصلات اللاسلكية ميالين لأن نتناسى الظروف المختلفة التى كانت تسود عصر الشراع .

أما عن إنتصارات نيلسون ، فهناك آخرون أكثر قدرة على الكتابة بعمق فى مجال البحر ، ولن أقوم بمجرد المحاولة . ولو كان مقدرا لنيلسون أن يموت فى معركة ، فان يكون هناك مكاناً أكثر ملاءمة من سفينته التى تحمل علمه كقائد عاما للبحرية . وقد مات وهو يعلم أن الأسطول الذى قاده فى المعركة والرجال الذين أحبهم قد كسبوا نصراً كبيراً . وعندما سقط فى ٢١ أكتوبر عام ١٨٠٥ ، يوم إنتصاره الساحق فى الطرف الأغر ، ترك بريطانيا ولها السيادة المطلقة على بحار العالم بدرجة أن نهاية نابليون أصبحت مؤكدة ، بالرغم من أن ذلك إستغرق عشر سنوات أخرى والسبب فى هذه الفترة الطويلة أن نابليون كان محصوراً فى إستراتيجية برية .

ولا يسعنى فى النهاية إلا أن أنادى بنيلسون كأعظم قائد بحرى لكل العصور .

الفصل السادس عشر

المغول — الصينيون — اليابانيون

جانكيز خان (أنظر اللوحة رقم ٣٨)

جانكيز خان

حتى الآن لم تأخذ دراستنا للحرب إلى وراء مايطلق عليه « الشرق الأدنى » لذلك فسوف ننتقل بعيداً إلى الشرق الأقصى ، لندرس كما يشير عنوان هذا الفصل تاريخ الحرب لثلاثة شعوب آسيوية . وبالرغم من أنهم جميعاً ينتمون إلى جنس واحد إلا أن كل منهم يختلف عن الآخر إختلافاً كبيراً . وقد طفت كثيراً فى الصين واليابان وإستطعت مشاهدة عن قرب الشعوب التى تعيش اليوم فى هذه البلاد ، وسوف أتحدث عنهم بتفصيل أكثر فى السطور القادمة .

ودراسة الخريطة سوف تتيح للقارىء رؤية دولة (المغول) والتى سوف ندرسها أولا . وإننى لاأعرفها جيداً ولكنى طفت « بمنغوليا الداخلية » وحلقت بالطائرة فوق طول سور الصين العظيم والطرف الجنوبى لصحراء جوبى ، وشاهدت جزءاً من منغوليا الخارجية من الجو . وكان (المغول المنغوليون)فى الأزمنة الغابرة مجتمعا يتألف كله من المحاربين ، وربما كان اكثر مجتمعات العالم نجاحا . وقد أنجبوا « جانكيز خان » أحد القادة والفاتحين العظام النادرين .

أما الصينيون فكانوا على العكس من ذلك ، شعب بطبيعته غير ميال للحرب وكانوا

يشعلوا الحرب على مضض وتحت ضغط الظروف التاريخية ، ولم يسهموا مساهمة رئيسية فى فن الحرب ، اللهم فيماعدا آراء أحد كبار العسكريين النظريين مثل « صن تزو » ، وعلى أى حال فإنه من المفيد دراستهم كشعب مسالم فريد . أما المجتمع اليابانى فكان مجتمعا يغلب عليه الطابع العسكرى . وأنجبت اليابان طرازاممیزاورائعامن المحاربين من نوع «الساموری»(١) كما قدموا على الأقل جنرالا واحداً يستحق الذكر هو « هيديوشى » .

ومن الحقائق المثيرة أنه فى الفترة التالية للقرن ١٦ ، عندما واجه المغول والصينيون واليابانيون التطور الجديد للتكنولوجيا العسكرية المتفوقة فى أوروبا هجرت كل من هذه الشعوب الحرب تقريباً، واستمرت النظم الحربية فى تدهور حتى القرن ١٩ ،أى إلى النقطة التى سوف نبحثها هنا . وستتم دراسة التاريخ العسكرى للشعوب الآسيوية من منتصف القرن ١٩ وما بعده أى عندما بدأت تضفى السمة الغربية على حروبهم . وقد جاء المغول من سهول وسط آسيا الواسعة ومن الضرورى ان يكون سكان هذه المنطقة والتى تعيش على المراعى من راكبى الخيول ، وزاد من صلابتهم قوة المناخ الشديد الحرارة والبرودة ومعيشتهم طول حياتهم فى الخيام وعلى ظهور الخيل . وأصبح محتم عليهم أن يكونوا مقاتلين لأن الأرض جدباء وبالتالى كان هناك سعى دائب للبحث عن بقاع جديدة ،ولذا فلابد من تنافس القبائل والشعوب المختلفة من أجل البقاء ، علاوة على التقلب اللانهائى للانتقال من أجل المراعى والصراع عليها، وكان يبرز من حين إلى آخر ،قائداً قوياً بدرجة يستطيع ان يحجب الرؤساء الآخرين مع توحيد قبائل الاتراك والمغول(٢) . مثل الكريات والنايمان والميركيت وآخرين .

ففى القرن الرابع كان اتيلا قائد « الهون » او « الهيينج نو » كما كانوا يعرفون فى هذه الأطراف النائية من العالم ، وهم أنفسهم الذين إنحدروا منهم القبائل المجرية فى القرن التاسع. وقد أستطاع جانكيز خان أن يوحد هذه القبائل الرحل فى اتحاد كامل ولكن كان أتحادا كله شرور عام (١١٦٢ — ١٢٢٧) . وعند مولده أطلق عليه والده والذى كان أحد الزعماء

---

(١) هو المحارب الأرستقراطى

(٢) لقد تلاحظة أن مونتجمرى يذكر كلمه المغول مرة ويذكر المنغول مرة أخرى وهو يعنى أنهما واحد «المعرب»

المغوليين الثانويين أسم « تموشين » . وعندما خلف والده وهو فى الثالثة عشر من عمره كان عليه أن يقاتل من أجل إرثه ، وكان من الناحية البدنية متينا وشجاعا وواسع الحيلة لجميع أبناء جنسه ، وكان يتميز بثقته فى نفسه وطموحا وبليغا ، كما أظهر تفوقا غير عاديا فى كسب الأتباع الأوفياء وإنهاء الخلافات لتطلعه إلى وحدة أكبر . وفى عام ١٢٠٦ وعندما كان فى الرابعة والأربعين وبعد عمل وقتال متواصل إستطاع الحصول على لقب « خان » على جميع القبائل ، وعندئذ إتخذ إسم « جانكيز خان » . وأنه لمن المثير التأمل فى أن عدداً قليلا جداً من قادة الماضى كانوا « قادة عظماء » بالرغم من أن الجنس البشرى كان يشن الحروب منذ نشأته ، ونتيجة لعدم وجود قادة بارعين فى أوروبا خلال العصور الوسطى لبس المقاتلون الدروع ، ونسوا خفة الحركة ، وأهملوا قوة النيران ، وأصبحت المفاجأة مستحيلة عمليا . ولكن فى هذا الوقت بالضبط ظهر فى آسيا رجل عسكرى عبقرى وعظيم ، وهو « جانكيز خان » ، والذى كان مكانه فى الصف الأول من العسكريين العظام ، وزعيما عظيما ، والذى تعتبر حملاته نماذج فى فن الحرب ، ولسوف نرى الآن كيف قام بأعماله . كان الشعب المنغولى بدائياً وهمجيا . وفى الماضى كانت القبيلة التى تنتصر على الأخرى يتبع هذا النصر عادة التخريب والمذابح . وسرعان ماجاء « جانكيزخان » وأظهر تفوق فى تفكيره باستخدام إنتصاراته بطريقة بناءة وذلك بتوحيد شعبه ورفع ضحاياه ليصبحوا من رعاياه ، وكان هذا الطابع من القيادة يجعل هؤلاء فخورين بوضعهم الجديد .

وقد وحد هذه القبائل الرحل بقوة عزيمته وأرهابهم بقوته ، وفى نفس الوقت بتقديم المكافآت الكبيرة لهم. كما قام بتنظيم رابطة الأخوة بين جميع القبائل من أجل الحرب . ولم يكن خضوع القبيلة لجانكيز خان شكلياً ، فكان كبار رجال القبيلة يحضرون للخدمة فى هيئة أركانه أو فى حرسه ، كما كانت الجزية تدفع لخزينته. وعلى القبيلة أيضاً تجهيز نفسها لتكون وحدة فى القوة المقاتلة الكبيرة . وكانت القبائل تحصى بعدد خيامها ، ويخصص لها أراضى للرعى . أما السلطة داخل القبائل فكانت تعطى بالإختيار أو التأييد ، وكان هناك نظام يكفل الحفاظ على أمن الأفراد ، وهو نظام عادل ومرن وضع قوانينه جانكيز خان عام ١٢٠٦ تحت اسم « ياسا » . وتحت ظروف الحرب كان الأمراء والشيوخ ورؤساء القبائل

يقودون وحدات «التومان»[1] وأيضاً يقودوا الألوف أو المئات . وكان النظام العشرى سائداً إعتباراً من « التومان » حتى الرتل المكون من عشر رجال . وكان رئيس القبيلة مسئولا على المحافظة على رجاله مدربين بصفة دائمة ومجهزين بالمهمات والمعدات طبقاً للنظام الموضوع لذلك ، وكان عليه أن يجيب فوراً على إستدعاء الخان للحرب . وكان الخان لديه « تومان » خاص به مكون من نخبة « التومانات » . وكان أعلى الضباط درجة فى قيادة الجيوش يطلق على الواحد منهم « أورلوك » وكان عددهم حولى ١١ . وعندما توحدت القبائل الرحل عام ١٣٠٦ كان جانكيز خان يحكم إمبراطورية تمتد لمسافة ١٠٠٠ ميل من الشرق للغرب ، أى من جبال خنجان (شرق صحراء جوبى) إلى سلسلة جبال الطاى (شمال شرق بحيرة بلكاش) والتى ضمت ٣١ قبيلة . وكان السلم بالنسبة لهذا الشعب ماهو إلا إستعداد للحرب .

راكبو السهام

وكان كل رجل فى الجيش المغولى فارساً ، وكان بعضهم أثقل تسلحاً من الآخرين .



قوات المغـــول وتستخدم الحربة المعقوفة

(١) وحدة تتكون من ١٠٠٠٠ رجل وهى أكبر وحدة فى الجيش «المعرب»

وتحسنت معداتهم جميعاً عندما أصبحوا أكثر خبرة وثراء . أما الدروع فكانت قليلة ، فالرجال يرتدون ثياباً من جلد الغنم ، وسترات فضفاضة من الجلد المدبوغ ، ودرع من شريحة جلد مصقول .

وكان البعض يرتدون قمصاناً من الحرير الخام الذى لا يخترقه رؤوس السهام ولكن ينغمس معه فى اللحم ، مما يخفف من خطورة الجرح . وكانت تستخدم الدروع المستديرة بواسطة الجنود الذين يقومون بواجب الحراسة ، وقوات الصدمة فى الخط الأمامى وأيضاً بواسطة حرس الخان فقط .

وكانت الأسلحة الرئيسية للمغول هى الحربة المعقوفة والسيف المعقوف ، والذى له سن مدبب الأمر الذى جعله مناسباً لكل من الطعن والقطع ، وقوسين ، أحدهما للاستخدام من فوق ظهر الخيل والآخر للضرب الأكثر دقة من على الأقدام . وكان هناك ثلاثة أنواع من السهام كل منها يلائم حالة معينة من حيث المدى وضد مختلف الدروع . وإلى جانب هذا توفر لكل رجل بلطة تتدلى من حزامه ، ووهق[1] وصندوق يحتوى على شمع وأوتار احتياطية للقوس ، مبارد لشحذ السهام وإبرة خيط ، وقربة مانعة للماء لحمل الملبوسات الإحتياطية والتى يمكن نفخها لعبور الأنهار . وأخيراً يحمل معدات للطعام كالآتى : — مخلة لفرسه ووعاء شخصى لطهى طعامه ، وتعيينه الرئيسى من الطعام والذى يتكون من اللحم المقدد والمدخن وكتلة من اللبن المجفف . وأصدر جانكيزخان أمراً بمسئولية الزوجة فى وقت السلم ويتضمن رعاية مؤن وملابس زوجها ، تكون جاهزة على الدوام . وفى فترات السلم احتفظ بلياقة الرجال مع تدريبهم على إستخدام أسلحتهم بصيد الحيوانات المتوحشة . وبالتدريج تعلم المغول من أعدائهم سكان المدن فن الحصار ، وحملت جيوشهم فيما بعد بعض آلات إطلاق القذائف والمنجانيق وذلك فى أجزاء على ظهور الدواب . وكانت الصفات المميزة لقتال المغول هى خفة الحركة والتنسيق .

وعند وصف الحملات التى قام بها هؤلاء الفرسان الذين زحفوا خلال أراضى ليست لها

---

(١) عبارة عن قطعة من الحبل وستخدم فى تقييد الجواد وفى أصطياد المدو أو لسحب الأمتعة الثقيلة . « المعرب »

خرائط من الصين حتى البحر المتوسط ، ويصعب قياس المسافات بالأميال ويرجع جزء من سر ذلك التنسيق الذى كان يسود حملاتهم إلى الموهبة الغريزية لهؤلاء القوم الرحل فى معرفة العلامات الأرضية والاتجاهات .

وكان لديهم جهازاً عالى التنظيم للتجسس والاستطلاع والاتصال ، وكانت المعلومات العامة ترسل باستمرار إلى جانكيزخان من أتباعه الحكام المرؤوسين ، أما الرسائل الخاصة للخان ورسائل الجواسيس فكان يعهد بتوصيلها إلى سعاة الخان الخصوصيين ؛ والذى يطلق عليهم « راكبوا السهام » وكانوا يحصلون فى كل مكان على الأولوية وأيضاً على المساعدات المتمثلة فى تقديم أجود الخيول والمؤن المتوفرة .

وكان فى إمكان هؤلاء السعاة قطع مسافات فى أيام تتطلب عادة أسابيع . وكانت أجسادهم تلف بالضمادات لمساعدتهم فى ركوبهم الطويل ، كما كانوا ينامون على ظهور خيولهم . ومع توسع فتوحات المغول ، أصبح جزءاً هاماً من سياسة الخان المحافظة على الطرق وحمايتها وخاصة طرق القوافل القديمة التى ضمها إلى شبكة الطرق الآسيوية حيث وضع عليها مخافر دائمة . وفى وقت الحرب ، يتقدم مسيرة الجيش بعض عناصر الاستطلاع ويبدأوا سيرهم قبل الجيش بـ ٥ أيام .

وقد أستفاد جانكيزخان فى إستفادة كاملة من الجواسيس ، وهنا كان الباعة المتجولين ذو نفع كبير له .

وتحت إلحاح الرغبة فى السيطرة ، وتحت ضغط الحاجة للابقاء على جذوة الحرب متوهجة فى شعبه حرض المغول ضد الصينيين . وكانت أسرة كين الحاكمة فى الصين ضعيفة سياسياً ، ولم يحاولوا التدخل (كما كانت السياسة الصينية الماضية) ، لمنع اتحاد القبائل الرحل فى الشمال والغرب .

وعلى أى حال كان « جانكيزخان » إستراتيجياً حذراً ، فلم يكن لديه معلومات مؤكدة عن قوة الصين ، ولكنه اكتشف أن جيوشها مكونة من عدد ضخم من الجنود المترجلين وأنها تعتمد إلى حد كبير على الحصون القوية . وكان فن الحرب الصينى غير مألوف للمغول .

وفى عام ١٢٠٧ قام الخان بتجربة ، بأن قاد جيشا مغوليا قويا إلى ولاية «هسى هسيا[1]» . وفى ميدان القتال هزم فرسان المغول كل ما وقف أمامهم ماعدى المدن المحصنة . وقد إستفاد « الخان » من هذه التجربة ودرب فى السنين القليلة التالية بعض ضباط المغول على حرب الحصار ، باستخدام المنجانيق والنفط والسلالم وأكياس الرمل .

ومع حلول عام ١٢١١ وبعد أن تعلم جيشه الكثير وقهر ولاية « هيسى هسيا » ، وبعد أن أمن أجنابه قام بمغامرته الكبرى ضد الصين الكبرى .

اختراق سور الصين العظيم

وفى هذا الوقت برز وتطور نموذج غزوات المغول ، إلا أن هذا الغزو الذى سنتحدث عنه الآن يعتبر أكبرها وأعظمها جميعا ، والذى كان موجها ضد الصين . وقد دعى المجلس للانعقاد فى مقر قيادة « الخان » ونوقش الموقف بحضور جميع كبار الضباط ، وتم وضوح الهدف ، وإختيرت المحاور لسير القوات ، وتحدد شكل المجموعات التى ستتخذها الفرق ، كما وضعت الخطوط العريضة للخطة .

وكانت المخابرات قد عكفت على دراسة الموقف لفترة من الوقت قبل إنعقاد المجلس . وبدأ « الهورد[2] » التحرك ، وكانت أول قوات تحركت هى عناصر الاستطلاع والتى تكونت من حوالى ٢٠٠ فارس يسيرون فى أزواج حيث انتشروا فوق المناطق المجاورة ، وسار بعدهم الحرس الأمامى المكون من «ثلاث تومانات» أى ٣٠٫٠٠٠ محارب منتقين جيداً ومجهزين ومع كل منهم جواد إحتياطى ، غير الذى يركبه . وكان قادة « التومانات » الثلاثة فى عام ١٢١١ هم « موهولى » و «سابوتاى » و «شبى نوبون » ، وتولى الأخيران منهم القيادة العليا قبل بلوغهما سن ٢٥ . وتلى الحرس الأمامى القوة الرئيسية والتى تكونت من ثلاث فرق بلغ مجموعها الكلى ١٦٠٫٠٠٠ مقاتل .

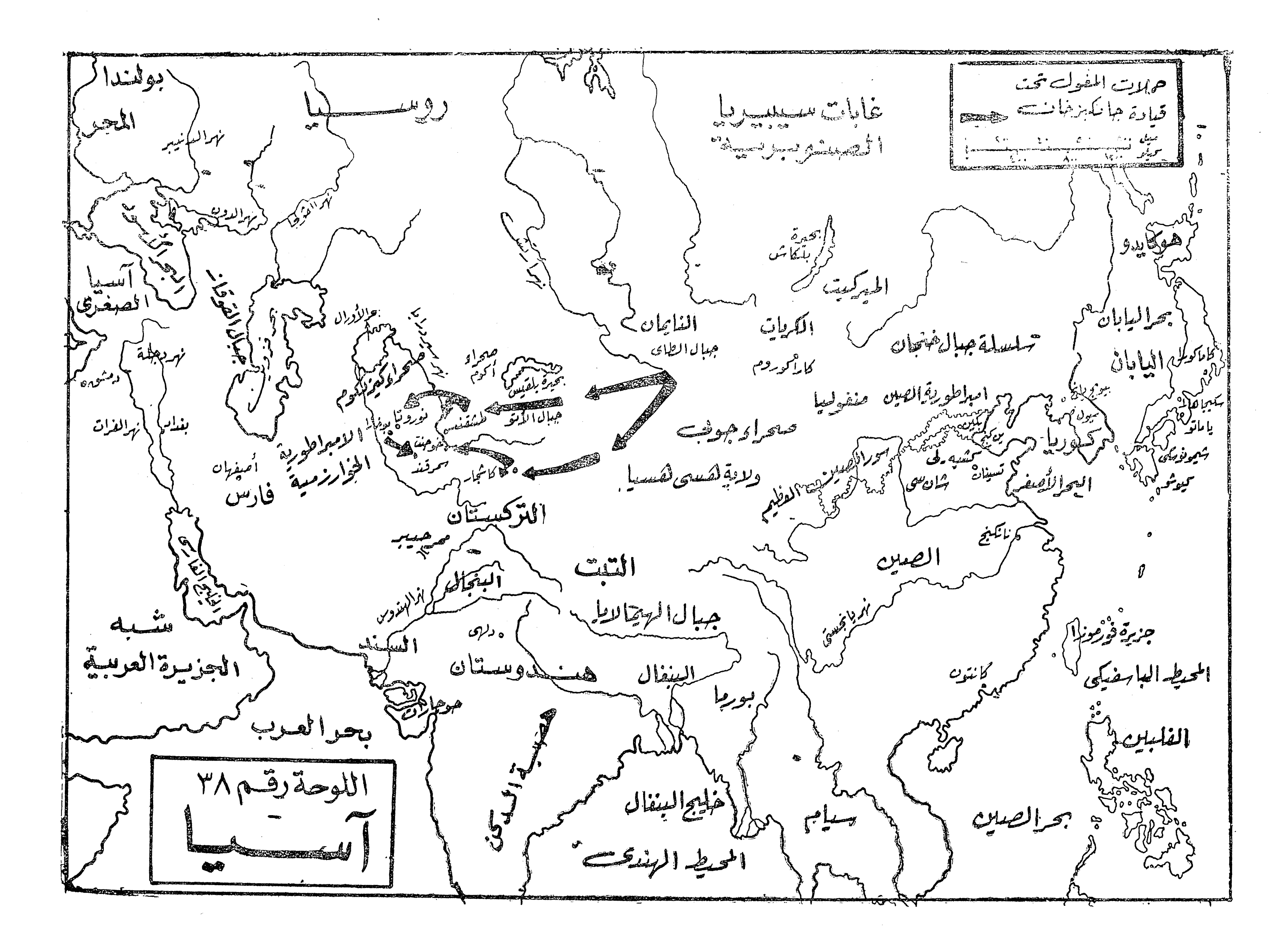
وكان جانكيزخان على رأس الفرقة الوسطى والتى تتكون من ١٠٠٫٠٠٠ مقاتل . وكان علم جانكيزخان الخاص عبارة عن تسع ذيول « قوناسن[3] » بيضاء . وخلال الحملة

---

(١) وهى جزء شبه مستقل من الأمبراطورية الصينية فى الشمال الغربى .

(٢) يطلق هذا الأسم على غزاة المغول

(٣) نوع من الثيران الضخمة والتى تقطن فى وديان التبت


اللوحة رقم ٣٨
آسيا
حملات المغول تحت قيادة جنكيزخان
غابات سيبيريا
روسيا
بولندا
المجر
آسيا الصغرى
جبال القوقاز
فارس
الامبراطورية الخوارزمية
صحراء قزل كوم
بخارى
سمرقند
كاشغر
جبال الطاى
جبال الاتو
صحراء جوبى
منغوليا
كاراكوروم
الكرايات
النايمان
سلسلة جبال خنجان
امبراطورية الصين
بكين
كوريا
البحر الأصفر
بحر اليابان
اليابان
هوكايدو
التركستان
التبت
جبال الهيمالايا
البنجال
السند
هندوستان
هضبة الدكن
البنغال
بورما
الصين
نانكنج
كانتون
جزيرة فورموزا
المحيط الباسفيكى
الفلبين
بحر الصين
سيام
خليج البنغال
المحيط الهندى
بحر العرب
شبه الجزيرة العربية
بغداد
دمشق
نهر الفرات
نهر دجلة
أصفهان
السور العظيم
دلهى

كان القائد الأعلى على إتصال مستمر بكل قادة الفرق بواسطة سعاة «راكبى السهام» .وكان يوجد عدة طرق إقتراب تستخدمها القوافل للدخول إلى الصين ، وفى عام ١٢١١ إخترقت الفرق المتقدمة طريقها خلال «سور الصين العظيم» وعلى خطوط منفصلة تقدم «شان-سى» و «تشيه-لى» على محور «بكين» . ولم يكن لدى جيش «جانكيز خان» أى إحتياطى من المؤن عدا ما يمكن العثور عليه فى الطريق ، ولكن كان ذلك كافيا . وكان لكل قائد فرقة حرية التصرف للمناورة والإشتباك مع العدو فى قطاعه ، ولكن الهدف الرئيسى كان واضحاً وهاما . وكانت تأتى رسالة من القائد الأعلى فى أى لحظة تستدعى هؤلاء القادة للقيام بعمل معين . وكانت هذه القولات المنفصلة تستطيع أن تتحول بسرعة لتعاون بعضها نتيجة لخفة حركتها .

وكان الجيش المغولى يطبق تماماً المبدأ القائل «سر مجزءاً وقاتل متحداً» . وفى الحقيقة هذه حكمة «فون مولتكه» رئيس أركان حرب الجيش أيام قيادة بسمارك . أما تكتيكات المغول فكانت بسيطة ، ولكنها شديدة الفاعلية والتأثير . وقد خططوا دائما لمفاجأة العدو ، وتحركوا نهاراً وليلا بسرعة ، كما كانوا يجمعون «تومانا تهم» بدقة مطلقة . وإذا لم يحقق لهم هذا التخطيط النصر ، فسيقومون على الفور بتطويق العدو بالالتفاف حول أحد أجنابه . كما أستخدموا أيضاً تكتيكات الفرس القديمة الخاصة بالانسحاب الخداعى ، فكانوا ينسحبون لأيام ، ثم يستديروا مرة أخرى وينشروا قواتهم على شكل المروحة ليطوقوا أجناب العدو . وعادة ماتهاجم فرسان المغول فى تشكيلاتها تحت ستر وابل من قذائف أقواسهم وحرابهم . وكانوا يسيطرون على تحرك التشكيلات بواسطة الإشارات(١) . وفى الواقع كان طابور المعركة عندهم جيداً ، وتقسم القوات فى خمس صفوف ، ورجال الصفين الأماميين كانوا تدريعهم ثقيلا .

وبعد حدوث صدمة الهجوم الأولى ، يصبح الصراع مائعاً وغير منتظم ، كل رجل يقاتل من أجل نفسه مستخدما سيفه ، ويحاول إيقاع خصمه على الأرض باستخدام حبله ذى الأنشوطة أو خطاف حربته .

---

(١) أعلام أثناء النهار ومصابيح أثناء الليل «المعرب»

المغول يهاجمون الامبراطورية الاسلامية (أنظر اللوحة رقم ٣٨)

وبهذا الأسلوب إنطلق الزحف السريع الأول إلى داخل الصين، وتم التغلب على كل المقاومات، ولكن ظل المغول على ضعفهم أمام التحصينات. وأخذ السكان الصينيين يتحصنون داخل مدنهم، مما أدى إلى تعثر سير القتال المغولى حتى وصل إلى التوقف. وسقطت بعض المدن بالخداع والذى كان المغول خبراء فيه. ولكن كما حدث لهانيبال أمام روما، توقف جانكيزخان وقواته أمام « ين كنج[1] » العاصمة وإستمر هذا الموقف مدة خمسة سنوات من ١٢١١ إلى ١٢١٦.

وكان المغول ينسحبون فى كل خريف ويعودون فى الربيع التالى مكتسحين كل ما فى طريقهم فى تشكيل أرتال منفصلة تتقدم عبر الأرض المفتوحة. وفى كل عام كان تدميرهم يزداد ويستولوا على مدن أكثر، إلا أن المدن الرئيسية واصلت الصمود بالرغم من إضطراب السياسيين المحليين. ولكن فى النهاية فى عام ١٢١٦، أذل الإمبراطور الصينى « كين » نفسه ودفع جزية كبيرة جداً، للتخلص من المغول. وحصل « جانكيزخان » على زوجة من الدم الإمبراطورى الصينى، بينما ترك «موهولى» والذى كان قائد تومان، كنائب للملك وحاكم عسكرى للصين. وعاد « جانكيزخان » إلى عاصمته « كارا كوروم » والتى تقع فى شمال صحراء الجوبى، ومعه الغنائم الثمينة التى وعد بها رجاله، كما جلب معه الحرفيين والتكنولوجيين والمدرسين الصينيين، أما الأسرى الذين ليس لهم قيمة فقد ذبحهم. والآن، وقد تم له إخضاع الشرق، وتأكد من هدوء الموقف فى قلب مقاطعاته، حول إنتباهه إلى الغرب، إلى القوة الإسلامية الكبرى إلى «إمبراطورية الخوارزميين» والتى تقع خلف جبال الهيمالايا.

وكان الشاه « علاء الدين محمود » من الفاتحين والذى كان حكمه يمتد من الخليج الفارسى وبغداد حتى جبال الهيمالايا.

وكانت هذه الفترة من أخطر الفترات التى مرت بها القوة الإسلامية حيث كان الصليبيون ينسحبون من كل مكان فى أقصى الغرب. ولم يكن جانكيزخان يعلم إلا القليل

(١) سميت بعد ذلك بكين

« المعرب »

عن العالم الإسلامى ، سوى أن التجار من حين إلى آخر يحضرون منه ببضائع قيمة من المنسوجات والجياد والمصنوعات المعدنية الممتازة مثل السيوف والدروع . وربما كانت معلومات علاء الدين محمود أقل من المغول ، ولكنه لم يخشاهم فكان لديه جيشا جرارا يقدر بحوالى ٤٠٠ر٠٠٠ مقاتل .

وفى ربيع عام ١٢١٩ ، أصدر جانكيزخان[1] أوامره إلى قبائله بالتجمع فى الجنوب الغربى أى عند منابع نهر « أرتش » . وتجمع فى هذه البقعة ما يقرب من ربع مليون رجل ومعهم تجهيزات أحسن مما كانوا عليه فى أى وقت مضى ، فتواجد مع كل رجل ثلاثة خيول ، كما كان هناك قافلة من المدفعية المحملة على ظهور ثيران التبت الضخمة . ولكى يحول الخان الأنظار عن تجمعه ، أرسل قوة بقيادة « جوجى » فى إتجاه السهول السفلى لنهر « سير داريا » حيث نهبوا الأراضى المنخفضة الواقعة بين صحراء « أ كوم » وسلسلة جبال « الأنو » ، وإعتقد الشاة أن هذا هو الغزو الرئيسى ، وأرسل إبنه « جلال الدين » لتسديد ضربه لهذا الغزو ، وناوشه المغول ثم إختفوا خلف حشائش السهل التى إندلعت فيها النيران . وتحير الشاة ولكنه خدع بهذه العمليات وقام بدفع قواته على طول خط نهر « سير داريا » ، وبذلك لم تعد دفاعات الخوارزميين قوية فى أى مكان . وهذه الفرصة قد تمناها جانكيزخان وقد إستغلها عندما بدأت العمليات الفعلية . وبدأ المغول زحفهم فى الخريف ، وقد أعترض طريق تقدمهم أعلى جبال فى العالم وهى هيمالايا ولذلك تحرك الجيش المغولى الرئيسى فى اتجاه الغرب فى مسيرة طويلة وشاقة إلى بوابات « زونجاريان[2] » ولكى يبقى الرجال على أجسادهم دافئة إرتدوا جلد الغنم مع تناول « الكومس[3] » .

ولخداع العدو طبقاً لاستراتيجية « الكماشة » ، أرسل جانكيزخان مجموعة من ٢٠ر٠٠٠ رجل بقيادة « شيبى نويون » للالتفاف حول الجبال والاقتراب من مقاطعات الخوارزميين من إتجاه الجنوب الشرقى أى من « كاشجار » حتى « خوجنت » . وكان توقيت وتنسيق

---

(١) كان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت ٥٦ عاماً .

(٢) الممر المؤدى إلى داخل شمال التركستان .

(٣) لبن أنثى الخيل بعد تخميرة

عمليات المغول دقيقا لدرجة أن القوتين[1] وصلتا إلى نقطتهما المختلفة على الحدود الخوارزمية فى شهر يناير وفبراير عام ١٢٢٠ .

وقد شكلت مجموعة « شيبى نويون » تهديداً مباشراً لمدينتين خوارزمتين رئيسيتين وهما « طشقند » و« سمرقند » فى المنطقة الغربية من « توكستان » . ورد الشاة على ذلك بتحريك قوات إضافية إلى الجنوب ، وفى نفس اللحظة عبر جانكيزخان ومعه القوة الرئيسية الحدود الشمالية فى ثلاث أرتال .

وفى فبراير ظهر على الجانب الأيسر للشاة رتلان قوة كل منهما ٣٠٠٠٠ر مقاتل بقيادة « جوجى » و « جاجاتاى » وشرعا فى العمل أسفل نهر « سير داريا » مدمرين القوات المتفرقة للخوارزميين عن آخرها ، مواصلين زحفهم بعد ذلك للانضمام إلى قوة « شيبى نويون » . فى نفس الوقت تحرك الرتل المتبقى وقوته ٤٠٠٠٠ر بقيادة « جانكيزخان » جنوبا إلى بوخارا ، وكان من الصعب إكتشاف عبوره إلى صحراء « كيزلكوم » فكان رتلى « جوجى » « وجاجاتاى » يحجبانه . ولم يعلم الشاة عن ذلك إلا فى أوائل أبريل بعد أن خرج الخان وقواته من الصحراء فى الجنوب حيث أستولى على « نوروتا » ثم أقترب من « بوخارا » . وفى ١١ أبريل أستولى على « بوخارا » . وقد ذهل الشاة من هول المفاجأة ، فقد حوصرت قواته بواسطة ثلاثة أرتال تجمعت من ثلاث إتجاهات ، كما قطعت إتصالات الشاة مع مقاطعاته الغربية ، وفرهو شخصياً فى إتجاه الغرب ، بينما أعيد تجمع المغول عند « سمر قند » .

وحملة جانكيزخان قد توجها النجاح الكامل . وكان جوهر إستراتيجية هذه الحملة يكمن فى خفة الحركة الغير عادية ، والتنسيق البارع لتحركات أربعة أرتال كل منها يستر ويكمل الآخرين ، وقد فوجىء العدو فى كل قتال بقوات متفوقة . وإستغرق الأمر وقتاً طويلا لقهر أمبراطورية الشاة ، فقد قام « سابوتاى » « وشيبى نويون » بمطاردة الشاة نفسه ليل نهار حتى إنتهى به المطاف على إحدى جزر بحر قزوين ، حيث توفى . أما بقية حملة المغول فقد سارت ببطء غرباً ، يستولون على المدن الواحدة تلو الأخرى . وكانت السياسة

---

(١) بقيادة كل من « شيبى نويون » الخان

« المعرب »

المتبعة هى سياسة الإرهاب والرعب . وأعلن جانكيزخان نفسه فى جميع المساجد بأنه « سيف الله » .

وفى الإمبراطورية الخوارزمية لم يبق المغول إلا على الأفراد الفنيين والخبراء أو ماشابه ذلك ، وما عدا ذلك من السكن والحضارة فكان نصيبها الإبادة ، وعندما لم يتبق بشر ذبح المغول الحيوانات . ولكن بالرغم من ذلك كانت المقاومة شديدة والتى إستمرت حتى ديسمبر ١٢٢١ عندما فقد « جلال الدين » الإبن الشجاع للشاه آخر قواته فى معركة عند نهر السند . فى نفس الوقت إلتف كل من « سابوتاى » و « شيبى نويون » حول بحرقزوين عبر القوقاز فى إتجاه نهر الدنيبر وأوروبا قبل أن يستدعيهما جانكيزخان . وأثناء عودتهم للوطن أتموا أكبر حملة فرسان فى التاريخ بشق طريقهم بصعوبة ، عابرين شرقاً وجنوباً خلال أراضى القبائل الروسية الرحل .

القائد تيموور المغولى

وبعد أن فتح جانكيزخان المنطقة الواقعة بين التبت وبحر قزوين والخليج الفارسى قرر العودة إلى أرض الوطن ، لأنه إعتقد أنه لم يعد هناك مناطق أخرى ليفتحها ، ولكنه فى الحقيقة خاض حرباً واحدة أخرى عندما تحرك ليخمد ثورة « هيسا » ومنها إلى جنوب الصين . وقد توفى جانكيزخان عام ١٢٢٧ ، وقد جعل من نفسه وبقوته الشخصية حاكما مطلقاً للسلالة العسكرية ، فقد أستطاع قهر أعظم إمبراطورية فى العالم التى إمتدت من الخليج الفارسى إلى المحيط الهادى ، ومن غابات سيبريا إلى جبال هيمالايا . ولا يوجد أى خطأ فى سجله العسكرى ، وبالتأكيد كان قائداً عظيما شأنه فى ذلك شأن أى قائد أو زعيم عظيم آخر سجله التاريخ ، إلا أنه وحشياً وبربريا ، ومن أشرس الشخصيات فى تاريخ عصره ، وليس هناك فائدة من محاولة إخفاء الحقيقة . وقد كان مغرما بالسيطرة وليس بالحضارة ، وعندما لا يروق له شىء يدمره على الفور . ومن ناحية أخرى ، فإنه كان من المستحب أن يكون المرء مغولياً فى عصر جانكيزخان . وقد قال جانكيزخان : — « إن قمة السعادة للانسان عندما يهزم أعداءه ويدفعهم أمامه » .

وكان له صفات سياسية خلاقة ، فقد قام بتوحيد القبائل المتوحشة ، ووضع لها قوانين

عادلة ، وعلى أى حال فقد تلت موجة غزوات المغول المرعبة موجة من السلام فى آسيا ، وتميزت بالتسامح الدينى والعنصرى ، ومواصلات سهلة وطمأنينة إقتصادية . وفى عهد « أجوتاى »[1] ، عاد «سابوتاى» إلى أوروبا ، وإ كتسح فى حملات بارعة[2] أوروبا حتى الأدرياتيك وبولندا . وبعد عام ١٢٤١ إنسحب المغول من أوروبا فيما عدا روسيا . وتميز عهد « كوبلاى خان »[3] بأ كبر توسع للسيطرة المغولية . ولـكن بعـــده بدأت الامبراطورية المغولية فى الانحلال . ومع حلول النصف الثانى من القرن ١٤ ، ظهر فاتح مغولى كبير آخر وهو « تيمور » والذى إستعاد السيطرة على جنوب آسيا غرب جبال الهيمالايا . ولـكن بعد ذلك لم يظهر من بين فرسان المغول قائداً آخر مطلقاً ، وعادوا بسرعة أقل قليلا عما ظهروا بها ، إلى خمولهم وضآلة شأنهم الأصلية .

الأمة المحبة للسلام

نأتى الآن إلى الصينيين ، وقبل دراسة أسلوبهم فى الحرب يجب علينا أن نعرف بعض الشىء عن الملايين المحتشدة التى تعيش فى هذه الدولة الشاسعة ، أنه جنس يبلغ تعداده اليوم حوالى ربع سكان كوكبنا والذى يحتل رقعة من الأرض أ كبر من أوروبا ، ويتـكون من شعوب مختلفة كثيرة وتتحدث لهجات محلية مختلفة مع كل مدينة وكل مقاطعة على أرض هذا البلد ، وللصين حضارة عمرها آلاف السنين قبل مولد المسيح . وليست الصين الحقيقية هى الصين ذات الموانى والمعاهدات السابقة ، والتى جعلها الأجانب عملياً ملـكهم ، ولا هى المدن الـكبرى ، ولـكن فى الحقيقة هى الأرض التى تضم آلاف القرى المتناثرة فى جميع أنحاء الدولة ، والأسرة هى الوحدة الأصلية ويأتى بعدها القرية .

والتاريخ السياسى للصين فى الأيام الغابرة إنما هى قصة طويلة من أعمال النزاع الداخلى والعصيان ، مما أدى إلى ضعف الدولة فى صراعها المتصل لحماية حدودها ضد القبائل الرحل القادمة من الشمال والغرب . ولـكن القرون المتعاقبة من القتال على الحدود أحدثت تغييرات

---

(١) أبن جانـكيزخان
(٢) تشابه تقريبا حملات جانـكيزخان
(٣) حفيد جانـكيزخان

هامة فى التنظيم العسكرى ومهارة عسكرية معينة لهذا الشعب . وهذا ما سنراه عندما نبسط قصة هذا الشعب .

نستطيع أن نلخص صفات هذا الشعب الضخم المتنوع بناء عما جاء فى تاريخهم القديم بأنه شعب فى جوهره « محباً للسلام » ، وكان هناك مبرر قوى لتفضيل الصينيين للسلام ، فكانوا فى قارة آسيا يحتلون منطقة غنية وصالحة للمعيشة . وفى تاريخهم المسجل الذى يصل إلى ثلاثة آلاف سنة ، إندلع الكثير من الحروب ، ولكنها كانت حروب ترجع إلى وجود أعداء طامعين على حدودهم مثل المغول أو الثورات بسبب عدم الاستقرار السياسى . وقد كان الشعب الصينى شعباً خلاقاً فى فنون السلم وليس فى فنون الحرب ، فكانت دياناتهم الكبرى « الكونفوشيوسية » و « البوذية » و « الطاوية » ، كلها أساسها المحبة والسلام . وفى الواقع فإن حبهم التقليدى للسلم إزداد بالتدريج رسوخاً ، مما أدى أنهم لم يذكروا إلا القليل فقط من الجانب الحربى فى تاريخهم . وإن أقدم الحقب التى يمكن الاعتماد عليها فى دراسة تاريخ الصين هى تلك الحقبة الخاصة بحكم سلالة « شو » (من عام ١١٢٢ إلى ٢٥٦ ق . م) . وقد كان المجتمع الصينى القديم مجتمعاً إقطاعياً . وكان طبقة النبلاء والكبار يستحوذون على ولاء وخدمات جميع الفلاحين الذين على أرضهم فى السلم والحرب .

وكانت الحروب التى سمع عنها قبل عام ٥٠٠ ق . م . ذات صفة « بطولية » تذكرنا بحروب الإغريق القدماء التى صورها « هوميروس » . وتوفر للأرستقراطيين وقت فراغ ليقيموا فيه المباريات الحربية ، وخاصة الطبقات الأدنى من هذه الطبقة التى يطلق عليهم « شيه » وكانوا شبيهين بأبطال « هوميروس » ، وفرسان القرون الوسطى ومغامروا الهنود الحمر .

وإن مجردوجود عرف بآداب وقواعد الحرب لدى الصينيين والذى يطلق عليه « لى » ليشير إلى أن الحرب لم تكن أمراً خطيراً ، بل كان قتالهم لمجرد التسلية أو الشرف أو التفاخر . وقد أستهجنوا التكتيكات الدنيئة مثل مهاجمة العدو أثناء عبور النهر أو إقتناص

خصم أكبر سناً . وفى عام ٦٣٢ ق . م تحدى أحد جنرالات « شو » ، حاكم مقاطعة « تش » فقال : —

«هل تسمحوا سعادتكم بمباراة بين فرساننا وفرسانكم ؟» . وتذكرنا هذه الطريقة بصور القتال الذى ذكره « هو ميروس » عن الأغريق . وكان البطل الإرستقراطى يتجه للمعركة مكسوا بدرع من الجلد راكبا عربة قتال ذات أربعة خيول ، وكان سلاحه قوس قوى ، ويرافقه سائق للعربة ، وأحياناً يصحبه حامل رمح أيضاً ، ويتبع كل عربة سرية من الجنود المترجلين والمسلحين بأسلحة خفيفة .

ومن المرجح أن هناك تغييرات هامة حدثت فى أوائل القرن السادس ق . م ، وأدى تهاوى أسرة « شو » إلى نزاع على السلطة بين النبلاء الكبار ، فى نفس الوقت كان يتطلب منهم صد غارات القبائل المعادية على الحدود ، وسوف يتكرر مثل هذا الموقف فى تاريخ الصين . وعرفت الفترة من ٤٠٣ إلى ٢٢١ ق ، م بفترة « الحرب بين المقاطعات » . وكانت الحرب فى ذلك الوقت آبتعدت عن طابع التسلية وأخذت طابع الجد الرهيب . وبقيت العربات الحربية لبعض الوقت كأقوى قوة ضاربة ، إلا أن المشاة التى كان أغلبها من الفلاحين الصلبى العود أخذت تزداد أعدادها بشكل كبير حتى أصبحت لها أهمية تكتيكية كبيرة .

وقد قاتل الجنود المترجلين بالرماح والسيوف القصيرة والأقواس والسهام . وأدى ظهور الحديد فى حوالى هذا الوقت إلى إدخال التحسينات على الأسلحة والدروع . وفى عام ٢٤٩ ق . م سقط حكم أسرة « شو » ، وتولت أسرة « تشن » السلطة . وتحتم على الصين توحيد جبهتها لمواجهة الأعداء الخارجيين ، ولهذا كان يجب عليهم القضاء على النظام الإقطاعى . وأصبحت الصين آنذاك أمة تحت السلاح ، ووحد الإمبراطور « شي — هونج — تى » جميع أجزاء الدولة المختلفة فى إمبراطورية فى عام ٢٢٨ ق . م . أما شعب مقاطعة « تشن » على الحدود الشمالية الغربية ، فقد تعلموا دروسا كثيرة من القبائل المجاورة حتى تشربت دماءهم بالطابع القبلى لدرجة أن الشكل القبلى للفروسية تجلى واضحاً فى الحرب الصينية بشكل بدأت معه العربات الحربية فى الإختفاء تدريجيا .

رسالة صن — تزو

وشهدت نفس الفترة تطوراً فى التحصينات وأعمال الحصار . وكانت أجهزة الحصار هى المنجانيق وسلالم التسلق وغيرها . وظهرت فى هذه الفترة التحصينات ذات القوة الرائعة ، ومن أشهرها سور الصين العظيم والذى أمتد فى أجزاء منه فوق الجبال وعبر الممرات الضيقة، ولمسافة ١٫٦٠٠ ميل على طول الحدود الصينية المتاخمة للقبائل الرحل جنوب صحراء جوبى . وبشكل عام فكان عرضه عند القاعدة حوالى ٢٥ قدما و١٧ قدما عند القمة ويصل إرتفاعه مابين ٢٥ إلى ٣٠ قدما ، وترتفع شرفات إطلاق القذائف خمسة أقدام فوق السور ، كما توجد على إمتداده أبراج على مسافات منتظمة . وتقول الأساطير أن الإمبراطور « شى ـ هوبخ ـ تى » من أسرة « تشن » (٢٤٦ — ١٠ ق . م) هو الذى بنى هذا السور . ونظراً لأن الصينيين كانوا بناة عظاما المدن ونظراً لاتخاذهم باستمرار موقف الدفاع فى حروبهم ، فقد بنوا كثيراً من التحصينات الكبيرة .

وهذه الحصون ، كما ذكرنا آنفا هى التى صدت المغول بعد ذلك بألف عام . أما حصون المدن التى تشيدت فى عهد أسرة « منج » (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤ ميلادية) فكانت أكبر حجما وفيها الكثير من مثيلتها الأوروبية فى ذلك الوقت . وعلى سبيل المثال فكانت أسوار مدن « نانكنج » و « سيان » و « تسينان » يصل عرضها من ٥٠ إلى ٧٠ قدما ، وإرتفاعها ٧٠ قدما فى بعض الأماكن، ولم تكن البوابات قوية بدرجة كبيرة ولكن كان يحميها عدد كبير من الجنود . وقد فحصت بنفسى أجزاء من سور الصين العظيم سيراً على الأقدام وقمت بدراسة تحصينات كل من « تانكنج » و « سيان » .

ومنذ حوالى عام ٥٠٠ ق . م ، عبر « صن — تزو » عن الخبرة الصينية العسكرية فى رسالته العسكرية الشهيرة والتى كان اسمها « فن الحرب » . وكان « صن — تزو » ضابطا ناجحا ويرجح أنه وصل إلى رتبة عالية ، ولكنه لم يكن قائداً بارعا . ويتألف كتابه من ١٣ فصلا ، كل منها يحتوى على عدد من الحكم والمبادىء . ومن الجدير بالملاحظة وبصرف النظر عن أهمية الكتاب العسكرية ، فإنه يعتبر من أعظم الأعمال الأدبية الصينية الكبيرة . وظل هذا الكتاب لمدة ٢٥٠٠ عاما يفتن أعظم العقليات الصينية . ومن بين الكثيرين (١) الذين

(١) لقد علق عليه الكثير ومن القادة العسكريين الصينيين

كتبوا تعليقات عليه « توفو » أحد كبار شعراء عهد « تانج » . ونجد أن الجمل فى هــــذا الـكتاب محـكمة ، وفى بعض الأحيان مبهمة ، وفى أحيان أخرى بسيطة بدرجة مخادعة ، ولـكنها دائما حافلة بالحـكم العسكرية المدروسة والتى لم يحاول الأوروبيون تعلمها حتى عصر نابليون . وتبحث رسالة صن — تزو فى أسس الإستراتيجية والقيادة، وتناقش الاعتبارات التى يجب أن يضعها القائد فى ذهنه عند بدأ أى حملة سواء أكانت عوامل سياسية عريضة أو خاصة بالأمداد ، وأيضاً التحركات الإبتدائية . ويوضح هذا البحث أن الهدف الاستراتيجى الصحيح هو الاسراع بتحقيق الهدف السياسى من الحرب ، وتحقيق السلام المضمون ، وليس الهدف هو الحرب الطويلة المدمرة . ويجب الحصول على النصر بأقل التـكاليف فى الأرواح وبأقل تدمير ممـكن ، ولذلك يبرز أهمية المخابرات أو « المعرفة المسبقة » .

وإذا كانت الخدع الحربية ستساعد فى تحقيق الهدف ، فيجب عدم أغفالها . ويبدو أن الصينيين مثل المغول كانوا مغرمين على وجه الخصوص بالحيل ، والتى تضمنت إستخدام النار ، مثل إشعال النار فى الحيوانات وإرسالها نحو العدو . وأعطى « صن — تزو » قيمة كبيرة للقائد المستقيم المتـكامل ، إلا أنه كان يسلم فى النهاية بأن « كل الحروب مبنية على أساس الخداع » وتذكرنا هذه الفقرة بسياسة نابليون فى خداع وتضليل العدو ، الأمر الذى ظهر بوضوح فى تـكتيـكاته عند «أوستر ليتز» فى ديسمبر ١٨٠٥ . ومهما كان الأمر ، فلا يوجد أمامى دليل على أن نابليون درس كتابات « صن — تزو » . وقد خصص « صن — تزو » فقرات كثيرة من كتابه للتحركات فوق الأنواع المختلفة من الأراضى ، وكيفية إستخدام الأرض ومعرفة المواقع الضعيفة والقوية لدى العدو . وكان يرى الحرب على أنها صراع بين القيادة : —

«القائد البارع هو الذى يفرض إرادته على العدو ولا يسمح للعدو بفرض إرادته عليه . »

وقد أورد « صن — تزو » فى كتابه بعد الملاحظات السيكولوجية التى تتسم بالتبصر عن العلاقة بين الضباط والجنود، مثل كيف يعرف القائد العلامات التى توضح حالة الروح المعنوية بين قواته وظروفهم . والجملة الآتية تبين السمة المميزة لحـكمة « صن — تزو » وهى جزء من نصيحة يوصى بها القائد : —

« إن قرار القائد يشبه بالضبط التوقيت الجيد والصحيح لإنقضاض الصقر على ضحيته

ليضربها ويقضى عليها ». وكنت أعنى التحدث مع « صن- تزو » ، ومن المؤكد أننا كنا سنتلاقى فى الكثير من وجهات النظر فى موضوع إدارة الحرب كما أنه كان متفهماً للعامل الإنسانى . وقد درس ويفل آراء سقراط (٤٧٠ — ٣٩٩ ق . م) وكان يناقش دائمـا ويؤكد ما وضعه هذا الرجل الحكيم بالنسبة للشئون الإدارية ، وكان ويفل يعتقد إعتقاداً راسخاً بأن الشئون الإدارية من النقط الرئيسية والحقيقية فى فن القيادة وإنها تأتى قبل التكتيك . وإننى لا أعتقد أنه قد درس « صن- تزو » . وعلى كل فوجهات نظر سقراط وويفل ذات أهمية كبيرة لى . وقد تعودت أن أفكر وأنا فى الصحراء عامى ١٩٤٢ — ١٩٤٣ أن روميل كان سيء الحظ فى أنه كان مجبراً فى أغلب الأحيان على القتال فى الوقت الذى لا يتناسب مع شئونه الإدارية فى الخلف ومع مارغب فى إنجازه فى المعركة فى المنطقة الأمامية ، ذلك بسبب القصف الجوى للحلفاء الذى أغرق السفن التى حملت له المؤن والوقود عبر البحر المتوسط .

حرب الافيون

وتشتهر فترة ١٤٠٠ سنة التالية لسقوط أسرة « شو » بأنهـا أنجبت بعض الجنود الممتازين فى الصين ، وعلى وجه الخصوص فى فترات الحروب الأهلية والتى حدثت أثناء سقوط وإرتقاء الأسرة الحاكمة . ولكن الصعوبات التى تكتنف البحث التاريخى لما يجرى فى تلك الأيام يجعل من الصعوبة الكتابة عنها بشكل مرضى وقد قيل أن « يوشى » قد خدم أسرة « تشن » كقائد عسكرى نظامى لمدة ٣٥ عاما أى فيما بين عام (٢٩٤ — ٢٦٠ ق . م) وكانت أهم أعماله هى إنتصاره على جيش « شو » المكون من ٤٥٠٫٠٠٠ مقاتل عند « شانج بنج » . وفيما بعد جرد من رتبته وأنزل إلى رتبة جندى وذلك لرفضه قيادة عملية غزو كان يعرف أنها سوف تفشل . ومن الشخصيات المشهورة الأخرى كان « شانج شين » و « هان هسين » و « تسو كونج » . وأصبحت الصين تحت حكم أسرة « هان » قوة ضخمة متحدة ، وخصوصا فى العهد الزاهر لـ « ووتى » (١٤٠ — ٨٦ ق ، م) ، ثم مرة أخرى بعد ذلك تحت حكم أسرة « تان » فى القرن السابع الميلادى .

ولكن لا يوجد دليل على أن فن الحرب الصينى ، قد تطور تطوراً هاما أبعد من المرحلة

التى وصل إليها تحت حكم أسرة « تشن » ، فقد كان الميل العام نحو السلام يزداد رسوخا ، كما أن التوسع كان يتم بالمحالفات والإلتقاء الحضارى أكثر من أن يتم بقوة السلاح . وقد غزا المغول الصين فى القرن ١٣ وواجهتهم مقاومة عسكرية ضعيفة فهزموا الصينيين بسهولة. وبمجرد إستقرار المغول فى الصين ، أخذت صفاتهم وشخصيتهم العسكرية تقل نتيجة للكره العميق والمتأصل فى الحضارة الصينية لكل شىء عسكرى . وبالرغم من أن الجيوش المشتركة من المغول والصينيين قد أعتدت على اليابان وبورماوجاوة فى عصر « كوبلاى خان » (١٢٥٩ — ١٢٩٤) إلا أنها لم تنجح فى النهاية . وفى عـــام ١٣٦٨ طردت أسرة « مينج » المغول .

وقد أدت فتوحات المغول إلى فتح أول طرق الإتصال بين أوروبا فى القرون الوسطى والصين ، إلا أنه من وجهة نظر التاريخ العسكرى فإن أول إتصال هام حدث عندما وصل البرتغاليون إلى بحار الصين فى نهاية القرن ١٥. وفى عام ١٥١٧ وصل أسطول برتغالى إلى ميناء « كانتون » حيث أطلقت مدافعه طلقات لتحية الميناء . وقد بدأ الصينيون إستخدام البارود منذ القرن العاشر ، ومن المعروف أنهم إستخدموا المدافع عام ١٣٥٦ . ولكن فى القرن ١٥ ، جاء التفوق الأوروبى التكنولوجى الكبير المفاجىء فى مجال المدافع والسفن ليضع الأوروبيين فى المقدمة بكثير على الأسيويين فى إدارة الحرب . وقد أستجاب الصينيون لهذا التقدم بتشكك بعض الشىء ، وبالرغم من علمهم بضعفهم الحربى فى مواجهة العالم الخارجى ، فقد أصروا على مبدأ السلام ، وتجاهلوا بقدر الإمكان الموقف الجديد فى أوروبا ، ومؤمنين أنفسهم خلف ستار من الخوف من الأجانب وكذلك خلف ستار من العجرفة الثقافية . ومن ناحية أخرى فقد حاولوا بجدية إكتشاف السر العسكرى لأوروبا لكى يصلوا إلى مستواهم . وكانوا دائما على إستعداد لدفع أى ثمن من أجل المدافع . ولفترة من الوقت كانت سياسة أوروبا هى عدم البوح بسر تفوقهم الفنى ، ولكن كان يمكن دائما العثور على رجال يبيعون الأسرار ، وفى الواقع قد علم « الجزويت » الصينيين صناعة وإستخدام الأسلحة النارية . كما قام الأب الإيطالى « الفونسو فاجنونى » (١٥٦٦ — ١٦٤٠) بتعليم « هان لين » ، والذى كتب بحثين عن إستخدام الأسلحة النارية . وفى أربعينات القرن ١٧ ،

أقام عضو الجزويت الألمانى « تشال » مسبك للمدافع بالقرب من القصر الإمبراطورى بشرط أن يسمح له بمتابعة عمله التبشيرى . ومع ذلك كان الصينيون بطاء فى فهم وإتخاذ الفنون الغربية للحرب . لم يرغب هذا المجتمع المحافظ المحب للسلام والذى يتكون من الحكماء والفلاحين فى التحول إلى الصناعة من أجل القوة العسكرية فحسب . وأخذ رد الفعل السلمى يزداد مع زيادة الإتصال بالأوروبيين .

وفى القرن ١٧ كتب الأب « ريكى » : — « كانت العسكرية أحد الأوضاع الاجتماعية التى تلقى كل إحتقار بينهم . » وكان ينطبق نفس الشىء على البحر والبر ، فكانت سفنهم الشراعية المعروفة باسم « الينك » صالحة للابحار والملاحة فى جميع الأجواء، ولكنها لم تكن سفينة صالحة للحرب ، ولم يقدر لها أن تستخدم لذلك . وفى نهاية القرن ١٦ أقتنع الصينيون بوضع مدافع على سفنهم ، ولكنهم لم يجروا التعديلات المنطقية الضرورية لذلك . وقد علق البرتغالى « جرونيمو رومان » على ذلك بقوله : — « كانت مدافعهم رديئة الصنع بدرجة أن الطلقة لم تستطع إختراق الدرع العادى ، وهذا بالإضافة إلى أنهم لايجيدون التصويب » . وأستمر هذا الوضع حتى منتصف القرن ١٩ ، والصينيون لم يكن لديهم الرغبة فقط بل كانوا غير قادرين على القيام بحرب حديثة . وفى النهاية وبتأثير العدوان الجشع للقوى الأوروبية وخاصة بريطانيا وجد الصينيون أنفسهم مجبرين على تحويل فن حربهم ليكون غربيا . وقد أدى الذل الذى عاناه الصينيون فى « حرب الأفيون » ضد بريطانيا، إلى إيقاظها ومعرفة الواقع مع دفعها إلى تقليد الغرب . وكلمة أخيرة عن الصين اليوم ، فكنت مشتاقا ومهتما بالقراءة عنهم لأعرف إلى أى مدى وضعت الحرب سماتها على تاريخهم ، وخاصة أنهم بطبيعتهم شعب غير محب للحرب . وكانت الصين أمة تقتضى تقاليدها القديمة إلى تقدير طبقة المحاربين تقديراً تافها إلا أنها اليوم تبدو وقد كرست موارد هائلة ووقت كبير وجهد ضخم للقتال . ومن ملاحظاتى الشخصية على الصينيين فيوجد فى تركيبهم إتحاد غريب ، فهم شعب صناعى يتسم بالصفاء الشديد فى مجموعه ، ولكن هناك البعض منهم يميل إلى المشاكسة وأشك فى أن أى مؤرخ لأى دولة قد سبق له ودون بأن سباحة زعيمهم فى نهر كبير ، هى عامل من عوامل الزعامة ! !

وقد فقد الملك جون أمتعته فى نهر « واش » ولكن هل سبح كروموبل فى نهر التايمز وبسرعة ٩ أميال فى الساعة ؟ وأنه لمن المثير أن نفكر لماذا تفرط الصحف الصينية فى الأطراء على سباحة الرئيس « ماو » ، وهى نوع من الرياضة البدنية والتى لم تكن شهيرة فى المعتقدات الصينية وكأحدى العلامات التى توضح البراعة والحيوية فى الزعيم .

وقد قمت بنفسى بالسباحة مع « ماوتسى تونج » فى نهر « يانجتسى » فى سبتمبر ١٩٦١، وبقدر ماأذكر فقد سبح للمتعة وكل مافعله تقريبا هو الطفو فحسب مع التيار وهذا أقصى مايمكن أن يفعله فى مثل سنه . ويوجد تضارب غريب فى مكان ما . . إلى أين تتجه الصين . . ؟ . . أنه حقا لغز . . لغز صينى . . .

اليابان وفن الحرب (أنظر اللوحة رقم ٣٨)

وأخيراً نأتى إلى اليابان . . . فبينما الحضارة الصينية قديمة قدم الزمن ، وليس معلوما بالتأكيد من أين أتت أصل هذه الأمة . . ؟ إلا أننا سوف نجد أنفسنا عند دراسة اليابان متأكدين من المعلومات الحقيقية . فقد جاء اليابانيون من الهضبة العليا للقارة الآسيوية حيث وجدوا هذه الجزر يحتلها « الأينو »(١) . ودار صراع فى الجنوب مع هذا الشعب إنتهى بإخضاعه وهروبه إلى موطنهم الحالى فى أقصى الشمال فى جزيرة « هوكايدو ». ولم يتم إخضاع هذا الشعب بشكل نهائى إلا فى حوالى عام ٨٠٠ ميلادى . وقد نتج من هذا القتال القاسى المستمر عبر السنين سلالة يابانية عسكرية تتصف بالنظام الصارم والضبط والربط، ومن المرجح أن ذلك كان نابعا من أصلهم وتعاليمهم المغولية .

وعبر التاريخ اليابانى كانت العلاقات مع كوريا وثيقة ، وقد جلبت سلسلة من الهجرات من هذه الدولة إلى غربى اليابان عائلات ومجموعات والتى كانت غير راضية عن الحياة فى موطنها الأصلى ، وقد وصلت الحضارة الصينية عن طريق كوريا ، والتى بدأت بالحضارة البرونزية ثم بعد ذلك الحديدية . وبالتالى فقد أكتسبت هذه الدولة الأسلحة والأدوات الحديدية ، مما زاد من قوتها العسكرية مع تحسن طرق الزراعة بها . ومع ظهور النظام الإقطاعى، إنتشرت دراسة علم الحرب بشكل سريع ، وإتجه الشعب اليابانى نحو الصين للاستفادة بكثير من

(١) جنس بدائى من صيادى الحيوانات والسمك

فنون الحرب ، وبالتدريج أخذوا يحسنوا ويطوروا هذه العلوم المستوردة. وبما أنهم من شعوب الجزر ، فقد قاموا بعملية تطوير لموهبتهم الطبيعية القوية فى الأعمال البحرية .

ويتناقض تاريخ اليابان مع تاريخ الصين فى أن الحرب كانت دائماً عنصراً بارزاً ، وكان ذلك إلى حد كبير نتيجة للبيئة . وتمتد مجموعة جزر الأرخبيل اليابانية لأكثر من ١٠٠٠ ميل ، ولكن الجزء الأكبر من الأرض كان جبليا ومجدبا . ويمكن أن يعزى إلى حد بعيد ، كثرة الحروب بين سكانها إلى التنافس من أجل المناطق القليلة من الأراضى الصالحة لزراعة الأرز . ولم يحد التأثير السلمى للبوذية فى اليابان من الشعور بالحاجة إلى القتال . وهناك عامل ثان رئيسى وهو أن الجزر تزخر بالموانى الطبيعية الجيدة . ولهذا أصبح الشعب اليابانى من البحارة وسكان الجبال الخشنين وعودهم صلب . وقد أدت الرياح والتيارات السائدة فى بحر الصين ، إلى صعوبة الإتصال مع الأراضى الأسيوية الرئيسية ، بالرغم من أن اليابانيين كانوا دائماً يهتمون بشبه الجزيرة الكورية ، للمحافظة على نفوذهم هناك ، ولمنع إحتلالها بواسطة القوى المعادية الكبرى وخاصة الصين . وعلى العموم فقد طور المجتمع اليابانى نفسه فى عزلة عن العالم وبشكل مميز فى إتجاه عسكرى قوى . وفى القرن الأول ق.م كان يوجد فى اليابان حوالى مائة قبيلة . وفى هذا الوقت بدأ رؤساء القبائل الطامعين فى إستيراد السيوف الحديدية والدروع من الصين . وأستمر التنافس بين القبائل ، ولكن فى القرن الرابع الميلادى نجح شعب « كيوشو » فى إخضاع باقى العشائر ، وأنشئت حكومة مركزية فى « ياماتو » والتى تقع فى الجزيرة الرئيسية . وفى عام ٣٦٩ تم غزو كوريا الجنوبية بنجاح ، وفى عام ٣٩١ تقدمت القوات اليابانية شمالا حتى « بيونج يانج » . وعلى أى حال فكانت هذه الفترة هى الذروة بالنسبة لليابانيين ، لأنه بعد ذلك بوقت قصير أنسحب اليابانيون من كوريا ، ولم تظهر قوتهم العسكرية لمدة ١٢٠٠ سنة . وخلال القرون القليلة التالية فكر حكام « ياماتو » فى مد حكمهم على كل شعوب مجموعة جزر الأرخبيل ، وتذكر الأساطير أن هذا الوقت كان عصر طويل من الفوضى والإضطراب . وبإنتهاء هذه الفترة ، ظهر أسلوب عسكرى يابانى مميز ، وفى عام ٧٠٢ أعلنت قوانين محددة لإنشاء جيش دائم كفء . وكان المقاتل اليابانى القديم فارساً أرستقراطيا ، مدرع تدريعاً قوياً ويمتطى ظهر جواده ، وبالرغم من مرافقة الأتباع

للفارس إلا أنه كان يقاتل بمفرده . وكان سلاحه الرئيسى هو القوس .

أما فى القتال المتلاحم فكان يستخدم السيف . وفيما بعد فى القرن الثامن ، وتحت تأثير البوذية تواجدت إتجاهات لرفض إستخدام السلاح بين الطبقات العليا ، وبذلت محاولة لتنظيم الفلاحين كاحتياطى ضخم للدفاع القومى ، على النمط الصينى . إلا أن هذه المحاولة فشلت لأستياء المجندين الفلاحين من هذا الأمر بالإضافة إلى إفتقارهم إلى المعدات ، وبالتالى فقد ألغيت هذه الفكرة وبدلا من ذلك ، طلب من كل مقاطعة الإبقاء على قوة من الجنود النظاميين المدربين .

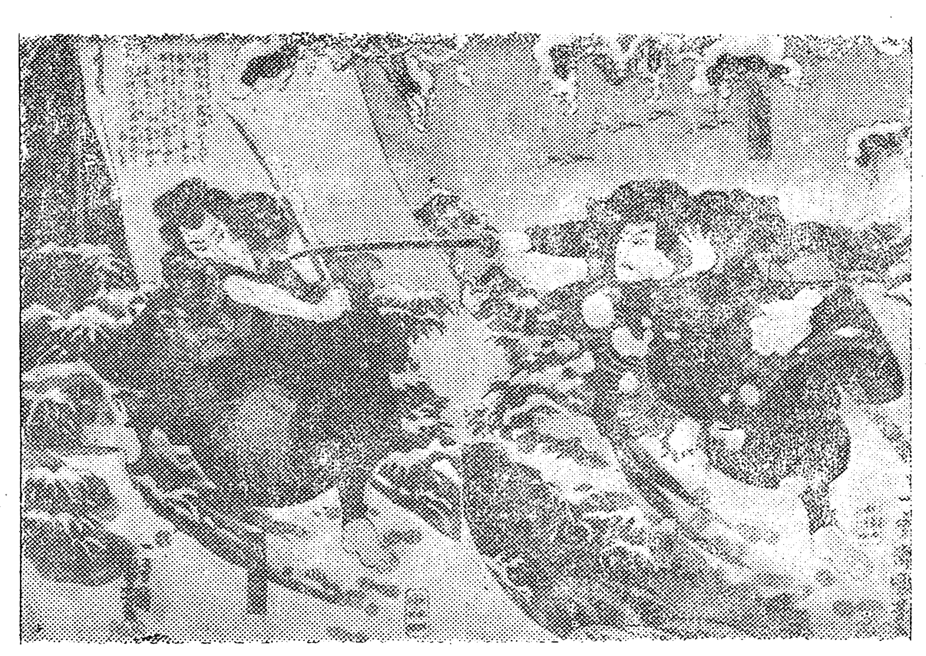
وعندئذ ، كان المقاتلون الحقيقيون يجلبون من الطبقات العليا. وبدأت عملية عزل الفلاحين وظهور الطبقات المحاربة فى اليابان تظهر بشكل متزايد وواضح . وفى القرن التاسع الميلادى دخل المجتمع اليابانى فى مرحلة طويلة من تطوير النظام الإقطاعى . فالحكومة المركزية الضعيفة كانت تعنى إستقلال الطبقة الأرستقراطية ، ويعنى أيضاً عدم الإستقرار لطبقة الفلاحين . فى نفس الوقت كان يجرى إعادة الإستيلاء على الأرض ، وأقوى الرجال هم الذين أستطاعوا إقتطاع أرض خاصة لهم فى شكل مقاطعات ، وتركزت مظاهر التبعية والولاء حول الإقطاعيات الكبيرة بما فى ذلك الأديرة والعشائر ، وشكلت الجيوش الخاصة ، وإنطلقت المنافسات والإنتقام بدون قيد. وفى هذا المجال برزت عشيرتين على وجه الخصوص وفى مقدمة المتنافسين ، وهما عشيرة « التايرا » وعشيرة « الميناموتو » ، واستمر الصراع بينهما فى شكل حروب خاصة ومتتالية وثورات لمدة ٢٥٠ عاماً .

إلى أن أصبحت لـ « الميناموتو » السيادة على البر ، بينما تسيدت « التايرا » فى البحر. وأخيراً فى عام ١١٨٥ نجحت « الميناموتو » فى هزيمة « التايرا » فى البحر فى معركة « دان نويورا » فى مضايق « شيمونوسكى » ، وقد حشدت « الميناموتو » عدداً كبيراً من السفن واستغل قائدهم « يوشيتسن » عودة المد إستغلالا بارعاً . وفقدت « التايرا » منذ ذلك الوقت القيادة واكتسحت « الميناموتو » كل مايعترضها . وبعد عام ١١٩٢ أقام زعيمهم

« يوريتومو » نظام« البا كوفو »[١] فى« كاما كورا» . وإتخذ لنفسه اسماً «شوجن»[٢] . وظل الأمبراطور فى مقره بمدينة « كيوتو » لايزيد عن ألعوبة فقط .

ضحية بشرية لألهة الحرب

وعلى مدى قرنين ونصف من القتال المستميت فوق بلاد وعرة ، تعلم اليابانيون الكثير عن الحرب .وأصبح المحاربون يكونون طبقة لها إمتياز خاص ،وقدعرفوا بإسم «ساموراى»، وكان سلاحهم الرئيسي هو القوس والذى أختلف حجمه تبعاً لطول الفرد ، ولكن كان أقصى طول حوالى ٧½ قدم ، ويصنع من خشب البقش أو الخيزران مع لف حبل حوله . ويلى القوس فى الأهمية فى القتال السيف ذو الحد الواحد والمحدب قليلا . ومع حلول القرن العاشر كان فن صناعة السيوف قد وصل إلى مستوى عال ، وفى القرن ١٣ وصل إلى حد الكمال على يد أثنين من مشاهير صناع السيوف وهما : — « مسامون » و «هو شيمتسو » اللذان قدماسيوفا متقنة التوازن مصنوعة من صلب ممتاز ومقوى . وكان « السامور » يكرس وقتاً طويلا ليكتسب مهارة كبيرة فى إستخدام السيف .



اكتسب الساموراى مهارة فائقة فى القتال بسيوفهم المقوسة الحادة

(١) وهو شكل من أشكال الحكومات العسكرية

(٢) وهو القائد العام الذى يخضع البرابرة

وكان لديهم نوعان من السيوف ، سيف طويل ، طوله ٣ أقدام أو أكثر ومخصص للقتال ، وآخر أقصر لإستخدامه فى قطع رأس الضحية أو للانتحار به ، وكان السيف يعتبر مساوياً لروح المقاتل . وقد درب السامور على المصارعة اليابانية أيضاً ، وهى فن تعجيز أو صرع العدو ، بإستخدام كف اليد بأقل جهد عضلى لتحويل العدو إلى مجرد كتلة وقوة عاجزة عن الحركة .

أما الدرع الواقى للسامور فكان عبارة عن ثوب من الحديد والجلد متصلة ببعضها بأربطة من الحرير أو الجلد ، وخوذة معدنية ذات قرون ، وزينت بعض الدروع وطعمت بمعادن نفيسة . ولم يكن لدى اليابانيون أبداً خيول حرب أصيلة ، وأمتطوا فى المعركة خيولا صغيرة وقوية ، والتى كانت فى بعض الأحيان مدرعة . وعادة ماتضمنت الخطط التكتيكية على المفاجأة والكمائن ، وفى أغلب الأوقات كان الجيشان يسعيان إلى معركة مفتوحة . وكانت كل حملة لابد أن تبدأ بقربان بشرى لآلهة الحرب . كما كانت هناك مراسيم ذات طابع خاص وقوى تميز معارك الساموراى ، وعلى سبيل المثال فإن علامة الإنتباه للانقضاض على العدو كانت إطلاق سهم واحد متبوعاً بأنشودة تصدر بنبرة حادة .

وكانت الإشارات تتم بواسطة أعلام مزينة بصور مثل « التنين » ، وكذلك بقرع الطبول والأجراس . وقبل القرن ١٥ كانت المعركة تشابه مباراة ضخمة لمبارزات متعددة بالسيف . وكان كل سامور يختار خصما واحداً ، وعليه أن يعلن اسمه وألقابه ومآثره وربما يندد بعدوه . ثم يدخل الأثنان فى مبارزة حتى الموت دون تدخل أحد . وكان يعتبر شرفاً خاصاً للمقاتل الذى يكون أول سامور فى المعركة . وفى النهاية يقدم كل سامور رؤوس ضحاياه إلى قائده . ويتضح لنا من هذا أن فى هذه المرحلة من تطورهم لم يكن لديهم أى تنظيم للفرق أو أى مناورات تكتيكية تقوم بها الوحدات ، فكان المقاتل الفردى هو كل شىء . ولهذا فإنه ليس بمستغرب أن هذا العصر لم يظهر فيه أى قادة يستحقون الذكر .

وظهرت مجموعة من مبادىء السلوك الفردى فى طبقة الساموراى وذلك للآداب الشخصية وللارتباط والإلتزام مع بعضهم ومع رئيسهم الإقطاعى ، والتى عرفت باسم

« ببوشيدو »[١] ، وكانت تختلف عن تقاليد الفروسية ، والتى لم يكن بها تركيز قوى على الإحترام المطلق ، بعكس الساموراى فكان يصل الإحترام إلى درجة أن الساموراى يموت فى سبيل سيده ، وكان عليه أيضاً أن يقاتل حتى الموت بدلا من التسليم . وإذا حدث واستسلم فيصبح هدفاً لأقصى أنواع الإزدراء ، حتى يصبح غير جدير بأن يعامل معاملة آدمية ، ولهذا السبب كانت معاملة اليابانيين لأسراهم فى حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ سيئة للغاية . وإذا لحق هذا العار بالساموراى فيجب عليه الإنتحار على طريقة « هارا كيرى »[٢] .

وأعتباراً من القرن ١٢ أصبحت الهارا كيرى ظاهرة متزايدة وسائدة ، وأصبح ينتحر مئات من الساموراى معاً بدلا من الإستسلام .

اليابان تصنع المدافع

وقد أثبت « يوريموتو » القائد المنتصر للميناموتو عام ١١٨٥ ، أنه رجل دولة عسكرى جدير بالاعتبار ، فقد نجح فى إقامة حكومة مركزية قوية فى نفس الوقت احتفظ بالإقطاع اليابانى فى الصورة العسكرية .

ولذا كانت اليابان فى القرن التالى قوية بالقدر الكافى لمواجهة المغول ، وكانت الأمة على أهبة الاستعداد عندما قام « كوبلاى خان » بأول غزو مغولى عام ١٢٧٤ . وقد قاوم اليابانيون لمدة يوم واحد طويل وبعزم الإنزال المغولى على جزيرة « كيوشو » وهبت عاصفة فى اليوم التالى فانسحب المغول إلى كوريا . ولم تكن التجربة على أى حال مشجعة ، لأن القوات المغولية كانت متفوقة عدديا ، وأثبتوا أنهم أفضل فى التقال من اليابانيين . وأصبح من المحتم قيام المغول بغزو آخر ، واستعد اليابانيون لمجابهته لمدة سبع سنوات ، فقاموا ببناء سور حجرى على امتداد شاطىء خليج « هاكوزاكى » ، وعندما عاد المغول مرة أخرى عام ١٢٨١ كانت القوات اليابانية بكل احتياجاتها قد حشدت فى هذه المنطقة . وعلى مدى سبع أسابيع ظل المانع صامداً ، بينما ألحقت السفن اليابانية الدمار بالعدو بعيداً عن الشاطىء ، وأخيراً وكما حدث من قبل أجبر المغول على الإنسحاب وتحطمت سفن أسطولهم بفعل العواصف .

---

(١) تعنى طريق المحاربين .

(٢) أن يطعن نفسه بسيفه الخاص بذلك .

ومنذ أن أنقذت هذه الريح المواتية اليابان مرتين ، سميت « كاميكازا[1] » . وقد سمى الطيارون الانتحاريون اليابانيون والذين هاجموا السفن الأمريكية فى المحيط الباسيفيكى فى حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ « كاميكازا » أيضاً . ولم يحاول المغول بعد ذلك التحرش باليابان ، ولكن بدأت فترة أخرى من الفوضى الوطنية عندما جاءت إلى السلطة صف جديد من «الشوجنز[2]» عام ١٣٣٨ ولم يكن لهم حق المطالبة بولاء الأمراء الإقطاعيين والعسكريين ، وتجددت الحرب الداخلية . وكما يحدث فى العصور الأخرى من عدم الاستقرار العام ، فقد أخضع الرجال الأقوياء من هم أضعف منهم .

وأنشئت جيوش خاصة وكبيرة من الساموراى . ويعد تاريخ اليابان فى القرن ١٤ ، ١٥ ، ١٦ قصة متكررة مملة من أعمال النزاع والشقاق دون أى أحداث أو أشخاص غير عاديين ، إلا أنه هناك شيئاً يمكن أن يثير الانتباه فى هذه الحقبة هو إعادة ظهور طبقة من الجنود الفلاحين وتدعى « أشيجارو » ، وقد قاتل الكثير منهم فى مجموعات وذلك ببساطة من أجل أنفسهم فقط ، ولأنهم فقراء كان تدريبهم ضعيف ودروعهم قليلة ولم يستخدموا سوى سلاح واحد فقط أما السيف أو الحربة أو المطرد . وكانوا فى أغلب الأحيان يميلون إلى أعمال الحريق والنهب . إذن فقد كان هذا هو الحال فى اليابان شقاق وإضطراب وغليان عظيم فى أول إتصال لها بالعالم الغربى .

ففى عام ١٥٤٣ دفعت الرياح بثلاثة من البرتغاليين كانوا فى سفينة شراعية صينية بعيداً عن طريقهم حيث نزلوا فى اليابان . وكانوا يحملون البنادق من نوع المسكيت ، وبالرغم من أن اليابانيين بدون شك كانت لديهم من قبل بعض المعلومات عن المدافع والبارود الصينى إلا أنهم دهشوا لرؤيتهم هذه البنادق .

وبما أن الشعب اليابانى لم يكن يؤمن بحب السلام والحضارة المحافظة المزدهرة كما كان الشعب الصينى ، لذلك كان متشوقاً لتعلم أى وسيلة فعالة للقتال . وقد علق «مندس بينو» :ـ « شعب أدمن الحرب بطبيعته ، وفى الحرب تنتابهم نشوة لا تنتاب أى دولة نعرفها » .

---

(١) تعنى الريح الألهية
(٢) القادة العسكريون

وسرعان ما أدرك اليابانيون والكوريون مدى تفوق الأسلحة النارية الأوروبية على أقواسهم وأسهمهم . وكتب أحد قادتهم ويدعى « إيياسو » إلى ملك سيام يقول : «إننى فى إحتياج إلى المدافع والبارود أكثر من إحتياجى إلى القماش المطرز بالذهب » . ولم يمض وقتا طويلا حتى كان البرتغاليون وغيرهم من التجار يبيعون الأسلحة لليابان . وقبل نهاية القرن كانت اليابان تصنع الأسلحة بنفسها .

التنين الاصفر

وقد أتاحت الفترة الطويلة من الفوضى والصراع الداخلى ، الفرصة للرجال ذوى المقدرة من ارتقاء مراكز السلطة بالرغم من إنحدارهم من أسر مغمورة غير أرستقراطية . ومرة أخرى ، بحلول النصف الثانى من القرن ١٦ أخذ الشكل السياسى فى اليابان يبدد المجموعات الرئيسية الإقطاعية ، وأخيراً أصبحت الدولة تحت سيطرة سلطة سياسية واحدة قوية . وكان السبب فى تحول اليابان من الصراع والفوضى إلى الوحـــدة يرجع إلى ثلاثة رجال هم : ــ

« نوبوناجا » و « هيديوشى » و « إيياسو » . وولد « نوبوناجا » عام ١٥٣٤ ، وبدأ أعماله بالدفاع عن مقاطعته الصغيرة ، ثم نقل الحرب بعد ذلك إلى أراضى أعدائه ، وبحلول عام ١٥٥٩ كان قد حقق السيطرة على مقاطعة « أرووارى » .

وقد أثرت شجاعة وقدرة « نوبوناجا » فى رجلين هما «هيديوشى[1]» و« إيياسو[2]» مما أدى إلى دخولهما فى خدمته . واستطاعوا سويا من السيطرة على الدولة . وفى عام ١٥٧٣ أصبح «نوبوناجا» قائداً عاما بالرغم من عدم وجود موهبة عسكرية غير عادية لديه ، أما « هيديوشى » و « أيياسو » فأصبحا من قواده . وكان «نوبوناجا» مستعداً للتعلم بذكاء من الأوروبيين ، وعلى يديه بدأ التطور الرئيسى لصناعة الأسلحة النارية اليابانية وأيضا إدخال التحصينات وبناء السفن على الطراز الأوروبى .

(١) كان أبن حطاب

(٢) كان زعيما فى شرقى اليابان

وفى عام ١٥٨٢ أغتيل « نوبوناجا »وبدأ التقدم الذى أحرزه نحو الوحدة يتعرض للخطر، إلا أن « هيديوشى » و « إيياسو » هبا للثأر لمقتله ولإستكمال عمله. وهنا برز «هيديوشى» كرجل عظيم سواء كقائد عسكرى أو كرئيس دولة ، وكان من أبرز صفاته «الصبر والتنظيم والقيادة » . وجاءت اللحظة الرئيسية لنجاحه فى عام ١٥٨٧ عندما سحق جزيرة« كيوشو » والتى تعتبر زعيمة المنشقين ، وكانت عائلة « شيمازو » على رأس عشيرة «ساتزوما» ،وطلبت عائلة « شيمازو » السلام ، وهنا أظهر « هيديوشى » شهامة وإدراكا سياسياً عندما سمح لهم بالإستسلام بشروط معقولة . إلا أن « هيديوشى » لم يكن قد أشبع طموحه بعد ، وكان حلمه فى ذلك الوقت فتح الصين ، وبدأ فعلا هذا العمل عام ١٥٩٢ بغزو كوريا ، ونجحت العمليات البرية نجاحا كبيراً ، فقد قطعت القوات اليابانية مسافة ٢٠٠ ميل إلى «سيول» عاصمة كوريا فى ظرف ثلاثة أسابيع . وبينما كان اليابانيون فى قمة نجاحهم فى البر، لاقوا كارثة كبرى فى البحر . فكان الشعب الكورى يجيد مهنة البحر ، كما كان لديهم أدميرالا بارعاً وهو « يى — صن » والذى كان رجلا أستراتيجياً وتكتيكياً وقائداً ذات صفات غير عادية، وكان أيضاً موهوباً فى الاختراع الميكانيكى . وكانت التكتيكات البرية الآسيوية لازالت عبارة عن الرمى بالسهام وإختراق السفن وإعتلائها ، ولم تكن المدافع قد ركبت بعد على السفن . إلا أن « يى — صن » أخترع سفينة يمكنها مقاومة كل أساليب الهجوم السابقة وفى نفس الوقت توفر لديها أيضاً قوة هجومية كبيرة . وكان جسم سفينته مصمماً على أساس السرعة الكبيرة والقدرة على المناورة ، كما غطى السطح بدرع من صفائح الحديد « كالسلحفاة » ، لا يتأثر بالنار أو السهام أو المقذوفات ، مع وجود خوازيق على السطح لإعاقة المهاجمين . أما مقدمة السفينة فقد قواها لدرجة يمكن إستخدامها فى الاصطدام بالسفن المعادية ، كما توجد فتحات لرمى السهام على طول دوران جسم السفينة . وقد قاتل البحارة اليابانيون بشجاعة إلا أن سفن « يى — صن » المدرعة بالحديد أحدثت تدميراً تاماً لأسطول اليابانيين . وأدى الانتصار الكورى فى البحر إلى شل هجوم « هيديوشى » البرى . وفى عام ١٥٩٧ عاد مرة أخرى لغزو كوريا إلا أن الكوريين والصينيين قاتلوا هذه المرة بفاعلية أكبر فى البر ، كما حاقت كارثة مماثلة باليابانيين فى البحر .

وتوفى « هيديوشى » عام ١٥٩٨ بعد أن أنجز أعمالا عظيمة عسكرية وإدارية فى بلده

على الرغم من مغامراته الفاشلة والتى اتسمت بعدم التعقل، والتى أدت إلى نهاية محزنة لقصته وبعد موت « هيديوشى » حدث صراع قصير على السلطـــة ، ولـكن فى عام ١٦٠٠ كسب « ايياسو » معركة « سكيجاهار » وأسس أسرة « توكوجاوا » . وكانت سياسة « توكوجاوا » غريبة وقد أستمرت فى السلطة حتى عام ١٨٦٧ ، وتضمنت تجميد المؤسسات الاجتماعية والسياسية لليابان وعزلها عن باقى العالم ، وبذلك أتاحت الفرصة للسلام لمدة ٢٥٠ .

ولـكن خلال هذه الفترة تأخرت تـكنولوجيتها كثيراً ، وكثيراً جداً عن باقى العالم ، وأصبح جيشها من الساموراى لايلائم العصر بشـكل كبير ، وأيضاً قوتها القتالية الغير فعالة . وعلى أى حال ففى عام ١٨٥٣ وصل إلى اليابان أسطول من السفن الأمريكية بقيادة العميد البحرى « بيرى » ، وأضطر اليابانيون إلى الإستجابة الإيجابية لحضارة العالم الغربى الحديث . ترى ما الذى يمكننا أن نخرج به من هذه الدراسة القصيرة للشعوب الآسيوية .. ؟؟ نجد أن المغول فى العصور الغابرة ، واليابانيين فى القرن العشرين تظهر لنا أنه من الممـكن أن تأتى لنا قوات شجاعة وجيدة التدريب من الشرق . والدرس الذى يجب ان نتعلمه هو ألا نحتقر أو نقلل من شأن القوى الآسيوية ، لأن ماحدث فى الماضى ممكن أن يحدث ثانية . فمن الممـكن أن تأتى قوة غازية من مناطق آسيا الشاسعة مرة ثانية ، والتى سيتعين على العالم الغربى قتالها . ولـكن لن يكون هناك داع لحدوث مثل هذا العمل لو استخدمت الحـكمة والتعقل فى تناول المشكلات العالمية فى القرن العشرين، وخاصة إذا أمكن تفهم التنين الأصفر .. أو الدولة الصينية تفهما جيدا وعميقاً .

الفصل السابع عشر

الهنـــــد

ملحمة الحرب (أنظر اللوحة رقم ٣٩)

تبلغ مساحة شبه القارة الهندية ١½ مليون ميل مربع وقد أستوطنها على مر العصور القديمة شعوب من ثمانية أجناس مختلفة على الأقل وأعتنقوا ديانات عديدة مختلفة ويتكلمون مايقرب من ٢٠٠ لغة ولهجة مختلفة ولهذا فإنه غير مجدى محاولة كتابة تاريخ عام لفن الحرب فى الهند خلال فصل واحد. ولذلك قررت تركيز الضوء على صور معينة من فن الحرب والتى كانت سائدة وبارزة فى فترات معينة من هذا التاريخ. وأخترت فن الحرب للهندوس القدماء فى الفترة مابين عام ٥٠٠ ق. م و ١٢٠٠ بعد الميلاد، وأيضاً تلك الفترة الخاصة بالشعوب التركية الإسلامية التى فتحت الهندوستان فيما بين عام ١٠٠٠ — ١٦٠٠ ميلادية وأقاموا إمبراطورية المغول، وكذلك فترة إمبراطورية المارثيون فى القرن ١٨. أما قصة فن الحرب الهندى بعد القرن ١٨، فسيكون له فصل خاص مثلها فى ذلك مثل بقية آسيا، حيث أن التأثير الأوروبى أصبح سائداً.

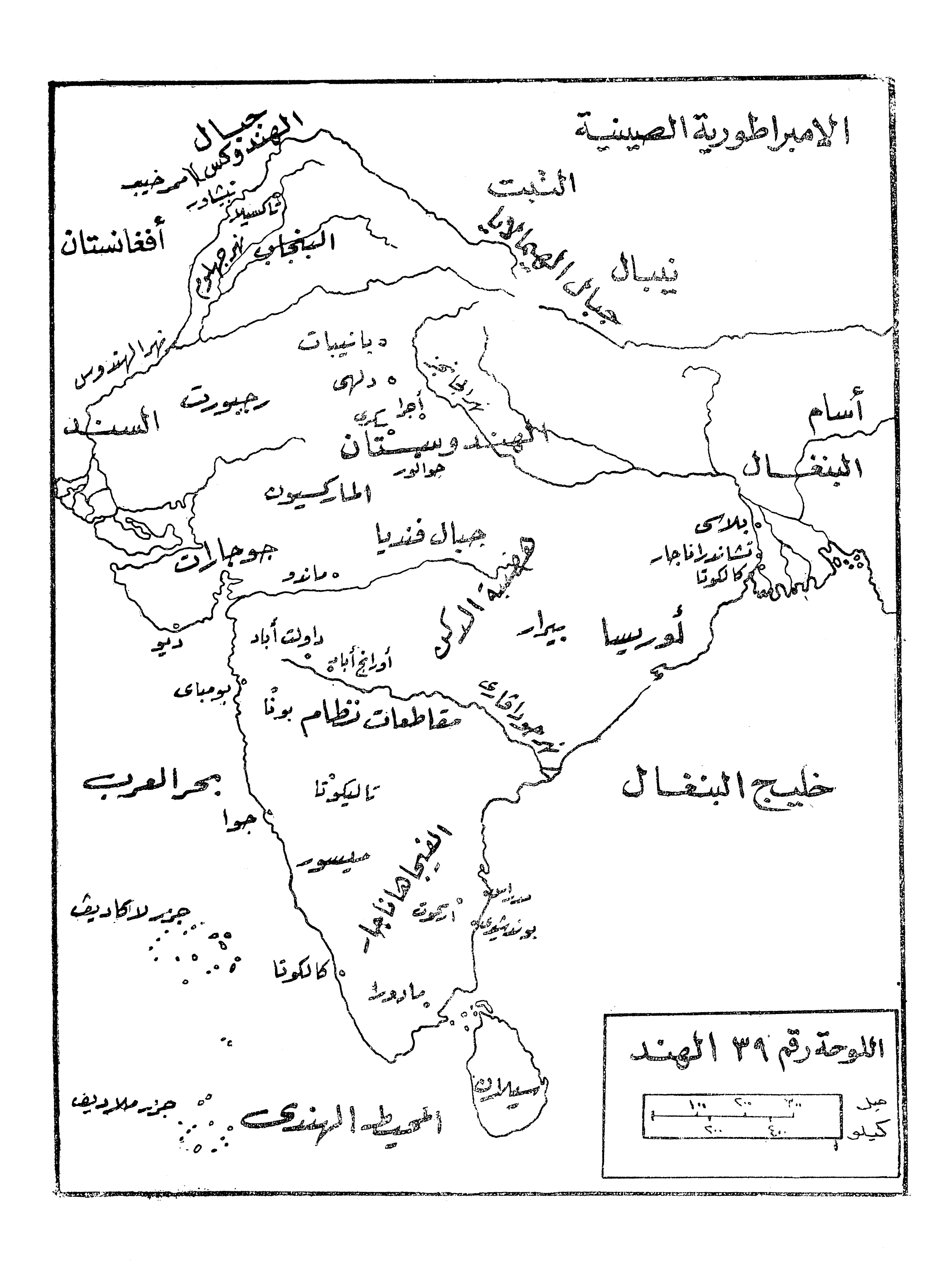
وهناك عدة عوامل معينة تراود أفكارنا يجب أن نتفهمها. فقد أثر على سير الحرب فى الهند وبدرجة كبيرة العوامل الطبيعية والجغرافية وتحرك السكان والمناخ. وتقع الهندوستان بين جبال الهمالايا وسلسلة جبال فنديا وهى عبارة عن سهل واسع خصب وبدون أى دفاعات طبيعية. وربما يكون عدم كفاية المواصلات هو السبب فى أن الهندوستان كانت باستمرار تقريبا مسرحا لصراع سياسى مضطرب بين المقاطعات الصغيرة. وكانت الممالك تتآكل عادة لأسباب داخلية؛ إلا أنه كان هناك عامل هام أدى إلى عدم الاستقرار السياسى وهو التحرك المستمر للسكان من الشمال إلى الجنوب. وأصبحت الحدود الشمالية الغربية بدون قوات لحراستها حتى فرضت السيطرة البريطانيـــة نفوذها فاختلف الأمر. ومنذ العصور

الأولى والشعوب المهاجرة تعبر ممرات هذه الحدود . فنجد أن الأغريق ثم الأتراك ثم الهون ثم المغول ثم الإيرانيون قد سلكوا نفس الطريق ونفس الممرات . وفيما بين عام ٢٤٠٠ ق . م وعام ١٥٠٠ بعد الميلاد هزم السكان الأصليين للهند على أيدى الغزاة الأجانب مما أدى إلى فرارهم جنوبا . وعموما فكانت جبال « فنديا » تعوق تحركات الغزو إلى حد ما ، علاوة على ذلك توجد مناطق جافة ومملوءة بالتلال فى جنوب الهند مثل هضبة « الدكن » و« الفيجاهاناجار » وهى غير ملائمة لتحرك قوات كبيرة بها وتلائم حرب العصابات . والعامل الرئيسى الأخير الذى أثر على الحرب فى الهند هو المناخ ، فكانت الأمطار الموسمية (بين يونيه وسبتمبر) تجعل تحرك الجيوش من الناحية العملية مستحيلا . وأفضل الفصول لإجراء الحملات هو شهرى أكتوبر ونوفمبر عندما تنضج المحاصيل ويخضر العشب ويكون من الممكن المعيشة داخل المنطقة . ومن الجدير بالذكر أن سلالات الخيول فى الهند كانت دائما من نوع أقل جودة من مثيلاتها فى غرب ووسط آسيا . وكانت الحرب من أكثر الموضوعات إنتشاراً فى سياسة وأدب الهندوس القدماء . وظهر أنه كان هناك صراع لا ينتهى بين القوى المختلفة فى الهندوستان ، ولكن أحيانا ما كان ينجح رجل واحد من « الموريا » أو « الجوبتا » أو « الهارشا » فى إخضاع وتوحيد كل أهالى المنطقة ، ولكن كان لا يستمر هذا طويلا . وليس هناك أى مراجع عن التاريخ السياسى للهند فى الفترة ما بين ٥٠٠ ق . م وعام ١١٠٠ بعد الميلاد ، وكان ذلك غير ممكن لأن الهندوس ليسوا مؤرخين ، إلا أنه كانت هناك أضواء يلقيها كاتب أجنبى (١) على بعض الفقرات من تاريخ الهندوس . وبالرغم من هذه الصعوبة ، فمن الممكن إكتشاف قدر معين من مواقف الهندوس من الحرب والأسلوب المستخدم فيها وذلك عن طريق كتب فن الحكم مثل كتاب « الأرزاساسترا » والذى وضعه « كوتيليا » والذى يضم الفترة بين ٣٠٠ ق . م و ١٠٠ بعد الميلاد يشير فيه إلى شهرة الحرب وإنتشارها .

وكان الجيش يعتبر سادس السبعة عناصر الرئيسية المكونة للدولة . وإذا نظرنا إلى

---

(١) لقد كتب عن الهندوس الرحالة الصينى البوذى « هسون تسانج عام ٦٣٥ ميلادية « المعرب »



الامبراطورية الصينية
التبت
نيبال
جبال الهيمالايا
جبال الهندوكوش
ممر خيبر
بيشاور
تاكسيلا
البنجاب
نهر جهلم
أفغانستان
نهر الهندوس
دلهي
أجرا
نهر الجانج
راجبوت
السند
الهندوستان
جوالور
جبال فنديا
جوجارات
ماندو
هضبة الدكن
أوريسا
بيرار
أسام
البنغال
بلاسي
تشاندرناجار
كالكوتا
ديو
دولت أباد
أورانج أباد
بومباي
مقاطعات نظام
بونا
تاليكوتا
خليج البنغال
بحر العرب
جوا
ميسور
الفيجايانا جار
مدراس
بونديشيري
جزر لاكاديف
كالكوتا
مادورا
سيلان
المحيط الهندي
جزر ملاديف
اللوحة رقم ٣٩ الهند
ميل
كيلو

تعاليم مذهب «ماندالا » لوجدنا أنها نموذج مصغر لأفكار الهندوس من حيث العلاقات بين الدول . وفى الواقع هى تعاليم للكفاح والنضال من الدرجة الأولى . وإذا جنح ملك للسلم فهو فى النهاية كاذب مناقض لنفسه ، فقد ذكرت التعاليم : — « لاهيبة ولا إحترام للملك الذى لايقهر أعدائه لأنه إذا لم يقم بهذا سيغرق كالبقرة فى مستنقع من الطين » . وفى سطور أخرى للتعاليم : — « لايوجد مطلقا شىء اسمه حكم أو قاعدة ، بل هناك فقط الصراع من أجل المكانة التى يسعى إليها المقاتل » ويعتبر « كوتيليا » من المصادر المفيدة والهامة ، لأنه ضمن نظريته السياسية بحثا عسكريا . أما الاعتماد على ملاحم اللغة الأدبية الهندية القديمة أمثال « المهابهاراتا » فهو مشكوك فيه ، وتكمن الصعوبة هنا فى إمكانية التمييز بين ما هو حقيقى من الناحية التاريخية وبين ما هو خيال جامح من الناحية الأدبية . ويمكن مقارنة « المهابهاراتا » « بالألياذة »و « النبلونجنليد » فى أنها ملحمة شعرية كبيرة عن موضوع الحرب .

ومن المحتمل أن يكون هناك « عصر بطولى » فى الحرب الهندية شبيه بعصور البطولة فى حرب الإغريق والصينيين عندما كانت المعارك عبارة عن مبارزات بين راكبوا العربات الحربية من النبلاء يصاحبهم توابع على الأقدام . ولكن أصبح المقاتلون يتبعون قائدا أعلى فى جيش منظم وقد ظهر ذلك فى الحقائق الأولى للتاريخ السياسى الهندى وذلك فى غزو الاسكندر الأكبر فيما بين عام ٣٢٧ ق . م وعام ٣٢٥ ق . م حيث عبر الاسكندر جبال « الهندوكسن » وأستولى على مدينة « تاكسيلا » ثم هزم الملك « بوراف » (بورش) فى معركة نهر « جهلوم » (هيداسبس) . وكانت العربات الحربية لاتزال تمثل قوة ذات شأن فى جيش « بوراف » ، وأقدم هذه العربات كان خفيفا ومصنوعا من دعائم حشبية مربوطة إلى بعضها بسيور جلدية ويجرها زوج من الخيول ، وطاقم العربة مكون من سائق ورامى القوس .

وفيما بعد أصبح للعربة أربعة خيول كما ركبها ستة رجال [1] . ولقد عجزت العربات الحربية

---

(١) أثنين حاملى الدروع وأثنين رماة السهام وأثنين لقيادة العربة والأخيرين يمركان العنان ليصبحا حملة للرماح أثناء القتال والحاجة إليهما . « المعرب »

الهندية فى معركة « جهلوم » عن التحرك فى الوحل ، ولكن على أى حال ظلت العربات الحربية تستخدم فى الهند حتى القرن الثامن ميلادى ، وكانت لها ثمانية أحجام ولها أطقم يتراوح عددها بين رجلين وأثنى عشر رجلا .

فيلق من الفيلة

وفى المعركة بين الإغريق والهنود دخل الملك « بوراف » المعركة راكباً فيلا . وفى هذا الوقت كان ينظر للفيلة فى الجيوش الهندية على أنها قوة هجومية رئيسية . وإحتفظت الفيلة بهذا المقام عند الهندوس ثم عند المسلمين بعد ذلك ، إلى أن بدأ تأثير الأسلحة النارية فى القرن ١٧ يطغى عليها ويثير الشكوك عن صلاحية إستخدامها . وفى معركة « جهلوم » تشكل الخط الأمامى الهندى من ٨٥ فيلا ، يفصل بين كل فيل وآخر ١٠٠ أقدم ، وإحتلت هذه الفواصل بمشاة من حملة الحراب . وقد كان لدى « ساندرا جوبتا موريا » (٣٢٢ — ٢٩٨ ق.م) فيلقا من الفيلة مكونا من ٩٠٠٠ فيل ، وقد إستمر العدد فى التزايد .

وعلى ظهر كل فيل يوجد قائد وثلاثة مقاتلين مسلحين بالأقواس والسهام ، وأحياناً كانت تستخدم الحراب والرماح والمدى والقدور المملوءة بالزيت والحجارة ، وكانت الفيلة مكسوة بدروع معدنية متقنة الصنع وتحمل صناديق الذخيرة . كما كانت توضع على ظهرها السجاد الفاخر وتلف العقود حول رقبتها وتعلق صور شعارات النبلاء .

وكانت أجود سلالات الفيلة توجد فى شرق الهند ، كما كان هناك برنامجاً كاملا ورسمياً لترويض الفيلة وتدريبها عسكرياً ، ويبدأ هذا التدريب من المراحل الأولية من الرقود على الأرض والجلوس ثم الركوب عليها ثم قيامها بعد ذلك ، إلى « السامیانا »[١] و« فدهافدها »[٢] و« هستيبودها »[٣] وغيرها من الوسائل التى تقتضيها الحاجة .

وبدون شك كان « بوراف » قائداً شجاعا ، بل ربما كان أقدر القادة الهنود ، إلا أنه فى

---

(١) التحرك للامام وللاجناب أو القيام بتحركات متعرجة

(٢) ألقاء الضحية أرضا وسحقها بالقدمين .

(٣) القتال فى تشكيلات

معركة « جهلوم » واجه جيشاً ظافراً محنكا ويقوده قائد عبقرى متفوق (الاسكندر الأكبر) وبالتالى كان من الصعب عليه أن يأمل فى النصر ، وعلى كل وضع « بوراف » قواعد سيئة للجيش الهندى باعتماده على الفيلة فى تحقيق النصر . ومن الغريب إعتماد خلفاء « بوراف » إلى حد كبير على الفيلة بالرغم من أنها لم تؤد أى عمل له قيمة فى معركة « جهلوم » . ومن المؤكد أن للفيلة قوة ومظهراً مرعباً ، فهى تستطيع وطء الرجال تحت أقدامها وسحق الموانع ، وإلقاء الرعب فى قلوب الجنود القليلى الخبرة والخيول الغير مدربة . وقد أستخدمها الأغريق بعد الأسكندر فى غرب آسيا وأوروبا ، وقد سبق لنا تتبع دورها الضئيل . وقد يكون للفيلة بعض القيمة ، ولكنها مملوءة بالعيوب ، وخاصة عند الإعتماد عليها كقوة هجوم رئيسية فى المعركة . فمن الصعب السيطرة عليها دائما ، وخاصة عند ماتجرح حيث تستدير وتنطلق مذعورة وتسبب إضطراباً فى قواتها . وقد رأينا فى الفصل الخامس كيف سببت فيلة هانيبال فى معركة زاما عام ٢٠٢ ميلادية الفوضى والاضطراب فى الجيش القرطاجنى نتيجة لذعرها . والقائد الذى يركب فوق الفيل يراه جنوده جيداً وبذلك يثير هممهم ويرفع معنوياتهم ، ولكنه فى نفس الوقت يكون هدفا واضحاً ومعرضاً للعدو ، وخاصة بعد ظهور الأسلحة النارية .

الطبقة الكهنوتية

وكانت الغالبية العظمى فى الجيوش الهندوسية تتكون من جنود المشاة المترجلة . ومن الواضح أنه كان هناك إختلافات كبيرة فى المهام والمفاهيم التكتيكية بين محترفى مهنة الحرب وبين المتوحشين وقطاع الطرق من قبائل الأدغال .

وكانت جنود المشاة الأقل درجة يوضعون فى وحدات خاصة لتستخدم كقوة عمال ولحمل المهمات وجمع الطعام وحفر الخنادق . وفى « عصر البطولة » لم تقم المشاة بدور إلا بقدر أكثر قليلا من المتفرجين ، ولكن من الجائز أن الشعراء كانوا مغرمين فقط بوصف قتال الأبطال . وعلى أى حال ، ففى تاريخ لاحق بدأ الاعتماد يتزايد وبشكل كبير على المشاة وخاصة فى الأراضى الوعرة وفى الدفاع عن الحصون وفى المعارك التى يكون فيها التفوق العددى عاملا حاسماً . ومنذ الفترة المظلمة أى قبل الميلاد بأربعة آلاف عام وحتى

القرن ١٩ ميلادى ، كان القوس هو السلاح الرئيسى فى الهند . وصنعت الأقواس القديمة من الخشب ، أو فى أكثر الحالات من الخيزران والذى كان فى متناول اليد بسهولة علاوة على قوته ومرونته الكبيرة . وفيما بعد ظهر القوس المركب المصنوع من المعدن والقرون والخشب وبه وتر من خيوط القنب أو الحرير أو جلد الحيوان ، أما السهام فتصنع من سيقان البوص أو الخشب ومزودة بالريش فى مؤخرتها ومثبت فى مقدمتها مستدق من القرون أو العظام أو الخشب أو المعدن فى أشكال مختلفة مثل « أردها — كاندرا » (رأس هلالية الشكل) أو « سوكيموخا » (رأس مدببة الشكل) أو « كاكا — توندا » (رأس على شكل منقار الغراب) . واستخدمت أحياناً السهام المشتعلة ، ولم يكن هناك طول ثابت للقوس ، وهناك أدلة على وجود أقواس قصيرة . وقد وصف أريان الأقواس الهندية فى عام ٣٢٦ ق . م كالآتى : —

« كان طول القوس فى مشاة الجيش الهندى يساوى طول حامله ، وكان الرجل يثبت القوس على الأرض ويخطو فى مواجهته بالقدم اليسرى ثم يطلق السهم بأن يشد الوتر كثيراً .

وكان طول هذا السهم يقل قليلا عن ثلاثة أذرع ، ولا يوجد أى شىء يستطيع مقاومة السهم الهندى سواء أكان درعا أو الصفائح الواقية للصدر . وحيث أن الرامى يحتاج إلى كلتا يديه لذلك كان لا يحمل أى درع » .

والمشكلة التى تغلب بها الإنجليز على الهنود فى معركة « أجينكورت » هى نفسها التى أعجزت الهنود عند « جهلوم » وهى إرتخاء وتر القوس بفعل مياه الأمطار . وقد تسلح جنود المشاة الهندية إلى جانب الأقواس بأسلحة أخرى وبالتدريج أخذ السيف ينافس القوس فى الأهمية ، وقد أشتهرت السيوف الهندية فى الأدب العربى كما كان الإقبال على اقتنائها كبيراً ، وظهرت أشكال كثيرة نتيجة لتخصص مناطق مختلفة فى صناعتها . وطبقاً لما قاله اريان كانت السيوف المستخدمة فى القرن الرابع ق . م . من النوع القصير عريض النصل . كما ان « كوتيليا » ميز بين ثلاثة انواع : — الأول مقوس الشفرة وحاد من الداخل وهو النوع الذى سبق « الكوكرى » ، والثانى سيف طويل مستقيم ، والثالث له رأس على شكل ورقة الشجر .

أما غمد السيوف فيصنع عادة من الجلد . وإرتقى فن إستخدم السيف إلى مستوى بارع ، وفى « الماهابهارتا » يوجد وصف لـ ٢١ حركة تؤدى بالسيف .

وكان هناك أيضاً نماذج عديدة من الحراب والرماح مثل « السكونتا » ذات النهايات الست الحديدية ، وغيرها من ذات الرؤوس المتعددة الزوايا . ولم يصل طول الحربة الهندية قط طول الحربة المقدونية « الساريسا » أو الرمح الأوروبى فى القرن ١٧ . وفى الحقبة القديمة كانت المقرعة والهراوة لهما نفس أهمية السيف ، وكان يمكن قذفها أو إستخدامها للطعن أو للضرب بعنف .

وظهرت البلطة كسلاح « أرستقراطى » ، بينما استخدمت أحياناً المقلاع وحلقة الرمى وقرص الرمى . أما الدروع فكان الجميع يحملونها فيما عدا رماة الأسهم والفقراء جداً . وكان الدرع يصنع من جلد الثيران أو النمور ومن الخيزران أو النباتات المتسلقة المجدولة ، كما زينت بالشعارات وإختلفت اختلافا كبيراً فى الشكل والحجم .

وكان الأغنياء فقط هم الذين لديهم درع للجسم ، بينما كان لدى الآخرين بعض أشكال من الدروع المصنوعة من السلاسل ، ولكن كانت الأردية المحشوة بالقطن المضروب أكثر شيوعا فى الاستخدام .

وكان الهندوس القدماء ينظرون إلى الفرسان على أنها متفوقة على المشاة ولكنها فى مرتبة أدنى من العربات الحربية والفيلة . والسبب الرئيسى فى ذلك هو نقص الخيول الممتازة فى الهند . ومن المرجح أن فرسان « بوراف » كانوا يمتطون خيولا صغيرة الحجم(١) ، ولذا كان من السهل على فرسان الأعداء هزيمتهم لأنهم يمتطون خيولا متفوقة فى القوة البدنية .

وقد سرد « كوتيليا » بعض وظائف فرسان الهنود منها « إزعاج العدو أثناء تقدمه وعند توقفه وتجميع القوات والقيام بالتطريق وأعمال أخرى متنوعة ، ومهاجمة مؤخرة العدو والإنقضاض على الجيش المهزوم وحماية قواتهم إذا هزمت » . وعلى كل عندما تطور معرفة الاستخدام

(١) تعرف باسم بونى

الصحيح للفرسان إرتفع المستوى تدريجياً . وكان هناك نوعين من الفرسان ، الثقيلة ، والخفيفة ، الأولى تتمركز فى وسط الخط للقيام بالهجوم ، وبينما وضعت الثانية على الأجناب لحراستها وللتطويق والمطاردة ، وأستخدم الرمح الطويل فى الهجوم كما أستخدم السيف أثناء الألتحام ، ولـكن لم يستخدم الهندوس مطلقاً رماة راكبين . وكانت صفات خيولهم الضعيفة هى نقطة ضعفهم الـكبيرة ، ويمـكن تعليل الـكوارث التى حلت بالهندوس على أيدى الأغريق والأتراك ، بأن سببها جيوش يمتطى فرسانها خيولا جيدة ويسيطرون عليها جيداً ، فهزمت جيوشاً يمتطى فرسانها خيولا ضعيفة .

وكانت القوات الهندوسية المجندةتنقسم إلى ستة فئات : — القوات التى ترث مهنة الجندية والمرتزقة ، والحرس المحلى ، والفرق التى تمثل رؤساء الإقطاع والحلفاء ، والقوات المأسورة أو التى أغريت من العدو ، ورجال قبائل الغابات .

ولم يكن هناك أى تمييز بين هذه الفئات ، ولـكن التمييز الحقيقى كان موجوداً بين القوات النظامية المحترفه والتى يبقيها الحـكام ، وبين القوات الإضافية المجندة أو الإقطاعية التى تقضى الحاجة لتجنيدها .

ومن الوجهة العملية كان من الممكن على أعضاء أى طبقة الخدمة فى الجيش ، ولـكن الرجال من الطبقات الدنيا كانوا يقومون بالأعمال الحقيرة. ومن الجدير بالذكر أن «البراهمة» وهم الطبقة الـكهنوتية ، كانوا يشكلون عدداً من كبار القادة البارزين ، والذين منهم على سبيل المثال «بوسياميترا» القائد العام فى عهد آخرملوك أسرة « الموريان » ، «برهادراسا» ، وكان الجيش مقسما إلى وحدات على أساس عشرى .

ويؤكد كوتيليا بأن الشجاعة يمـكن غرسها حتى فى الجبناء بالضبط والربط والتدريب . وكانت المرتبات كافية وتدفع بانتظام ، كما كانت تمنح المـكافآت فى المناسبات من الأراضى والنقود والأوسمة . وكقاعدة عامة كانت الدولة تتـكفل بمعاونة من كان يعولهم الجندى الذى قتل أو من يصاب بعجز .

هلاك السند

وكان أكثر الأوقات شيوعاً للقيام بالحملات الحربية هو شهر أكتوبر بعد إنتهاء

الرياح الموسمية ، وكثيراً ما يتغير هذا التوقيت بفعل الظروف السياسية . وكانت الجاسوسية على درجة عالية من التنظيم سواء الدبلوماسية أو العسكرية .

ويصف كوتيليا كيف كان الجواسيس يتقصون مواقع العدو وتعداده ، ويذكر أيضا كيف كان هؤلاء يرسلون بالرسائل للخلف مكتوبة بالشفرة ويحملها الحمام الراجل ، وكانوا ينشرون المعلومات والإشاعات الكاذبة لخفض الروح المعنوية للعدو ، كما يقومون باستمالة وإغواء الشخصيات المهيمنة على الجيش بجميع الوسائل الغير مشروعة . وهنا أمثلة كثيرة فى التاريخ الهندى عن عمليات فرار بالجملة والتحول من جانب إلى آخر . وقبل التحرك كانت تجرى إستشارة مفصلة مع المنجمين ، وبعدها يقوم الملك أو القائد بأداء طقوس دينية لاسترضاء آلهة الحرب .

ووسيلة النقل فى الجيش كانت الفيلة والجمال والجياد الصغيرة والثيران والعربات التى تجرها الثيران .

وكان هناك حشد ضخم من توابع المعسكرات مثل الرهبان والمنشدين والتجار والعاهرات. وكان منظر الجيش الهندى أثناء تحركه يستحق المشاهدة ، فكانت تسير الفيلة الملكية والفرسان من النبلاء تكسوهم الدروع الكاملة الفخمة والجواهر الثمينه والرياش والحرائر والأحزمة والمظلات الكبيرة .

وكان الحشد كله يتحرك ببطء ، ومع قدر كبير من الموسيقى والصياح ، ويصف مؤلف « كالينجاتو باراتى » المشهد فيقول : «أخذت الأبواق تدوى والطبول الكبيرة تهدر وأطلقت المزامير « والقرب » أصواتاً حادة حتى صمت آذان الفيلة .

وإنتشرت مجموعات كبيرة ومتجاورة من المظلات والأعلام حتى حجبت ضوء النهار ومن المرجح أنه لم يكن هناك تخطيط ثابت للمعسكرات الحربية ، ولكن وعلى العموم كانت تختار الأرض بجوار نهر حيث تقام الخيام فى صفوف وتعين الحراسات . ومن الصعوبة بمكان أن نقرر التشكيلات والتكتيكات التى كانت مستخدمة فى المعركة من المراجع المختلفة .

فقد أطلق « المهابهارتا » العنان لشعره الخيالى فى وصف التشكيلات المتعاقبة والتى

تسمى « المالك الحزين[١] » و« شبه المعين » و « الصقر » و « التمساح » . أما « كوتيليا » فقد تحدث بطريقة أكثر واقعية عن أربعة تشكيلات أساسية وهى « العارضة » و « الأفعى » و « الدائرة » و « المجموعة المستقلة » وكل منها لها طابع خاص . وكان هناك العديد من أشكال الفتح للمعركة ، ومن المحتمل جداً أنه كان يبذل جهد ووقت كبيرين فى القيام بالتشكيل المطلوب كما إستلزم الأمر براعة كبيرة . ولكن بمجرد بدء القتال يفقد النظام بين القوات ، وقد قرأت أن طبقة الأبطال كانت تندفع نحو بعضها ، بينما يلتحم باقى حشود الرجال فى صراع مع الأعداء .

ولاشك أن التكتيكات الأولية كانت معروفة لديهم وخاصة مهاجمة أضعف النقط ، ولكن لا توجد دليل مباشر على ذلك ، كما لم أعثر على وصف لمعركة هندية كتبها رجل عسكرى .

وقد إستخدمت الآلات الموسيقية لإثارة حماس المقاتلين ولقطع الوقت أثناء السير ، وإصدار إشارات بالأوامر .

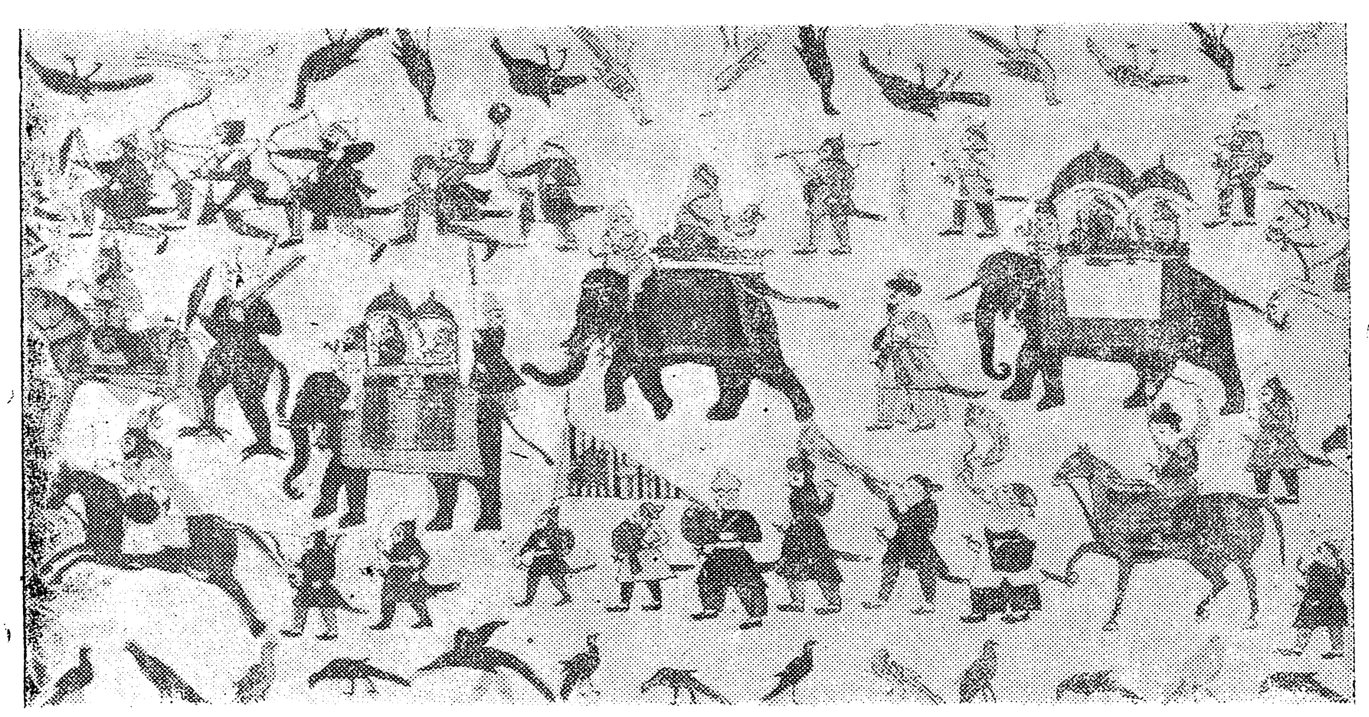
وبذلت عناية كبيرة من أجل تقوية روح الشجاعة والوطنية وعبر عن ذلك فى الأمثال مثل : « إن النصر هو مصدر الفضيلة الدينية وأعظم أنواع السعادة » . وإذا حدث وسقط أحد قائد الجانبين ، كما حدث للملك « داهير » ملك السند فى عام ٧١٢ ميلادية ، فجيشه يصبح عرضة للتفرق . وإننا نعلم أن الجراحين كانوا يرافقون الجيش ، وكان أسرى الحرب يعاملون معاملة حسنة .

بابور النمر (أنظر اللوحة رقم ٣٩)

وسوف يشعر القارىء مما كتب أن هناك الكثير من المعلومات المشوشة عن الحرب الهندية القديمة ولكن الحقيقة الثابتة أنهم كانوا قوماً مولعين بالحرب إلا أنهم لم يصلوا إلى مستويات رفيعة . وأهم نقط ضعفهم فى تكوين وتنظيم جيوشهم وتكمن فى إعتمادهم الزائد على الفيلة وفرسانهم الضعيفة والنظام الإقطاعى فى التجنيد مما أدى إلى فقد وحدة القيادة وتوحيد المهمات والتنظيم .

---

(١) نوع من الطيور



الجيش الهندى أثناء التحرك للقتال

وكان جنود الهنود وقادتهم لا ينقصهم الشجاعة ، ولكن يبدو أن الشخصيات العسكرية الكبيرة مثل « شندراجوبتاموريا » الذى طرد الإغريق ، و « سكنداجوبتا » و « ياسود هارمان » اللذان طردا الهون ، كانوا يفتقرون إلى بعد النظر وعدم الفهم القوى للاستراتيجية والتكتيك .

وعلى سبيل المثال لم تكن هناك قبضة هندية محكمة على ممرات الحدود الشمالية الغربية ، كما أن الجيوش كانت تتحرك بشكل بطىء وكسول. ولم يكن هناك إمبراطورية هندوستانية واحدة ظلت على حال ثابت ، حتى ولا فى أزهى العصور ، ولم يكن هناك شخصيات كبيرة إستطاعت تحقيق الأمن لكل المقاطعات ، ذلك الأمن الضرورى للوحدة الحقيقية وللقوة العسكرية ، وقوة السياسة الخارجية .

وكانت الحروب الهندية عبارة عن أعمال صغيرة ودارت فيها القتال بحذر ، وكانت هذه الحروب من شأن السياسيين بينما كان يجهلها الفلاحين الذين يزرعون الحقول .

ومع حلول عام ١٠٠٠ ميلادية بدأت الحضارة الهندوسية تأخذ شكلا مرضياً محافظة على الطابع القديم . وقد كشف الغزاة المسلمون كل نقط الضعف هذه . لقد تطور الفتح التركى

الإسلامى للهند فى شكل محدد واضح ، وسار بشكل تدريجى إبتدأ من القرن العاشر وتم فى القرن السابع عشر فقط . وقد أغرت بلاد الهند الغنية المنقسمة على نفسها رجال القبائل التركية .

وبدأ الأتراك بالقيام بغارات متكررة عبر الحدود ، والتى تحولت إلى غزوات إنهزم فيها أقوب ملك هندى فى معركة ضارية . وكان الفتح الأول نقطة إنطلاق للتقدم التالى ، وأخذت المقاطعات الهندية الواحدة بعد الأخرى ، بتقدم قوات المسلمين جنوباً وشرقاً .

وإستمر هذا المنوال حتى القرن ١٧ ، عندما بدأ رجال قبائل الغابات « آسام » فى كبح جماح قوات المغول التى بدأ يسودها التحلل والتمزق . وكان غزاة الموجات الأولى تستقر وتتحول إلى هنود ، ولكن كان يتم إجتياحهم بواسطة موجات تالية آتية من الشمال الغربى .

وإستمرت سلسلة الغزو والفتح بدون عائق لمدة ثمانية قرون ، وكان كل من يتصدى لهؤلاء الغزاة لا يستمر طويلا ، ومن حين لآخر كان يقوم فاتح بارع من المسلمين باجتياح كل ما هو أمامه فى موجة مدمرة .

وهنا يبرز لنا أربعة أسماء من هؤلاء الفاتحين ، وأول هؤلاء ، وربما كان أعظم الأتراك المسلمين الفاتحين للهند ، هو السلطان « محمود غازى » (٩٩٧ — ١٠٣٠) والذى يقال أنه قاد ١٧ حملة فى الهند . وهو الذى عبر بالمسلمين نهر « الهندوس » الذى يعتبر العائق الطبيعى الوحيد أمام سهول « الهندوستان » الغنية .

وحقق السلطان محمود أعظم انتصاراته على قوات « اناندبال » فيما بين « أند » و « بيشاور » عام ١٠٠٨ .

وفى النهاية كانت إمبراطوريته تمتد من فارس حتى نهر « الجانجز[1] » ، وقد كان قائداً

---

(١) الجانجز أحد الأنهار العظيمة فى الهند وينبع من جبال الهيمالايا ويصب فى خليج البنغال وطوله حوالى ١٥٠٠ ميل وهو من الأنهار المقدسة عند الهندوس « المعرب »



الأتراك المسلمون يهزمون الهندوس على نهر الجانجز

بارزاً ، قادراً على أثر جنوده وإكتساب أخلاصهم ، كما كان هو شخصياً مقاتلا شجاعاً .

أما الفاتح العظيم الثانى فهو « شهاب الدين غورى » ، والذى زحف عام ١١٩٠ نحو « تارين » بالقرب من « دلهى » حيث هزمه الملك الهندوسى « برزفيراج » بجيش يفوق كثيراً جيش شهاب الدين . ولكن الشىء الغريب أن الهندوس لم يستغلوا انتصارهم بشكل فعال ؛ أو بأى منطق إستراتيجى . ولكن بعد ١٨ شهرا إستطاع شهاب الدين أن يأخذ بثأره فى معركة « تارين » الثانية .

وفى النهاية تم له فتح كل السهل الشمالى الهندى . ومر قرنان قبل أن يظهر فاتح عظيم آخر من الشمال الغربى وكان « تيمور المغولى » والذى إجتاح الهندوستان فى خمسة أشهر فى عام ١٣٩٨ ، ناهباً مدينة دلهى ، إلا أنه عاد بعدها إلى عاصمته فى « سمرقند » . وأخيراً

هبط على الهند الحفيد السادس « لتيمور » وهو « بابور النمر » فى عام ١٥٢٥ . وهزم السلطان الأفغانى فى « دلهى » عند « بانيبات » فى عام ١٥٢٦ . وقبل وفاته عام ١٥٣٠ ، كانت مقاطعات « بابور النمر » تمتد من نهر « الأوكسوس » حتى حدود البنغال ، ومن جبال « الهيمالايا » إلى « جوالور » . وقد وضع « بابور النمر » أسس أمبراطورية المغول والتى أتم تكوينها حفيده « أكبر » .

الصاروخ سلاح هندى قديم

وكان الأتراك قادرين على هزيمة الهندوس ، لتمتعهم بشكل خارق بالصفات الحربية الضرورية والتى كان يفتقدها الهندوس . وقد وجدوا فى الهند الرضا والتسامح والذى قابلوه بالإخلاص المتعصب للدين الإسلامى .

وبصرف النظر عن حماسهم كمعتنقين لهذا الدين والذى ينبع من أعماقهم ، فكان الأتراك يتسمون بصفات المجتمع المتماسك المؤمن بالقضاء والقدر والمحتقر للموت ، كما تميزوا بالجديه والاعتدال فى كل نواحى الحياة ، الشيء الذى ينقص كل الهندوس .

وكان الأتراك قوم ذوى طاقة ونشاط ، وتوفر لديهم خفة الحركة بركوبهم خيول « تركمانية وعربية » سريعة وقويه . وكانت جيوشهم فى الواقع عبارة عن حشود من حاملى الأقواس الراكبين ويستخدمون نفس الأسلوب الفعال للايرانيين والهون والمغول . وكان قوسهم المركب لا يقل جودة عن أى سلاح لدى الهندوس وإستخدموه بشكل أكثر تأثيراً ، وتوفرت لديهم الشجاعة مثل الهندوس ، وعلى عكس الهندوس كان الأتراك قادرين على إنتاج الضباط الكبار وعلى درجة عالية من البراعة العسكرية ، ومن حين لآخر ، قادة عباقرة .

أما جوهر الاستراتيجية التركية فكان فى خفة الحركة المسيطر عليها عبر مناطق شاسعة ، أما تكتيكاتهم فكانت عادة كما فى الغرب ، هى قيام حاملوا الأقواس الراكبون بإزعاج وإرهاق العدو بأعمال التطويق والمراوغة من على بعد ثم بعد ذلك إقتناص النصر بهجوم كبير بالفرسان الثقيلة .

وكانت التكتيكات التركية فى معركة « تارين » الثانية طبق الأصل من تكتيكات معركة « مانزكرت » ، وهى نفسها التى اتبعت فى عهد « تيمور » وكان لها أيضاً نفس الأثر .

وكان الأتراك فقدوا باستقرارهم فى الهند تلك الصفات العسكرية التى يتميز بها سكان السهول الواسعة ، وإلى حد ما تأقلموا على ظروف الحياة فى الهند ، وهى حياة القدماء الغير متغيرة . وأكثر من ذلك أن أثر ظهور الأسلحه النارية على حربهم .

وكان جيش « بابور » فى معركة « بانيبات » يختلف عن جيوش أسلافه ، فكان لديه عددا أقل من الفرسان الأتراك بالرغم من أنهم ظلوا يحتفظون بمكانتهم كصفوة القوات ، وكان لديه بعض الواحدات من الهنود المحليين ، والذين قاتلوا بأقواسهم وسيوفهم وحرابهم التقليدية ، كما كان لديه أيضاً مشاة مسلحة ببنادق ذات الفتيل ومدافع صغيرة تحمله على عربات، بينما بقى إستخدام الفيلة . وبالرغم من أن الفرسان أصبح ينظر إليهم بأهمية أكثر من ذى قبل إلا أن خفة الحركة قد إنخفضت .

ومع حلول القرن ١٨ لم يكن الجيش المغولى يختلف فى مسيرته عن طراز الجيش الهندى القديم . وقصة الأسلحة النارية فى الهند تختلف إلى حد ما عن مثيلتها فى الصين واليابان . فالمواد الحارقة مثل النفط فقد عرفت من زمن بعيد ، كما أن الصواريخ سلاح هندى قديم وقد أستخدمت فى الجيش المغولى وأيضاً فى جيوش « المارسا » فى القرن ١٨ . وكان الصاروخ عبارة عن أنبوبة من الحديد طولها قدم واحد وقطرها بوصة واحدة ومثبته إلى عصا من الخيزران ، ويصل مدى الصاروخ الى ١٠٠٠ ياردة ، ومن الطريف أن هذا الصاروخ كان خطراً على مستخدمه بنفس خطورته على العدو . ولكن إذا حدث بطريق الصدفة وأنفجر بين صفوف العدو فقد يشيع الفزع بين القوات الغير مدربة وتجعل الخيل تفر مذعورة أو ربما تتسبب فى إضرام النيران فى معدات العدو . ودخلت المدافع الخفيفة إلى جنوب الهند فى تاريخ مبكر . ففى ستينات القرن ١٤ أستخدمت فى هضبة الدكن بواسطة « راجا فيجاهاناجار » ، وكان طاقمها من الأتراك والأوروبيين . وبعدها أحضر البرتغاليون والأتراك المدافع إلى الهند وبأعدد كبيرة ، ولم ينجح الهنود مثل باقى الآسيويين فى أجادة إستخدام المدافع فى الحرب البحرية (لا يعرف سوى القليل عن البحرية الهندية بدرجة أنها لا تستحق محاولة مناقشتها). أما فى الاستخدام البرى للمدفعيه ، فقد أتبع الهنود الأساليب الصغيرة والتى كان يتبعها الأتراك الغربيين . واستخدم « بابور » المدافع بمهارة ومن الأرجح أنها كانت أول مدافع تظهر فى شمال الهند

وكان ذلك فى معركة « سكرى » حيث أستدرج « الرجبوتيين »[1] ليهاجموا موقع محصن تحتله المشاة والمدافع[2] . وكان لدى « بابور » فى عام ١٥٢٦ هاون ضخم والذى أطلق ثلاثة مرات فقط فى المعركة ثم أنفجر بعد ذلك .

وكان الأتراك فى الهند يشاركون أولاد عمهم الغربيين فى ميلهم للمدافع الضخمة ، وقد صنعت بعد ذلك بعض المدافع فى الهند والتى بلغ وزنها ٤٠ وأحيانا ٥٠ طن مترى . وفى النهاية نجح الهنود فى صناعة مدافع متينة ، وأدخلوا فى تكتيكاتهم إستخدام المدافع الخفيفة المحملة على الفيلة والجمال ، وكانت بعض القوات الهندية حتى تمرد عام ١٨٥٧ لازالت تستخدم القوس والسهم بفاعلية مثل البنادق .

وبعد موت « بابور » كان لايزال هناك بعض الهندوس مثل « الراجبوتيون » والمسلمون مثل « الأفغانيون » والذين لم تضعف معنوياتهم بوفاته ، وكانوا على إستعداد لمواصلة القتال للحصول على الاستقلال عندماتظهر أى بارقة ضعف فى قوة المغول . وبعد مدة بدأت تحدث عملية إستيعاب للأجناس وعمليات مختلفة للتحالف السياسى ، وبدأت الجيوش المتقابلةتشابه كل منهما الآخر . ولكن عندما تمسك الاتراك المسلمون بتقاليدهم المميزة كان تفوقهم دائما واضحا ، ولكن عندما بدأوا يفتقدون للعناصر التكتيكية البارعة وأعتمدوا على الفيلة كقوة رئيسية ، بدأوا يلاقون المتاعب .

الفراش واللهب

وفى عام ١٥٦٥ وقعت معركة « تاليكوتا » فى هضبة الدكن ونتج عنها سقوط « فيجا هاناجار » وقيام سلطنة للمسلمين على الهندوس وظهور جيش إسلامى هندى فى أفضل صورة .

وكان « حسين نظام شاة » قائدا بارعا ولم يرهبه تفوق عدوه عليه بأربعة أضعاف ، وعلى كل وضع مدفعيته المتفوقة كثيراً فى الأمام وحجبها عن أعين العدو بواسطة فرسان

(١) هم أفراد الطبقة الهندوسية العسكرية الحاكمة وملاك الأرض

(٢) تشبه الخطة التكتيكية وأسلوب جوانزالفو القرطبى

الاتراك من حاملى السهام والذين كانت مهمتهم إغراء العدو بمهاجمتهم . وكانت فرسانه جيدة التجهيز والتدريب ومشكلة فى فرق ولها إحتياطى قوى لتوجيه الضربة الحاسمة الأخيرة . وفى « أورا نجذب » فى عامى ١٦٥٨ — ١٦٥٩ حقق ثلاثة إنتصارات[١] على جيوش مشابهة لجيشه ، وكانت مدفعيته المتفوقة وإدراكه التكتيكى يحسمان الموقف لصالحه . كما تكشف إنتصارات الملك نظام فى (« راتانبور » و « بالأبور »عام ١٧٢٠و « شكارخيرا » عام ١٧٢٤ ») نواحى القوة والضعف فى الجيش المقابل . وكان لدى الملك « نظام »مدفعية جيدة وتنظيم فعال وفرسان ممتازين ، وكان أفضلهم حقا هم المسلمون . وكان لديه أيضاً ضباط متمرسين وبارعين ، أما هو فكان تكتيكيا بارعا . وفى معركة « راتانبور » طوى موقع جيش « سيد ديلاور على» حتى قبل بدء القتال ، كما نصب شركا بارعا بالمدفعية . وكان « الراجبوتيون »على درجة كبيرة من الشجاعة ، ولكنهم فى نفس الوقت كانوا على نفس الدرجة من الغباء . وكان تكتيكهم الوحيد هو الأندفاع للأمام فى حشد ، وأكثر من ذلك كانوا مجهزين تجهيزا بدائيا . وبسبب هذه الشجاعة وذلك الأندفاع ، فكانوا عندما يتقدمون نحو عدو مجهز تجهيزا جيداً بالمدفعية ، يضحون بأرواحهم مثل الفراش الذى يندفع نحو اللهب . وكانت قوة صدمه هجوم الراجبوتيون يحتاج دائما من أعدائهم تركيز كل قوتهم الدفاعية ضد فيلتهم ودروعهم ومدفعيتهم .

وعندما تفقد القيادة البارعة فى الجانب التركى ، فكان الميزان يتأرجح فترة طويلة بين الجانبين ، إلا أنه فى النهاية يتحقق النصر بالتفوق فى الأسلحة والإدراك التكتيكى . وحتى جيش « الملك نظام » فقد تشرب بقدر كبير بالصفات الهندية التقليدية . وقد ظهر ذلك عندماهزم « المارسيون » قوات « الملك نظام »نتيجةلقتال« المارسيون »بأسلوب مماثل إلى حد كبير لأسلوب المغول والأتراك الأصليين غزاة الهند ، وكان المارسيون من جنوب غربى الهند وفقراء جداً على عكس سكان الشمال الأغنياء .

وفى منتصف القرن ١٧ شكلهم «سيفاجى»فى قوةعسكريةجديدة وعندما قاتل ويلينجتون المارسيين عام ١٨٠٣ لم يكونوا على نفس الحال التى كانوا عليهامن قبل . وكان المارسيون فى أفضل

(١) لقد كسب بهذه الأنتصارات عرش دلهى

حالاتهم فى القرن ١٨ ، وتعتبر حملة « بالخد » فى عامى ١٧٢٧ ، ١٧٢٨ والتى تفوق فيها « باجى راو الاول » على « الملك نظام » رائعة فى خفة الحركة الاستراتيجية ، فكان جيش « باجى راو » يتكون كله من قوات راكبة ، ومسلحة بالسيف فقط عدا بعض الوحدات والتى سلحت برمح وقوس ودرع مستدير . وكان لكل فارسين جواد إحتياطى . وتحرك جيشهم بدون أثقال من المدفعية أو المؤن أو حتى المدافع الخفيفة أو الدروع الدفاعية ، وأعتمدوا فى معيشتهم على النهب . وقد حقد « باجى راو » على حكم « الملك نظام » على الدكن ، كما كان متخوفاً من سياسته .

وقد قام « باجى راو » بالضربة الأولى ، ففى أكتوبر عام ١٧٢٧ بمجرد إنتهاء موسم الأمطار ، إقتحم مقاطعة « أساف جاه » المؤيدة لحكم الملك نظام . وتحرك المارسيون الخفاف التجهيز بسرعة كبيرة متجنبين المدن الرئيسية والحصون ، يتعيشون على المنطقة التى يمرون بها فينهبوها ثم يحرقوها . ولم يهزموا سوى مرة واحدة على يد « أيواز خان » (نائب نظام) القائد القدير وذلك فى أوائل نوفمبر .

ولكنهم فى خلال شهر إستعادوا قوتهم كاملة وواصلوا تقدمهم بسرعة شرقاً وشمالا وغربا بتغييرات مفاجئة فى إتجاههم . فى ذلك الوقت دفع « الملك نظام » بقواته وتتبعهم بعض الوقت ، ولكن أربكته التحركات الخاطفة والغير متوقعة للعدو حتى أجهدت رجاله . وفى نهاية يناير غير « الملك نظام » من استراتيجيته ، فأوقف تتبع قوات المارسيون المراوغة وإتجه مباشرة إلى قلب أراضيهم حول « بونا » التى إستولى عليها وخربها . وتلقى « باجى راو » رسالة عاجلة للعودة . ولكنه بفهم إستراتيجى جيد لم يعر أى إهتمام لنداءات بلاده وبدلا من العودة قابل حركة « الملك نظام » بحركة مضادة إذ هدد بدوره عاصمة « الملك نظام » وهى : « أورانج أباد » ، وكما كان متوقعاً ترك « الملك نظام » أقليم « بونا » وعاد لينقذ « أورانج أباد » ولم يستولى « باجى راو » على العاصمة تماما ولكنه نهب المنطقة المجاورة . وحاول الملك نظام مرة أخرى أقتناص « باجى راو » حتى هرع المارسيون وطوقوا قواته . وظل « الملك نظام » محافظاً على تماسك قواته ، إلا أنه إستسلم فى مارس ١٧٢٨ لليأس ، وعاد المارسيون إلى ديارهم ، محملين بالغنائم ، وكان من شروط السلام التسليم لهم ببعض مطالبهم الإقليمية .

نهاية الاستعمار الفرنسي فى الهند

ومن الواجب ذكر الحصون فى الهند ، حيث كان بعض حصونهم تماثل فى القوة أفضل حصون أوروبا فى القرون الوسطى .

وأكثر هذه القلاع شهرة التى كانت مقاومة فوق التلال والتى منها على سبيل المثال حصن « ماندو » (فى جوجارات) ويرتفع التل الذى يقع عليه « ماندو » إلى ١٠٠٠ قدم فوق سطح السهل . ويعطى الحصن منظراً قوياً ورهيباً عند النظر إليه من أسفل ، بأسواره القوية ومزاغله وبواباته وخاصة جانبه الجنوبى شديد الإنحدار .

وقد بنيت التحصينات بواسطة « شاه هوشانج غورى » (١٤٠٦ — ١٤٣٥) . ومن الواضح أن تشييدها كان صعباً للغاية نظراً لارتفاع التل ووعورة الأرض .

وتتمثل القوة الرئيسية لحصن « ماندو » فى سوره القوى المزود بشرفات لإطلاق النيران والمبنى من البازالت الرمادى المقام على حافة التل فى نهاية الجرف فوق الخندق المحيط بالحصن وقوى فى نقطة منه بنتوءات وبعدد البوابات المدافع عنها بالقوة الرئيسية لماندو .

ومن أعلى الشرق كانت تجرى قناة واسعة عميقة إلى داخل وسط المدينة ، وكان يحميها ممر مرتفع أطلق عليه « الدرجات السبعمائة » والذى بنى على طول مصبها . أما المدخل الرئيسى فيقع فى الجانب الشمالى حيث يخترق المنحدر الحاد ممر يقع عليه ثلاثة بوابات متتالية .

وأعلى هذه البوابات كانت « بوابة دلهى » وهى قنطرة ضخمة مبنية من الحجر الجيرى الأحمر ، أما البوابتان الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية فكانتا قويتان ، كما أن ممر « تارابور » كان ضيقاً وعميقاً ، وقد ساعد على سهولة الحراسة وجود منعطفات على شكل زاوية قائمة وفى نطاق البوابات .

وكانت الأبواب مصفحة بالحديد وبصفوف من المسامير الحديدية لحمايتها من إقتحام الفيلة . وإذا قدر لمهاجم ودخل الحصن ، فسيتعرض لهجوم من المؤخرة متمثلا فى المدافعين عن السور الغربى .

وتحتوى قلعة « ماندو » نفسها على أماكن ومساجد جميلة وكثيرة ، وكان القرن ١٥ من أبهى وأعظم أزمنتها .

وفى عام ١٥٦٧ إستولى عليها « باهادور[1] » ، ومع حلول القرن ١٧ بدأت مبانيها فى التصدع وإحتاجت إلى ترميم . ومن بين القلاع العديدة المشهورة فى الهند «أجرا» و«داولت أباد» و « مادورا » . ولم يكن فن الحصار الهندى يزيد عن إستخدام المنجانيق، والمدفعية الثقيلة فيما بعد . وكان دائما أعظم الاستراتيجيين الذين مروا على الهند كانوا يتجنبوا التعرض لحصونها الهائلة ويقومون بالألتفاف من حولها .

وأخيراً يجب علينا أن نتعرف على الأوروبيين الأوائل فى الهند . وكان البرتغاليون هم أول القوات التى قدمت إلى الهند . وفى السنوات الأولى من القرن ١٦ ، أنشأ « البوكورك » أول سلطنه برتغالية واسعة فى الهند معتمدا على التفوق البحرى، وفى القرن ١٧ حل الهولنديون محلهم كأبرز قوة أوروبية فى الهند . وفى ذلك الوقت تزايد عدد الأوروبيين المتطوعين للقيام بخدمات للحكام المحليين الهنود ، وبشكل خاص كصناع للمدافع أو كرجال مدفعية . وفى منتصف القرن ١٨ أصبح الطريق خاليا للصراع الاستعمارى بين بريطانيا وفرنسا ، حيث أصبح الهولنديون فى ذلك الوقت ضعفاء ، كما أن الجيش المغولى أصبح ثقيلا وبطيئا ويفتقر للقيادة البارعة . كما أن أسلوب المارسيون فى الحرب فقد حيويته ، ولم يعد قادراً على الصمود فى وجه قوات مدربة ومجهزة بأحدث الأسلحة النارية . وأستغل الفرنسيون والبريطانيون فى صراعها التفكك السياسى فى الهند .

وكانت القواعد الرئيسية لبريطانيا فى الهند هى « مدراس » و« بومباى » و« كالكوتا »، أما القواعد الفرنسية الرئيسية فكانت « بوندشيرى » . وكان الفرنسى «جوزيف دوبليكس» أول أوروبى يقوم بتدريب قوات هندية على الطريقه الأوروبية للحرب ، وذلك بأعداد كبيرة وبنجاح كبير . وكان بارعا أيضاً فى الدبلوماسية بين الحكام المحليين الهنود ، وذلك بأكتساب حلفاء له ، وفى نفس الوقت يوقع بين الحكام وبعضهم لصالح فرنسا .

---

(١) حاكم جوجارات

وجاءت حرب الأرث النمساوى فى أوروبا (١٧٤٠ — ١٧٤٨) لـكى تعطى الفرنسيين المبرر لمهاجمة البريطانيين فى الهند . وأستولى « دوبليكس » على « مدراس » . وعلى أى حال لعبت « شركة الهند الشرقية البريطانية » دور الفرنسيين . وبدأ الانجليزى « سترنجر لورنس » فى تكوين قوات من السباهيين[1] . وبرز بعد ذلك الانجليزى « روبرت كايف » كدبلوماسى وكعسكرى أقدر من « دوبليـكس » . ولم يقطع السلام فى أوروبا الصراع الاستعمارى فى الهند . وقد نجح كل من « دوبليـكس » و «دى بوزى » لفترة فى الدكن .

ولـكن فى عام ١٧٥١ أثبت « كيف » شجاعته وبراعته فى القيادة بدفاعه البطولى عن « أركوت » بـ ٢٠٠ من البريطانيين و ٦٠٠ من السباهيين . وبحلول عام ١٧٥٦ تغير الموقف ، فقد أستدعى « دوبليـكس» للعودة إلى فرنسا ، وأصبح الفرنسيون بدون قائد بارع . ولاح فى الأفق تهديد ، كان فى نفس الوقت فرصة سانحة عندما جلس « سراج الدولة » على عرش البنغال ، والذى كان ضد البريطانيين ، وأستولى على كالـكوتا بجيش قوته ٥٠٫٠٠٠ رجل ، وقد سجن أسراه فى «القلعة السوداء» المشهورة، وعاملهم معاملة سيئة . وأنطلق «كايف» على رأس حملة لنجدة المدينة ، وأعلنت الحرب مرة أخرى فى أوروبا ، وصمم « كايف » على إستغلال الفرصة ومتابعة التقدم وأستطاع الإستيلاء على « تشاندرا ناجار »[2] ، وبعدها بدأ يعمل على إضعاف مركز « سراج الدولة » فى البنغال بأثارة نزاع بين حاشيته .

وكانت النتيجة إغراء أحد القادة الـكبار وهو « ميرجافار » الذى وعد بمعاونة الانجليز . وفى بلاسى تقابل « كايف » مع جيش « سراج الدولة » وكان لدى « كايف » حوالى ٨٠٠ أوروبى و ٢٠٠٠ من السباهيين و٨ قطع من المدفعية فى مقابل ٣٤٠٠٠ جندى مشاة و١٥٠٠٠ فارس و٥٣ مدفعا . وكانت الأعداد التى يواجهها « كايف » تدعو إلى اليأس ، إلا أن البريطانيين تمركزوا فى مواقع جيدة فى ستر مزرعه للمانجو ، وحدث بطريق الصدفة أن سقط المطر غزيرا مما أدى تعطيل المدفعية الهندية ، وفجأة أصاب الذعر « سراج الدولة »

(١) القوات الهندية المدربة بواسطه الأوربيين والتى بقيت فى خدمتهم .

(٢) قلعة فرنسية

« المعرب »

وأنطلق هاربا . وتولى « ميرجافار » (والذى كان يجلس على الحاجز يراقب الأمور) قيادة عملية الإنسحاب المجهز من قبل .

وكانت القيادة فى الجانب الهندى رديئة لدرجة أن معركة « بلاسى » كانت مجرد مناوشة وبعض أعمال الشغب من حشد مضطرب . وأعقب ذلك إنتصارين آخرين حققهما كل من الأدميرال « بوكوك » و « السير أير كوت » قضيا تماما على الوجود الفرنسى وفتح الطريق أمام توسع السيطرة البريطانية على الشعوب الوطنية فى الهند .

هكذا ينتهى الجزء الخامس من الكتاب ، أما الجزء السادس فضمنه مونتجمرى الآتى : —


العميد فتحى النمر

* أعمدة المجتمع الجديد . . .
* كلاوزفيتر وجومينى . . .
* الآلة الجهنمية . . .
* حرب القرم . . .
* الجرثومة العسكرية . . .
* الحرب الأهلية الأمريكية . . .
* الموت فى سبيل المبدأ . . .
* بؤرة المشاعر الوطنية . . .
* التكنولوجيا العسكرية . . .
* حرب البوير . . .
* الجنرال الأبيض . . .
* الحرب الروسية اليابانية . . .
* حرب لأنهاء الحرب . . .
* خطة شليفن . . .
* غاز المستردة . . .
* صرخات الموتى الأخيرة . . .
* حرب الغواصات . . .
* التخبط الروسى . . .
* سر القطار المغلق المتجه إلى روسيا . . .
* مصطفى كمال أتاتورك . . .
* لورنس والعرب . . .

فإلى اللقاء مع مونتجمرى على صفحات الجزء السادس .

عميد
فتحى عبد الله النمر

مسابقة القراء

		عدد
الجائزة الأولى :ـ	١٠ جنيهات مصرية	١
الجائزة الثانية :ـ	٣ جنيهات مصرية	٢
الجائزة الثالثة :ـ	٢ جنيه مصرى	٣

١ — طريقة حل المسابقة : يوجد عدة أسئلة ومدون لكل سؤال ثلاثة أجابات أحداها صحيح ، فعلى القارىء أن يضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة مع كتابة اسمه وعنوانه بالكامل .

٢ — بعد أن يتم أختيار الأجابات الصحيحة تنزع ورقة الأسئلة والإجابات من الكتاب وتوضع فى مظروف عليه طابع بريد وترسل فى بحر شهر من صدور الكتاب على العنوان التالى :ـ

مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد / القاهرة

مسابقة « الحرب عبر التاريخ »

٣ — سيتم فرز الإجابات الصحيحة وعمل قرعة لأختيار الفائزين وأولوياتهم .

٤ — سيتم نشر أسماء الفائزين فى الجزء التالى للكتاب والذى يظهر فى أول كل شهر.

٥ — لقد رصد الفيلد مارشال مونتجمرى الجوائز المالية السابقة للقراء وعن كل جزء من الأجزاء السبعة التالية لكتابه

الحرب عبر التاريخ

أسماء الفائزين فى مسابقة الجزء الرابع

حل المسابقة :—

ج ١ : ٢ — أطغول .

ج ٢ : ١ — إربان .

ج ٣ : ٣ — ٧٠٫٠٠٠ .

ج ٤ : ٢ — دون جوان .

ج ٥ : ١ — جوستاف وتيلى .

ج ٦ : ٢ — ولنشتين .

ج ٧ : ٣ — ٨ مليون فرد .

ج ٨ : ٢ — قرد كرومويل .

ج ٩ : ٣ — سباستيان دى فوبان

ج ١٠ : ١ — مارلبورو

الجـــوائز :—

الجائزة الاولى وقدرها ١٠ جنيهات

فازت بها استمارة المسابقة رقم ٠٢١٢٣

باســـم : شريف عادل عبد العاطى

العنوان : ٨ شارع الجوهرى جسر السويس / الزيتون

الجائزة الثانية وقدرها ٣ جنيهات وعددها ٢

١ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٨٧٨

باســـم : النقيب محمود رضا عبد المطلب

العنوان : الوحدة رقم ٢٦٨٨ ج ٥٨

٢ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ١٥٠٤

باســـم : أميره منير صالح

العنوان : ١٥ شارع محمد يوسف سليم — مصر الجديدة

الجائزة الثالثة وقدرها ٢ جنيه وعددها ٣

١ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ١٤٨٩

باســـم : سعد إبراهيم ميخائيل (القوات المسلحة سابقا)

العنوان : ٥ شـارع باسيلي حنا الله — ألماظة — مصر الجديدة

٢ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٤٤٢٩

باســـم : محمد أحمد الليبي

العنوان : ص . ب ٨٤٤ — بني غازي — ليبيا .

٣ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٤٣٠٨

باســـم : سعيد إبراهيم الأصبغ

العنوان : ص . ب ١٤٢١ الـكويت

* نرجو من الفائزين الحضور إلى مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ ش محمد فريد (عماد الدين) القاهرة لاستلام جوائزهم .

* ونظراً لوجود بعض القراء خارج جمهورية مصر العربية سيتم إرسال جوائزهم عن طريق البريد الموصى عليه .

* هذا الـكتاب يقع في سبعة أجزاء رصد الفيلد مارشال مونتجمرى لـكل جزء مسابقة وجوائز مالية لها ، فمن لم يسعده الحظ فإلى اللقاء مع مسابقة جديدة في الأجزاء التالية التي تظهر في أول كل شهر .

المسـابقة نمرة ٠٠٢٨١٢

١ — كان أبرز القادة الفرنسيين في حرب « التتابع النمسوى (١٧٤٠ - ١٧٤٨) هو

١ — المركيز دى ساكس .

٢ — لورد أنسون .

٣ — لورد ليجونير .

٢ — من قال هذا : — « ان لحظة واحدة يمكنها ان تحدد مصير المعركة »

١ — ويلنجتون .

٢ — نابليون .

٣ — نيلسون .

٣ — كان تعداد القوات الفرنسية فى معركة أوسترليتز .

١ — ٠٠٠ر٦١ مقاتل + ١٣٩ مدفعا

٢ — ٠٠٠ر١٠٠ مقاتل + ٢٠٠ مدفعا

٣ — ٠٠٠ر٩٠ مقاتل + ٢٧٨ مدفعا

٤ - التقى ويلنجتون مع نابليون لاول مرة فى معركة

١ — كورونا .

٢ — ووترلو .

٣ — أولم .

٥ — « التومان » هى

١ — قوانين جانكيز خان .

٢ — معركة بين المغول والصين

٣ — وحدة تتكون من ٠٠٠ر١٠ رجل

٦ — انتشرت الديانة « الكونفوشيوسية » فى

١ — اليابان .

٢ — الهند .

٣ — الصين .

٧ — يمتد سور الصين العظيم حوالى

١ — ١٦٠٠ر١ ميل .

٢ — ٨٠٠ ميل .

٣ — ٢٠٠٠ ميل

٨ — هضبة الدكن تقع فى

١ — تركيا .

٢ — الهند .

٣ — اليابان .

٩ — كتاب « الأرزاساسترا » فى الحكم والفه

١ — الموريـــا .

٢ — الجـــوبتا .

٣ — كوتيليـــا .

١٠ — « فدها فدها » عبارة عن

١ — ألقاء الضحية أرضا وسحقها بالقدمين

٢ — التحرك للأمام وللأجناب أو القيام بتحركات متعرجة

٣ — القتال فى تشكيلات

الاسم ________________

العنوان ________________

____

____

رقم الايداع ٤٠٣٨ لسنة ١٩٧٢

المطبعة الفنية الحديثة
٢ شارع الأزهري بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١